يقظة العالم اليهودي

تأليف

إيلي ليفي أبو عسل





حضرة صاحب الجلالة ملك مصر المعظم

احمد فؤاد الاول



صاحب السعادة يوسف أصلان قطاوي باشا



صاحب الفضيلة حاخام مصر الاكبر
حاييم ناحوم افندي



ايلي ليفي ابو عسل

الى عظيم الاسرائيليين

فرع روضة الفضل الأثيل

صاحب السعادة

يوسف أصلان قطاوى باشا

رئيس الطائفة الاسرائيلية

ووزير المالية المصرية سابقاً

انى كتابى رحابكم ولاذ

وباسمكم الكريم استعاذ

مقدمة

يقظة العالم اليهودي

كتاب حديث الوضع انتدبت لتأليفه على أحدث أسلوب يألفه المتخرجون وايسر منوال يسترسل اليه المتأدبون واسلس نمط يرتاح اليه المحصلون وعقدت العزيمة بعد الاستعانة بالله الحي الصمد على تذليل العقبات الكأداء التي تقوم في سبيل عملي هذا

ثم رعاية لحرمة الصنيعة لا يسعني الا الاشادة بذكر أصدقائي الذين أوحوا الي أن أجمع أشتات الوقائع والحوادث التي وقعت في غابر الزمان وفي أيامنا هذه لاسيما وأن في جمعها وحفظها مايضمن لنا حفظ ذكريات حدثت لبني اسرائيل جديرة بأن نحرص عليها حرصاً شديداً لما فيها من عظات وروادع وذكرى وعبر

ومن استمراء هذا السفر وأجال فيه فكرته الوقادة استشف ماعانيت من العناء في تأليفه والتوسع في معظم حواشيه لاخراجه

على أوضح منهج . وأنفع مخرج قصد أن يستأنس به العامة . وتستنيم اليه الخاصة . وقد نهجت فيه خطة مستحدثة راعيت فيها جانب الوضوح لعلها تستميل نظر القراء وتروق ذوي الحجى وأولى النهى

وأني أشعر بشيء فيه كثير من الغبطة لبلوغي هذه الامنية أي لكشفي النقاب عن حقائق كانت فى ظلمات التاريخ فظهرت في وضح الضحى سافرة الوجه يراها ويتفهمها كل من له المام باللغة العربية أية كانت عقيدته . ونطلب الى الله أن يكلأنا بعين عنايته ويسدد خطواتنا . ويعاوننا فيما صبونا اليه في هذا العمل . وهو خير مثوبة نتوخاها أنه السميع العليم

ايلي ليفي أبو العسل

يقظة العالم اليهودي

تعاقبت الاحقاب . وتوالت الاجيال . ونحن نخبط خبط عشواء . لا ندرى أين نسير . ولا نهتدي الى سواء السبيل . فلقد استعصى علينا اماطة الاثام عن تلك الاحاجي التي اكتنفت أدوار الصهيونية في مصر . واستفسار الالغاز التي ظلت محدقة بها ردحاً طويلا من الزمان . أجل توصلنا الى معرفة العهد الذي طمست فيه آثار الصهيونية في مصر . ودرست معالمها قبل نهضتها الحديثة . ولكننا لم نوفق الى معرفة سر تكوينها . ونشأتها . وانبثاثها . وعهد انبثاق فجر ظهورها وبينما نحن كذلك واذا بقبس من نور الحقيقة انبعث بغتة من دياجي التاريخ وظلماته فأنار طريقنا. وارشدنا . وهدانا الى الصراط المستقيم . والسبيل السوي . وأبان لنا أن مصر التي ضمت بين جوانحها هذه المملكة البديعة التي قدر لنا أن نتظلل فيء عدلها النزيه . وننضوي تحت علمها الشريف هذه المملكة التي ساقنا الحظ الاوفر أن نعيش تحت اشراف مليكها المؤيد بالنصر . المجاهد فى سبيل الخير والمجد الناشر الوية المعارف والعدل صاحب الجلالة احمد فؤاد الاول . أطال الله بقاءه . وأعز

ملكه . وأدامه ذخراً للبلاد قرير العين بنجله صاحب السمو الملكي الامير فاروق ولي العهد والبدر المنير في سماء المجد — هي المدينة الوديعة الوديدة . الكبيرة السعود . مركز الحركة العقلية . والعبقرية العلمية . هي المدينة التي مابرح يهود مصر يستقون من مناهلها العذبة . ويستدرون خير أراضيها الخصبة . ولواء الاصلاح خفاقاً فوق رؤوسهم . وقد تغلغلت فيهم روح النشاط العقلي والاجتماعي . ودبت في كل عضو من أعضائهم الحرارة الصهيونية دبيباً هائلا فهزته . وفشت العصبية الدينية فى كل عرق من عروقهم فحركته . وحضتهم على انتهاج مناهج الهدي والرشاد . واتباع الاتجاهات الفكرية في مختلف التطورات التي أحدثتها اليقظة القومية بعد سباتهم العميق . وهجعتهم الطويلة. أبى الله سبحانه وتعالى إلا أن تكون مصر منذ عصور متوغلة في التقدم مسرحاً تمثل فيه عظماء الرجال ودهاة السياسيين الذين دونوا أسماءهم بحروف من ذهب في صفحات تاريخنا العظيم. وأبى الله أيضاً إلا ان تكون هذه البلاد شفيعة . عطوفة . تشفع لليهود في كل أعمالهم . كانت شفاعتها برداً وسلاماً اثلجت صدورهم . وانعشت قلوبهم شفعت لهم عند ما دارت مفاوضات هامة شديدة الاثر في مستقبل اليهود وجرت أحاديث سياسية مستفيضة. بين تيودور هرزل هذا الرجل

المصلح العظيم الذى هو من أكبر دعاة اليهود وأقطابهم وسنأتي على ذكر جلائل أعماله بعد — وبين الحكومة المصرية واللورد كرومر ممثل بريطانيا العظمى في وادي النيل . توالت المناقشات في خلالها حول أنشاء مستعمرة يهودية في منطقة العريش . وشفعت لهم عندما رحلت التجريدة الصهيونية من طريق القنطرة لاجراء تحقيقات خطيرة جدية . وشفعت لهم عندما منح محمد علي باشا الاكبر مؤسس الاسرة العلوية المالكة امتيازا واسع المدى لموسى مونتوفيوري المثري الشهير أجاز له فيه شراء اية مساحة من الاراضى الكائنة في ربوع الشام وفلسطين لجعلها ملجأ يأوى اليه المستعمرون من اليهود مع الاقرار لهم بشيء من الاستقلال . وشفعت لهم حينما قام كرميو أحد دعاة اليهود الفرنسيين في القرن الغابر وحض على تشييد صرح الاتحاد الاسرائيلي العام ونادى اليهود مستفزاً نعرتهم وحميتهم ليكون اتحاداً متماسك البنيان . ثابت الصبغة . لانقاذ الحضارة اليهودية من منحطها وعثرتها في ذلك الجو المربد القاتم السحب . بينما كان عهدئذ عضواً في حكومة الدفاع الوطني للجمهورية الفرنسية في سنة ١٨٧٠ . وقد وثب هذا الرجل وثبة الاسد الرئبال الذائد عن حياض أشباله ووجه نداءه الى اليهود الفرنسيين . وفاه بعبارات كلها آيات

بينات . وأظهر في محافل حاشدة . واجتماعات حافلة أن الشرق هو مهبط الوحي الذى يربطنا بروابط وثيقة العرى . متماسكة الاواصر. وهو القبس الوهاج الذي ما فتيء يبهر اورشليم بوميضه الساحر . وضيائه الباهر وأن نهوض الشرق هو الشرط الاول في سؤدد السلام . وراحة الانام . وحقن الدماء الحرام وحفظ موازنة العالم . واستواء الاقسام . شفعت لهم حينما فتحت تلك القناة السحرية التي كانت موضوع اعجاب العالم طراً . ومضرب الامثال . وهي قناة السويس . أي الشريان الذى هو قوام حياة الامبراطورية البريطانية . ومصدر نعيمها وقد ضمنت انكلترا لنفسها حق الرقابة عليها . وكان القدح المعلى في بلوغ هذا الارب لوزيرها اليهودي دزرائيلي الذي سمت مداركه السياسية . ونبوغه العقلي . وقد طبق صيته الخافقين لما اسبغ على تلك الامبراطورية من نعماء . وأغدق عليها من ألآء لم يخطر ببالها حتى في الاحلام الجريئة ومازال شأنه يعلو . وعقيدة فضله تتمحص من الشك الى أن اتفق الناس على كونه أحد أفذاذ الغرب الذين قلما جاد بهم الدهر . وواسطة عقد المجددين في عصره

وكان هذا الرجل جامعاً بين العلم والعمل فلا تجد ما يساوي فضله . وبلاغته . وسمو أفكاره . وقوة عارضته . وسحر بيانه .

وغزارة مروءته وطهارة أخلاقه . وهيهات أن يأتي الزمان بمثله

كان سيد النابغين الحكماء . وأمير الخطباء البلغاء . داهية من أعظم الدهاة . واسع الفكر والروية . لوذعياً متوقد الجنان . ساحر البيان . ناري الكلام . لا يني له عزم . ولا يفل له حزم . خبيراً بطبائع العمران وأحوال المجتمع الانساني . ومناهج الحضارات وأساليبها . والثقافات وضروبها الى المنطق السديد الذى لم يقارع به خصما مهما علا كعبه الا أفحمه . ولا نازل قرنا الا رماه بسكاته وألجمه يشهد على نبوغه السياسي البرنس بسمارك ذاته . فضلا عن أنه نابغة من النوابغ المعدودين في مصاف فطاحل العلماء الاعلام. كيف لا وقد رويت أخبار عبقريته موصولة الاسناد بالاسناد . وشهرت أعماله شهرة واضحة الاشهاد . وانا اذا أردنا أن نأتي على ذكر حياته من المهد الى اللحد مع ذكر منازعه بدقائقها . وعقائده بحقائقها . ومنشئاته بنصوصها . وأخبار الحوادث التي خاضها . والمسائل التي راضها لاستغرق ذلك الاسفار الضخام . واذا كان الشعب اليهودي لم يجن أية ثمرة من هذا المشروع الذي تمخضت عنه قرائحهم الحاضرة . وجملته في حيز الوجود أموالهم الوافرة . فانه من المسلم به اجماعاً فى عالم السياسة انه كان التوطئة الاولى التى نجمت عنها بوادر تصريح بلفور . ذلك التصريح

المعظم الذي التميت بذوره في مهاد العالم اليهودي قبل الحرب العظمى بل أكثر . ومنذ ذلك الحين درجت هذه البذور ونمت . مزدادة الاستعداد والقوة الحيوية نمواً مستتر المنهج . بطيء الحركة بادىء ذي بدء . في منطقة ضئيلة المدى تم على التوالي أصبح سبيلا أقوى رشاداً وأوسع نطاقا وتفاعلت في أحشائه عوامل الحركة أبعد متغلغل . وانبثت في عروقه فواعل النشاط أوسع منبث حتى كمل اختماره . وتم استمداده وغدا متجلياً واضحاً . وناحياً منحى حميداً وشفعت لهم في النهاية عند ما أصدر نابوليون بونابرت سنة ١٧٨٩ أمراً لجيوشه هذا نصه :

« أجلالا واحتراماً لموسى الكليم »
« وللامة اليهودية اللذين أرشدانا الى »
« ما كان في غابر الازمان . أمرنا بأن »
« يراعي جيل الشريعة بكل عناية وتبجيل »
« والدير المجاور له بكل تجلة واحترام »

اليهود في عهد الفراعنة

كان النبي موسى عليه السلام أول من تمخضت في ذهنه فكرة القومية اليهودية في غضون تلك الاحقاب والعصور تمخضاً شديداً . وكان أميراً من أكبر أمراء البلاط الفرعوني . ومع أنه كان قابضاً على أزمة البلاد كافة استنكفت نفسه الأبية أن يرى أبناء جنسه عبيداً أرقاء . يرسفون في اصفاد الذل والصغار . وراعه ما وصلوا اليه من بؤس وهوان . إذ تألبت طوائف تريد استئصال شأفتهم بأية وسيلة كانت . وانخرط في سلكها جميع المشاغبين الذين تهيمن أشباحهم في كل اضطراب وثورة . أي كل متشف وحاقد . ومغامر . جلهم من الدهماء وحثالة القوم والاوزاع . فكانوا سيلا جارفاً . وناراً آكلة . ثم سرت عدوى الانتقام الى الجميع . وتسربت الى الجيش . وطبقات الاشراف فتضافر هؤلاء وأولئك ونشروا دعوتهم التي تطاير منها الشرر واللهب ، فصادفت دعوتهم الملتهبة هشيما يابساً . وأخذت تلك الدعوة تتمخض عن بوادر عنيفة .

وصدر الامر بمطاردة اليهود في كل مكان . حتى في عقر دارهم . وفي أحضان أسرهم نخرج الفرعونيون من مرابطهم كالطيور الكواسر اوالوحوش الضواري تكشر عن أنيابها . واثبة لافتراس طريدتها . وطفقوا يسومونهم صنوف الذل وضروب الهوان

تألمت وأيم الحق هذه الامة مما عانت . وأنت من هول ما لاقت . أنت أنين مكلوم الفؤاد . وبكت بكاء الثواكل . وذوي التمائم . وتصاعدت زفراتها حتى بلغت عنان السماء . وعادت لا تقوى على احتمال الصبر على المحن . وانحناء العنق للنير الذي بلغ أقصى مداه . وكانت تلك العاصفة الفرعونية بهبوبها مقلعة كاسحة وجارفة كل شيء في سبيلها . وكادت تلك الجوارف الماحقة تدهم اليهود المصريين لولا أن استفز هذا الارهاق حمية موسى . فثارت ثائرته واستشاط غضباً . وأوغر صدره حنقاً فأرغى وأزبد . وطفق يكافح ويجاهد في سبيل انقاذهم . وما اخمدت ثورة غضبه إلا عندما أطلق لهم عنان الحرية . فظهرت من ذلك العهد فكرة الصهيونية السياسية بأسمى معانيها

تعالى الله الملك الحق . ما أجمل نعمته فقد أبت عزته أن يطيل أجل اليأس والبؤس . ويمد في حياة المحن والخطوب . فقد أرسل لهم هذا النبي لحضهم على التماسك . واستئصال منازع

الشهوات ومقاومة التشاد . واعادتهم الى حظيرة الهدى وملجأ الرشاد . ونبذ روح التنابذ . والحرص على حسن السرائر . وصفاء الضمائر ليكونوا في السراء والضراء . من أطهر الشعوب قلوبا . ومن أشرف الامم اخلاقا

يستطيع المرء أن يرجع بالفكر القهقرى ويرتد إلى الاجيال المتوغلة في القدم . ليتبين المحن والمآسي التي اكتنفت يوسف الصديق ابن يعقوب عند ما شط به المزار .وهجر ارض كنعان . وما حدث لهمن خطوب الزمان وتصاريف الحدثان وما اجراه من التدابير الحكيمة الفعالة لوقاية مصر من المجاعة والقحط اللذين هددا كيانها سبع سنوات متوالية ثم ما ناله من الشرف الرفيع الذي سما به الى اعتلاء منصب من اسمى مناصب الحكم في الدولة

تاريخ الصهيونية
وموسى الكليم عليه السلام

فنحن اذا أمعنا النظر جيداً نرى ان تاريخ الصهيونية في مصر يتناول أربعة أزمنة مختلفة . الاول زمن التوراة والثاني الزمن السابق لهرزل . والثالث الزمن المعاصر لهرزل الذي يبتديء من سنة ١٩٠٤ إلى آخر سنة ١٩١٨ والرابع الزمن التالي لتصريح بلفور

وإذا كان زمن التوراة يرجع الى ما قبل ثلاثين قرنا فانه يجدر بنا مع ذلك ان نجيل نظراً رجعياً للاحاطة بما تركته ماجريات الحوادث التاريخية من أثر عميق في مخيلة الانسان وتصوراته . وبما حدث من التطور العملي وما اليه من مختلف صور الانقلاب من دينية وتهذيبية وسياسية واقتصادية واجتماعية التي تخللت حياة الصهيونية حتى الآونة الحاضرة

على انا نود الاشارة — دون الخوض في تفاصيل دقيقة — الى وقائع اقوى بروزاً واشد ظهوراً للعيان امتازت فيها عبقريتنا

المتيقظة وإلى الارادة المتأججة بنار الايمان التي كانت في كل زمان ومكان تعمل على اذكاء الرغبة في قلوب اليهود وافئدتهم لعناق فلسطين التي يهيمون بحبها الطاهر وجداً. ويحنون إلى لقاء ربوعها الخالدة شوقاً

لاذ موسى باذيال الفرار وهو في سن الاربعين ليس لسبب ما سوى انه قضى على حياة احد المصريين الفرعونيين الذي كان يسيء إلى اسرائيلي ويهينه

هام موسى في المهامه والقفار . وطفق يتجول في فيافي الصحراء وفي فضائها الواسع .وفؤاده يتلظى بنار الاسى والشجون وبينما هو سائر في طريقه اذ هبط عليه الوحي . واوحى اليه ان ينتشل شعبه من وهدة الاسر الذي ناء باثقاله في مصر . ويقوده إلى ارض الميعاد . فأخذت فكرة الهجرة والاستعمار التي كانت تختمر في ذهنه تزداد تجسماً واستفحالا .واسفرت عن خروج بني اسرائيل من مصر . فأسرع موسى الى نشر مبادىء الحرية وأمر بالضرب على أيدي المعارضة والعمل على تقليم اظافرها

تعرض موسى — للاضطلاع بما اوحي اليه — لشتى الاخطار والمجازفات . واستهدف لصنوف المحن والملمات وظل يوالي جهوده برباطة جأش . وجاهد ثابت في اعداد ابناء جنسه

للكفاح والنضال . ويدربهم على الكر والفر واساليب الحروب في ميدان القتال. لكي يتم لهم الاستمتاع بعدئذ بحياة قومية استقلالية. من الوجهتين المادية والسياسية. ويتسنى لهم إنشاء حضارة تتدرج مدارج الرقي والثبات

شاءت الارادة الالهيـة أن يكلل موسى بأكاليل النصر والظفر . واراد المولى عز وجل. ان يوفق الى ما كان يصبو اليـه ويبتغيه . ويضع شعبه في احضان فلسطين.

ولج بنو اسرائيل بابها بعد ما عانوا من لواعج الشوق ألوانًا. وكابدوا من فرط الصبابة ضروبا . فتربعوا في دست مملكتها ما ربى على بضعة اجيال. وغدوا امة رافلة في حلل المجد العظيم . تستجلي في غضونها محيا الخير والنعيم.

ولئن كان النيل غمر مصر بنعمائه. وافاض عليها خيراته وآلاءه وجعل تربتها اشد خصوبة . وسكانها اوفر ثروة وغناء من فلسطين التي لا تضم في احشائها سوى نهر العرضي الذي لا يستقيم في سيره . بل يجري في تعاريج شتى. وحنايا مختلفة. الا ان الشعب اليهودي آثر شظف العيش فيها ومرارة الحياة . والصبر على المكاره . والجهاد في سبيل الحرية . على ربقة الخسف . وعذاب الاسترقاق في مصر

يوسف الصديق في مصر

نزح يوسف عن بلاد فلسطين وجعل قبلة مراميه مصر . هكذا شاء القدر الذي قاده اليها لانقاذها من براثن المجاعة . ومخالب القحط اللذين كادا يفتكان بها ويقضيان عليها . وهكذا شاء الحظ أن يكون حاكما على أهلها بعد أن زج في غيابات سجونها . قضى العدل بأن يكون محوطاً بأكمل ما يقتضيه هذا المنصب الرفيع السامي من الكماليات والرفاهيه . وقد أمد الله في عمره . وبارك في حياته الى أن بلغ المائة والعشرة من السنين. ولكنه قبل أن يجود بالنفس الاخير . وقبل أن صعدت روحه الطاهرة الى جوار خالقه . ناشد بني اسرائيل الوفاء . وقطع عليهم عهداً أن تكون أرض فلسطين مأواه وجوانحها مقره الأبدي ومثواه.

فهذا المغزى النفساني العظيم . وما انطوى عليه من المعاني السامية . ورموزه البديعة . لهو أبلغ ما عبر به انسان عن مقدار ثبات اليهود العميق وغوره . في كل زمان ومكان . وعن أماني

الاتقياء الورعين فيهم . وهي أماني كانوا يتوقون اليها فى ممر العصور وكرور الاحقاب والدهور . أى الهجوع في مضاجعهم الابدية في الارض المقدسة التي ترفرف عليها روح الخالق القهار

ويجدر بنا أن نذكر في هذا المقام أن اليهود الذين قضي عليهم القدر القاسي بالتفرق وتبدد الشمل في أقطار المسكونة . لاسيما اليهود النازلين في اوروبا الشرقية قد تأصلت فيهم العادة أن يجهزوا وهم على قيد الحياة . قطعة أرض لتكون مرقداً أبدياً . وجدثاً يواري جثمانهم بعد مفارقتهم الحياة الدنيا

تالله . ما أجمل هذه العقيدة . وما اسمى هذا الايمان . ايمان الخلود . وعقيدة الابدية . أجل ان في السماء لخلوداً . وأن في الارض لايماناً . فأي دليل أشد استئثارا بهوى النفس من هذا الدليل وأي رمز أقوى من هذا الرمز . أي تخليد الارادة وأصرارها على المحافظة على دوام الاتصال بالوطن النائي حتى الممات

الملك سليمان
وعلاقاته مع الدولة الفرعونية

في عهد حكم الملك سليمان كانت علائق الوداد التي تربط مملكة بني اسرائيل بالدولة الفرعونية شريفة الاواصر . طاهرة العناصر . وكان من مزايا هذا الوداد ونتائجه أن سليمان عليه السلام كان يؤثر استجلاب المواشي . والدواب اللازمة لخدمة القوافل التي يعهد اليها في تموين المحاصيل ، من وادي النيل . ولشدة كلفه بها دفعته ميوله في نهاية الامر الى عقد زواجه على بنت من بنات فرعون ملك مصر وقتئذ

وقد لاحظ المؤرخ واس المعاصر ان حادثا كهذا كان ذا اثر عميق فى تاريخ مصر .ذلك ان ملكا كالملك سليمان . لا يمتد حكمه وسلطانه الاعلى بلدان محصورة في دائرة ضئيلة المدى . استطاع أن يتزوج من أميرة فرعونية ، لهو دليل ناهض على ما كان عليه ملك بني اسرائيل في ايام مجده من السطوة والعظمة . وسمو المكانة لدى المصريين الذين كانوا يرون بعين الارتياح مقدار الفوائد التي تعود على هاتين الامتين من جراء هذا الزواج الاثيل

المراحل التي اجتازتها الصهيونية

قلنا ان موسى كما تقدم الالماع كان أول من شيد صرح الصهيونية . ووطد دعائمها . ونشر مبادئها السياسية وقد اثبت لنا الواقع ان الصهيونية ليست فى عهدنا هذا سوى حلقة من سلسلة متصلة حلقاتها بعضها ببعض اتصالا مستمسكا وثيقا ومتواثقة أجزاءها تماسكا محكماً شديداً

ثم قام بعده عدد من رواد الاصلاح ودعاته . كانوا فى كل اعمالهم أميل الى انتهاج مناهج الرفق والموادعة . والروية منهم الى العنف . والمشاكسة والرعن . ينهون ويوقظون ويحضون اليهود على انهاضها ويستحثونهم على الجهاد فى سبيل اعلاء شأنها ورفع مستواها الادبي والاجتماعي . فطفقت تعبر اوعر المفاوز العديدة المناحي . وتجتاز اشق الادوار المتشعبة المسالك بنفس هادئة وديعة . وجلد ثابت وطيد . فذاعت ذيوعاً قل ان يعرف له مثيل ثم نمت وامتدت جذورها . وتشعبت اغصانها وفروعها . وأينعت ثمارها . فقد كرت عليها احقاب عديدة . فما اوهنت هذه

الاحقاب منها جانباً ولا ضعضعت لها كياناً . بل كلما تمادم عهدها ازدادت قوة ومناعة واعتزازاً حتى غدت ابعد اساساً ومنبتاً . واشق استئصالاً إذا اريد استئصالها واشد مقاومة لكل طاريء عليها في جميع هذا الوجود الانساني والعمراني والاجتماعي .

فالمرحلة الاولى التي تسنى لها اجتيازها. كانت الادوار التي تعاقبت فى عهد انبثاق صبح تاريخ بني اسرائيل .ثم تخللت بعدئذ جميع الاجيال التي عمر فيها موسى وما يليها . ثم واصلت السير بالسرى . وما انفكت تكد فيه كداً حثيثاً حتى لاح ضياء برقها ووميض سنائها في أيامنا هذه . فلو أجلنا نظرنا في مشروع موسى لنستشف ما انطوى عليه ادراكه . والمناهج التي انتهجها في سبيل تحقيقه .لوجدناه يكاد يكون مطابقاً في معناه ومبناه لتعاليم هرزل ونظرياته. التي جل مرماها اظهار الوصمة التي لا مندوحة من ان يوصم بها اليهود . والعار الذي يرتدونه إذا ظلوا واجمين واجفين . وتركوا زمام حياتهم تحت رحمة الامم التي تعاملهم معاملة الارقاء واثارة وجدانهم .والحض على إيقاظ ارادتهم من سباتها والتمسك بالكرامة.والافلات من الفاقة الادبية وبؤسها.

كل هذه الزواجر تميط اللثام. وتظهر لنا ان الخطط التي رسمها هرزل . كانت على وتيرة واحدة مع التي وضعها موسى . وكانت

مشكاة يهتدون بهديها فأزالت عن أبصارهم غشاوة الجهل والغباوة التي كانت مخيمة عليهم . واشباح المحن والرزايا التي كانت تنتابهم . فموسى وهرزل كانا صنوين لا يختلفان لا في المبدأ الذي كانا ينشدانه ولا في الهدف الذي كانا يرميان اليه

هما اثنان اذا نريد ان نقارن بين هذين المصلحين . شاء الله ان يكون للمقارنة بينهما في بعض النظريات الاجتماعية سبيل . هما من دعاة الانصاف تفانيا في مداواة علل شعبهما . والعمل على رقيه تهالكا عليه . آثراه على كل شيء . واستهانا في سبيله كل شيء

شاء الطالع ان يقود كل منهما شعبه الى فلسطين . ولكن أبى القدر الساخر إلا ان يقفا على بابها واجمين . وجلين . ذاهلين . لا يستطيعان الى الارتشاف من رضابها سبيلا

حاشا لله ان نجعل المقارنة متساوية بين هذين العظيمين ومعاذ الله ان نسبك روحهما في جوهر واحد . بل اتينا على ذكرهما على سبيل المجاز اذ ما من احد يجهل ان موسى كان في آن واحد رسولا وفيلسوفا وواعظاً ومشترعاً وكل يعلم ان هرزل كان رمزاً للسلام وشعاراً للاستقامة والكمال فقد عانى في سبيل رقي اليهود من وعثاء الفكر ضروبا ومن كلال الاعمال صنوفا فكم ليلة قضاها مسهداً يرعى السهى في غسق الدجى يشحذ غرار افكاره

للوصول إلى تلطيف ما بهم من لوعة ووجوم فقد برى الـكـفاح هذا الرجل واضناه . كوى موته جوانح اليهود كيا أليماً . لعمري لم يكن هذا الرجـل في حياته محتاجاً إلى نشر مناقبه ولا إلى اظهار ما اسداه من كرمه وسخائه لما ناله من المجد والفخار وإلا لمدحنا اعماله بمداد الجوارح وأذعنا مآثره في المشارق والمغارب



تیودور هرزل

هرزل مولده ونشأته ومشروعاته الاصلاحية

هرزل مولده ونشأته

ولد هذا الرجل بمدينة بودابست فى اليوم الثاني من شهر مايو سنة ١٨٦٠ جادت الانسانية بهذا المولود ليكون كوكباً وهاجاً تستنير به اليهودية . ولم يكد ينبلج صبح حياته حتى احس فى نفسه بميل شديد إلى اقتباس العلوم والمعارف فعكف على الدراسة الثانوية حتى اتمها . ففي سنة ١٨٧٨ نقل إلى مدرسة الحقوق بمدينة فينا عاصمة النمسا وبعد ان نال شهادتها النهائية (الليسانس) انخرط فى سلك الجمعية اللغوية الالمانية ولكن نفسه الابية استنكفت مواصلة العمل فيها لما بدا له من الحملات العنيفة التي وجهتها هذه الجمعية نحو اليهودية

كان هذا الرجل مندفعاً إلى العلم اندفاعاً فطرياً وبعد ان درس الفقه الرومانى والتشريع الاوربي واحرز الدكتوراه في الحقوق فى سنة ١٨٨٤ طفق يزاول مهنة المحاماة امام محاكم فينا وسالزبورج ردحاً من الزمان وظل مستطرداً هذا الكفاح حتى

سـنة ١٨٨٨ ولعل العامل الاكبر في ذلك طموحه إلى اعتلاء منصب سـام في مناصب القضاء ، بيد أن نفسه سئمت الوحـدة والانفراد فتزوج في سـنة ١٨٨٩ من فتاة كانت على جانب عظيم من نبل السجايا ومكارم الاخلاق تسمى جوليا نشاور . رزقت ثلاثة اولاد وهم بولين وهنس وترود ثم انتقل إلى باريس فعين فى سنة ١٨٩٥ محرراً فى جريدة « نوفريك بريس » وذلك فى الوقت الذي نجمت فيـه بوادر الاضـطهاد الذى اثاره (دريمون محرر الابر بارول، والماركيز دى موريس) نحو اليهودية بينما قد بلغت مسألة القومية الفرنسية اعلى ذروتها وغلت مراجل العدوان غلياناً هائلا كادت تقضي على اماني اليهود الامر الذي جعـل مشروع المملكة اليهودية يختمر فى ذهن هرزل

هرزل ومشروعاته الاصلاحية

اصبح هـذا الرجل من غلاة الصيونيين ودعاتهم وكان اعلامهم كعباً وأصلبهم عوداً وأرسخهم علماً بأسرار نهضات الامم وتقدمها .دامغ الحجة قاطع البرهان. ناهجاً مناهج قويمة. ومتبعاً سبلا سديدة . شاعراً حقاً بأن الفترة لعصيبة. وعالماً ان هذا الدور من اشد ادوار اليقظة وادوار التمخض والانتقال. وادرك حق الادراك انه إذا رام العالم اليهودي حقاً تحرير نفسه من تلك الاصفاد والافلات من نير الاستعباد . ينبغي له ان يسعى سعياً باتاً جامعاً للوحدة العامة . والرابطة الكبرى .والنهضة الصحيحة .القائمة على اسس العلم واركانه للحصول على الاستقلال السياسي الذي يجب ان يتقدمه التجدد الروحي . والعقلي . والعلمي . والادبي. والتربية النفسانية القويمة . وانه متى صاحت نفوس اليهود . واعتزت . وذكت . وأمست حائزة للمزايا النبيلة التي تشمل إباء الضيم . وعياف الذل. سهل إذ ذاك كل عمل في سبيل هذا الاستقلال .

ولم تتوان هـذه الروح الهرزلية فترة من الزمان عن العمل ولم تخمد حرارتها فيه . بل كلما اشتدت عليها النوائب كانت تزداد تأريثاً وإيقاداً . توصـلا إلى اعزاز هذه الرابطة .وذاك الاصلاح . وما برحت تعمل على النفخ فى ضرم الصهيونية . وبث دعايتهـا ومازال هـذا الرجل فى نضال هائل . ومعمعان رائع . سائراً في توطيدها سير الجبابرة ذائداً عن سياجها حتى اصبحت اليوم عاملا من أقوى العوامل في تيار الحركة اليهودية العالمية .

كانت تلك المؤثرات باعثاً قوياً على استيقاظ العصبية الجنسية والدينية عند اليهود.فهزت الصهيونية من اقصاها إلى اقصاها .لأن هـذا الرجل ما انفك يبسط لهـا ضرورة الاقلاع عن الافتخار الأجوف بمجد تالد. افتخاراً بالغـاً حد القعود عن استئناف طلب العلى طريفاً.ودعاهم للوقوف على مافى العالم من وسـائل التقدم . وذوائب العمران وأكد لهم ان ارتقاء الممالك وحضـارتها في هـذا العصر . لم يأتيا عفواً بلا نصب ولا هما منحة جادت بها الطبيعة . بل هي ثمرة التقدم . والفنون والعلوم . واكتناه اسرارها اكتناهاً توفرت فيه وسائل الثراء باستخراج كنوز الأرض . واحياء الصناعة والزراعة . وذلك نتيجة أمرين لاثالث لهما : العدل النزيه. والحرية الذاتية . وسرد لهم ما كان للعالم اليهودي في الأجيـال

الخوالي من العظمة والسمو . ثم افلت شموسه . بسبب التقاعد . واخذ يتخبط في الدجنات والظلمات . ثم بعث هذا الرجل في الصهيونية روح الحرية . والعمل . والارتقاء فالدواهي التي دهت اليهود . والنوازل التي نزلت بهم في خلال الحقب والقرون قد جددت في اعماقهم عواطف التآخي . والتوائق . واشعلت صدورهم مقتاً . وكرهاً للبغاة الجائرين .

راح اليهود المنبثون في ارجاء العالم يجتازون هذا الدور الخطير . للخروج من تلك الدياجي القاتمة الكثيفة . وعلم هرزل يخفق فوق رؤوسهم . وقد نشطوا من عقالهم . والتظت نفوسهم مشتدة الحركة والانفعال . يجنحون إلى كل ضرب جديد من ضروب المطامح والآمال . حسب ماتقتضيه سنن العمران ينزعون منزعاً قومياً . ويحاولون نهضة وطنية . تحركهم روح الايمان . والصبغة الدينية .

اقام منشي بن اسرائيل في كتابه القويم (نشمات هلحايم) ارواح الاحياء الدليل بالبينة الدامغة على ان الفلسفة المصرية والأغريقية مستقاة في الأصل من الأساطير المقدسة ومشتقة منها ؛ ولما كان افلاطون قد تغذى بلبانها ورضع أفاويق تعاليمها اطلق عليه فيما بعد اسم موسى الاغريقي

ناحوم سوكولو
وأحكام القانون

وقد ذكر المرحوم ناحوم سوكولو في كتابه تاريخ الصهيونية إن احكام القانون التي امر موسى بتطبيقها يجب اعتبارها بمثابة دستور مقدس منيع . وضعه المولى عز وجل قبساً وهاجاً لبني اسرائيل لهدايتهم . لأنه هو المليك الوحيد المراقب لحركاتهم . والمهيمن عليهم فالدستور هو الشريعة التي يخضعون لأحكامها . ولا يستطيع اي انسان انتهاك حرمتها . والكهنة واللاويون هم قادة الدين وزعماؤه . واما الانبياء فانهم رسل الله . ومنفذو ارادته. واشار الى ان المملكة يجب اعتبارها عرشاً سماوياً ينبعث منه النور الالهي . يحكمه الخالق بمحض إرادته . والملك ليس سوى حاكم في الأرض . لا حول له ولا طول إلا بقوة الله يأتمر بأمر الحي القهار . المحجوب عن الأبصار .

ولما كانت حقوق السلطة المخولة للملك محصورة في دائرة دستورية لا يتعداها . وجب عليه وعلى من عهد اليهم في شرح الشريعة وتفسيرها . الرضوخ والاذعان كما جاء في نصوصها

وشروحاتها . كما يخضع لها الملوك الدستوريون في عصرنا هذا

ولسنا نتورع لحظة من الجزم بأن مملكة كهذه قائمة على الانصاف والنزاهة. لم تحد عن مبادىء العدالة قيد انملة . لهي وأيم الله عديمة النظير . لا مثيل لها في أي عهد كان بين الأمم الأخرى وقد عقد الشعب اليهودي العزيمة على ان لا يألو جهداً في سبيل انهاض مستواه الأدبي والاجتماعي . وعلى ان يظل دائباً في هذا العمل حتى يغدو مثلاً اعلى لأمم الأرض قاطبة . وقدوة لهم في مستقبل الأيام .

على ان الفكرة الأساسية التي كانت تجيش في صدر موسى هي ان مستقبل القومية اليهودية لا يبسم له محيا السعادة . ولا يرجى له النجاح إلا بتملك الشعب اليهودي الأرض في فلسطين تملكاً مستديماً خالداً . إذ ان الاقامة خارج الوطن ليست في الحقيقة إلا مظهراً من مظاهر التفرقة الهدامة الأليمة مع ما تجره وراءها من محن وخطوب وتبديد الشمل . وفناء . فهي نذير السوء تفتك كالأمراض الوبائية فتكا ذريعاً . ومصيرها آيل الى الاندثار . والانمحاق : والبوار . اما الحياة داخل الوطن أي الالتئام . ولم الشمل . فهي حياة تضامن ثابت . واتحاد وثيق . فهي طليعة الخير والسؤدد. تبشر بحياة هنيئة مرضية يسودها الأمن ورغد العيش والرفاهية

لا مراء في اننا اذا محصنا عواطف هذا الكليم تمحيصاً نزيهاً دقيقاً . وجدناه متصلا بتلابيب عقيدته . ومتمسكا باردان وطنيته تمسكا متينا عميقاً . اي انه جامع لثلاثة مباديء قومية شريفة راسخة في دمه ولحمه وجوارحه . لا تقبل انحلالا . ولا انفكاكا . لا ينصرف عنها قيد شعرة . ولا يستطيع احد من اليهود انكارها . اللهم إلا إذا انكر صحة ما جاء بأسفار التوراة . ونفى وجود موسى ومعجزاته . نفياً اثيما .

الزمن السابق لهرزل

ابنا في ما تقدم ما حدث من التطورات في عهد يوسف الصديق . وموسى الكليم . فكان من حقكم علينا ان نسرد لكم الزمن السابق لهرزل . وهو زمن تعاقبت فيه حقبتان متباينتان مختلفتان في أعمارهما . وفي التطورات التي حدثت في غضونهما . فالدور الأول كان طويل المدى . ينيف على ثمانية عشر قرنا . قلما حدث في خلاله شيء جدير بالاهتمام ..سوى حادث شديد الأثر وقع في الفترة الأخيرة منه يجهله الكثيرون وسنأتي على ذكره بعد . أما القرن التاسع عشر . فكان على نقيض ذلك . بل كان فياضا بالمفاجآت . غاصا بحوادث وقعت في مصر . نستطيع القول بأن الرجال الذين لعبوا دوراً هاماً فيها كانوا بلا مشاحة من عظماء الرجال. وفي طليعة المبشرين بالعمل الهائل الذي ينجز الآن في أرض بني اسرائيل .

وفي مهد الحوادث التي تخللت الأحقاب الستة الأولى. كان اليهود المستوطنون مصر .على اتصال مطرد باخوانهم في بلادا الجليل

التي استقر بهم المقام فيها بعد ما طردهم الرومان . وأوسعوهم عذابا وإرهاقا . ونبذوهم نبذ النواة . وفي وسط هذه العلاقات مد يهود مصر يد المساعدة والمؤازرة لاخوانهم للنهوض بالعمل الأثري الخالد في فلسطين . وعاونوهم في انشاء كتاب التلمود . وتنميق عباراته . كما عاونوا اخوانهم في الأقاليم الأخرى ماديا وأدبيا . وحضوهم على التفاني في سبيل تقويض صروح الاستبداد والعسف اللذين كان يعاملهم بهما أولئك الطغاة الفاتحون .

ثورة باركوخباه الكبرى

ثم انتشر اليهود في القرن التالي .وانبثوا في الأرجاء المجاورة وأقبلوا عليها زرافات ووحداناً على أثر العصيان الجريء الباسل الذي جاهرت به جمعيات يهودية متفرقة . ثم أعقب ذلك هياج وشغب . أورى المشاغبون أوارها . وأضرموا نارها . فأخذت اليقظة الصهيونية تجوب آفاق العالم اليهودي . وهب اليهود من كل فج هبة الذعر وهاجت فيهم النعرة الدينية . وطفقوا يوقدون نار حماسهم حتى كانت ثورة (باركوخباه الكبرى) . فاظهر هؤلاء اليهود من شدة الاستبسال والمغامرة فى القتال.مالم يسمع بمثله من قبل .وقد تألفت عهدئذ فى مصر جموع عديدة من اليهود انهالت من كل حدب وصوب .وتماسكت اجزاؤها بعضها ببعض تماسكا وثيقاً حتى أصبحت كتلة واحدة منيعة السياج . لا تجرؤ عوامل الدهر على انفكاكها . لها معابدها ومدارسها. ومعاهدها.وبلغ فيها الشعور الوطني أعلى ذراه . والثقافة الادبية والعلمية أقصى تقدمها

كانت هذه الكتلة أمينة وفية كل الوفاء . وحريصة شديدة الحرص على ولائها لوطنها التالد الذي ما فتئت على اتصال تام به .

بنيامين الفاتح

على أنه لم يكد ينبلج صبح القرن السابع حتى أشرق في سماء فلسطين. شهاب ثاقب جديد. فأضاءها بوميضه الساطع. وجماله الرائع. فتوسم اليهود في وجه هذا البدر مخائل السعادة. وعلامات الخير التي ما زالوا يحلمون بها. نعم هداهم هذا البدر بنوره الوهاج. في برهة وجيزة من الزمان. وأرشدهم الى الضالة التي كانوا ينشدونها

ذلك ان فلسطين استعادت استقلالها القديم بسبب ان كسرى ملك الفرس كان قد أعلن الحرب على الفاتحين. فتأهب اليهود للقائه واستقبلوه استقبالا باهراً وطلبوا اليه التآزر والتعاون ليخوضوا معاً معامع القتال. وليشتركوا في حومة الوغى والنضال وطفقوا يتضرعون الى الله سبحانه وتعالى. وعلا ضجيجهم الحربي واناف حتى بلغ عنان السهى

وكان في مصر وقتئذ رجل يهودي ماهر في فنون الحرب طامح الى المعالي يدعى بنيامين قام بتنظيم جيش مؤلف من ثلاثين الف رجل. وهرع الى الانضواء تحت علم هذا القائد كل من كان

على مثل بسالته . ونفخ في أبواقه فانتظم في سلكه نخبة الشبيبة التي تحركها جذوة الارادة المضطرمة . وكل الذين تهيمن شجاعتهم في ساحة الحرب واقتحام الاخطار . أي كل فارس غضنفر وشهم متحمس وبطل مغوار . فانضم هؤلاء الى أولئك وخاضوا المنايا . وقد أطربهم وقوع القواضب ورنين المرهفات . فأبلوا في عدوهم بلاء حسناً . وفتح هذا الشهم بمعاونة هذا الملك العظيم معظم بلاد فلسطين. ثم تولى ادارة شئونها . وقبض على زمام أحكامها مدى أربع عشرة سنة .

فكان هذا المجاهد أجزل نجاحاً . وأوفر حظاً من ابي عيسى اليهودي . الذي جرد هو أيضاً جيشا مؤلفا من يهود الشام . ويهود العراق للغرض نفسه. ولكن سرعان ماتداعى هذا النجاح . وعفت رسومه فكان قصير العمر ضئيل المدى . أشبه بسحابة صيف ما عتمت حتى انقشعت وزالت (انظر كتاب برنستين في الصهيونية صفحة ٧)

قل لي ناشدتك الله . أية بسالة تضارع هذه البسالة . فلعمر الحق ان أولئك الابطال . الذين تتلظى في أفئدتهم شعلة الوطنية الملتهبة . هؤلاء البواسل الذين اقتحموا بقيادة هذا اليهودي المصري غمار تلك المعارك . بين صهيل الصافنات وصليل الصوارم .

والحرب دائرة الرحى . والموت أمامهم فاغر فاه . وسيف القدر ينذرهم بالفناء . لهم جديرون حقاً بأن تكتب أسماؤهم في صفحات الفخر وسجلات الخلود .

ومما يستأنس به في هذا المقام .أن اليهود مهما أخنى عليهم الدهر . وأزرى بهم الزمان . فانه لا يبعدهم عن أورشليم بؤس ولا ضنك . ولا يصرفهم عنها وهن ولا كلال . بل تغريهم بها الكوارث كلما زاد عليهم وطؤها .وناء بهم عبئها . فأصبحوا كلفين بها . راغبين فيها . لا يحيون إلا لها . ولا يغتبطون إلا بها . فليس من العسير أن تطلق لذهنك العنان فحدث وابتكر . وصف . ولا حرج . ولكن مهما تبذل من قوة النفس فليس الى الغبطة بأورشليم والى ابتهاج العودة الى الوطن من سبيل . فهما فوق الوصف . لان فيهما من اللانهاية . وقد عزاهم هذا الابتهاج عن البؤس وسوء الحال .

ثم ليس بعجيب اذا رأينا اليهود متهالكين عليها . باذلين أرواحهم ومهجهم وكل عزيز لديهم في حبها .وانهم ليسوا بمسرفين اذا تفانوا في سبيل احتضانها . وليسوا بمغالين اذا أطنب مصاقع خطبائهم . وفحول شعرائهم في وصف روعتها وبهائها . وتغزلوا بسحر أماكنها ورهبة معابدها .

وقد فاه أحدهم بهذه العبارات التي تسيل رقة وتؤثر في الوجدان تأثيراً شعرياً .

«أي أورشليم. ألا أيتها المدينة الفتانة . انك وأيم»
«الحق مدينة . ساحرة جذابة . فوالله لا أدري»
«أرحيق . أو كوثر . أم سلاف يسيل من ثغرك»
«الصافي. أم سحر . أم طلسم . أم آيات كتبت»
«على ذاك المبسم الشافي . ليت شعري هلا درى»
«العاشقون انهم قبل رشف رضابك يسكرون»
«من خمرة لمالك . أو فطن اهل السقام الى خفايا»
« تلك الرموز فجاءوا يبغون البرء من ثناياك » .

ولا يخامرنا شك في ان زعماءنا الصهيونيين لم يحجموا عن جمع هذه الحوادث وتنسيقها . ولم يتورعوا من الاستفادة منها . وابرازها بصورة اثارت وجدان مؤتمر السلام الذي عقد بمدينة فرساي. وذلك للاستعانة به فى الذود عن مصالحهم . وتقرير مصائرهم فى فلسطين. تقريراً راسخاً وطيداً . كلما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

ويخيل لنا انه لم يبد أي نشاط جدير بالذكر خلال هذه الاحقاب من قبل الصهيونيين في مصر . اللهم الا بعض شغب

موضعي حدث في سنة ١٦٦٣ استنكفوا منه وحملهم على أن يعكموا الامتعة . ويشدوا الرحال ويؤبوا الى فلسطين بعد بيع ممتلكاتهم . وأعيانهم وتصفيتها . كما حدث في بلدان أخرى كايطاليا . وألمانيا وهولاندا .

على أنك تستطيع تعليل جمود العمل . وشل حركة نشاطه . بأفول نجم يهود بابل وانمحاقه . وهذا الجمود كان شديد الغور . عميق الأثر . أحس به اليهود المصريون . وشعروا بويلاته . ذلك ان مدينة بابل . كانت المنهل الوحيد الذي كان يروي أوامهم . بحلاوة كوثره . والمهبط الفريد الذى كانوا يستمدون وحيهم منه .

في مهد الفتوحات الاسلامية

واحتفاء أمراء العرب باليهود

واكرام وفادتهم

في مهد الفتوحات الاسلامية . والغزوات العربية. هجر اليهود تلك المدينة. وتركوها تنعى من بناها. وولوا وجههم شطر الاندلس ثم اقتفي أثرهم جماعات من يهود مصر . فنزلوا ضيوفا على أمراء العرب المسلمين. ولجأوا إلى سخائهم الفطري . وكرمهم الحاتمي . ولم يكن من هؤلاء الاجاويد الا أن أحسنوا ضيافتهم. واكرموا وفادتهم . وانزلوهم بين ظهرانيهم واحاطوهم بشيء كثير من العطف والعناية .فرفلوا في مروط المرح. وطاب عيشهم هنالك. واستمرأوا لذة الحياة. وعذوبة المعيشة. بعد طول الاحن التي المت بهم والكوارث التي ساورتهم . وهكذا سكن ثائر روعهم . وانقشعت غياهب بؤسهم . فأنشأوا معهداً علميا فخما . كان كعبة العلماء. ومحط رحال الشعراء. وقبلة الادباء . ونطس الأطباء. وأسفر ذلك التضافر العلمي والاجتماعي . والتعاون العقلي والأدبي . عن ابراز نفائس العلوم وكنوزها وتحف الفنون ورموزها . نفائس تسامى ذكرها. وتعالى قدرها .وطبق صيت مؤلفيها الآفاق . وشهرة واضعيها العالمين

علماء اليهود والالمان

لامشاحة أن كل من تبحر في العلوم الاقتصادية والاجتماعية وتوغل في أعماقها. ينظر الى أعمال اليهود الالمان بعين العجب. وتعتريه الدهشة لما أنتجته هذه العبقرية الخلابة. التي استمدت وحيها من ذهنهم الثاقب. وما أظهرته من الثقافة ومناهج العلوم في القارة الاوربية في أيامنا هذه. والمخترعات التي فاقت حدود اذهان البشر وما أنجبته من فطاحل العلماء ومن الفلاسفة والممثلين. وما أحرزوه رغم الاضطهادات. من المكانة السامية في ميدان النشاط العقلي كما أحرزوا مكانة رفيعة في ميدان النشاط الصناعي وغدوا قوة سياسية لا يستهان بها. وحسبنا دليلا ناهضاً على ما قدمناه هذا التعاقد البديع. والتضامن السامي. اللذان ظهرا الآن من جانب الاسرائيليين في جميع أقطار المسكونة. من أقصاها الى أقصاها وهذه المقاطعة البديعة في تنظيمها. التي اتخذها يهود العالم سلاحا ماضياً لمقاومة الالمان. ووسيلة فعالة لشل تجارتهم. واستنزاف مواردهم مالية كانت أم صناعية في كل فج من أفجاجها. لا سيما في مصر. اذ ليس من شك في أن الذي قام بتنظيم هذه المطاردة للضرب على أيدي الحيف والجور هما اثنان أولهما :

الاستاذ ليون كاسترو

كاد الالمان لليهود وأغروا بهم الناس واذاعوا حولهم أشاعات السوء فنالوهم بما نالوهم به من ألوان الاذى بهذا النحو من الانتقام وبهذا النحو من التشفي وارادوا أن ينكلوا بهم .

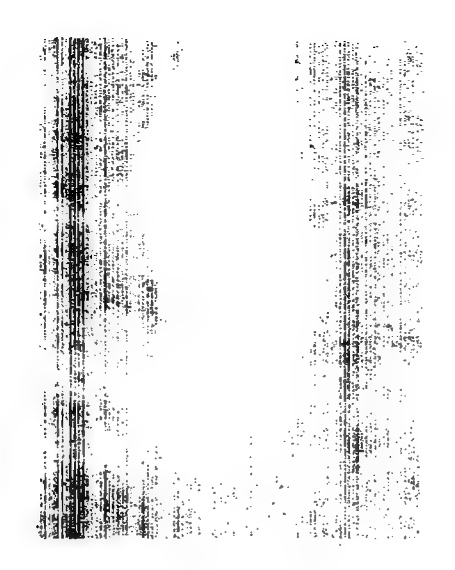
وضع الالمان بين أيدي الناس في أواخر سنة ١٩٣٣ بايعاز من بعض دعاة السوء منهم نشرة باللغتين الالمانيه والفرنسية ضد اليهود ومن استمراء هذه النشرة القاذفة سبابا وأمعن فيها نظراً نزيها استشف من خلاياها صنوفا شتى من الهجو والتشنيع وضروبا جمة من القدح والتشهير. استشف اشنع الاكاذيب واسوأ الترهات وابشع السفسطات وأقزع الالفاظ .

وكان القائد الى هذه الرزايا والسايق الى هاته المناكر نفر من هؤلاء القوم .

خاصم اليهود الالمان فلجأوا الى الاحتكام . واختصموا الى هيئة نزيهة . احتكموا الى قضاة بعيدين عن التأثر بالمظاهر بريئين عن التعصب وفى طليعتهم رئيسهم الجليل فالـكي كو .



الاستاذ ليون كاسترو



برز فى ميدان النضال للدفاع عنهم والذود عن حجام البطل الصنديد والمقارح الشديد ليون كاسترو

خاض كاسترو غمار هذه الحرب القضائية وحده بيد ان نضاله كان محصوراً في دائرة من الدفع الفرعي محدودة

اعلن الرئيس فتح الجلسه وكان ذلك في اليوم السادس عشر من شهر يناير سنة ١٩٣٤ . كانت هذه القضية من أهم القضايا التاريخية التي شهدتها المحكمة المختلطة فقد بلغ الزحام ذراه واللغط اقصاه

نعم كانت الفترة لعصيبة وكانت قاعة الجلسة غاصة بالجماهير حافلة بالمحامين اليهود وغير اليهود ومحرري الصحف والسيدات والآنسات وأعاظم الناس . ثم ساد الصمت أثر اعلان فتح الجلسة وفي وسط هذا السكون الرهيب لم يسمع سوى تصاعد الأنفاس ودقات القلوب . ولغة العيون ، وأما الاذهان فكانت تذهب فى تخيلاتها وافتراضاتها مذاهب شتى

كان كاسترو في دفاعه وكفاحه باسلا شديد العارضة قوي البرهان ـ وفى تدفق عباراته شجاعا بارعا رابط الجأش ثابت الجنان ـ يتابع الدليل بالدليل ويقرع الحجة بالحجة

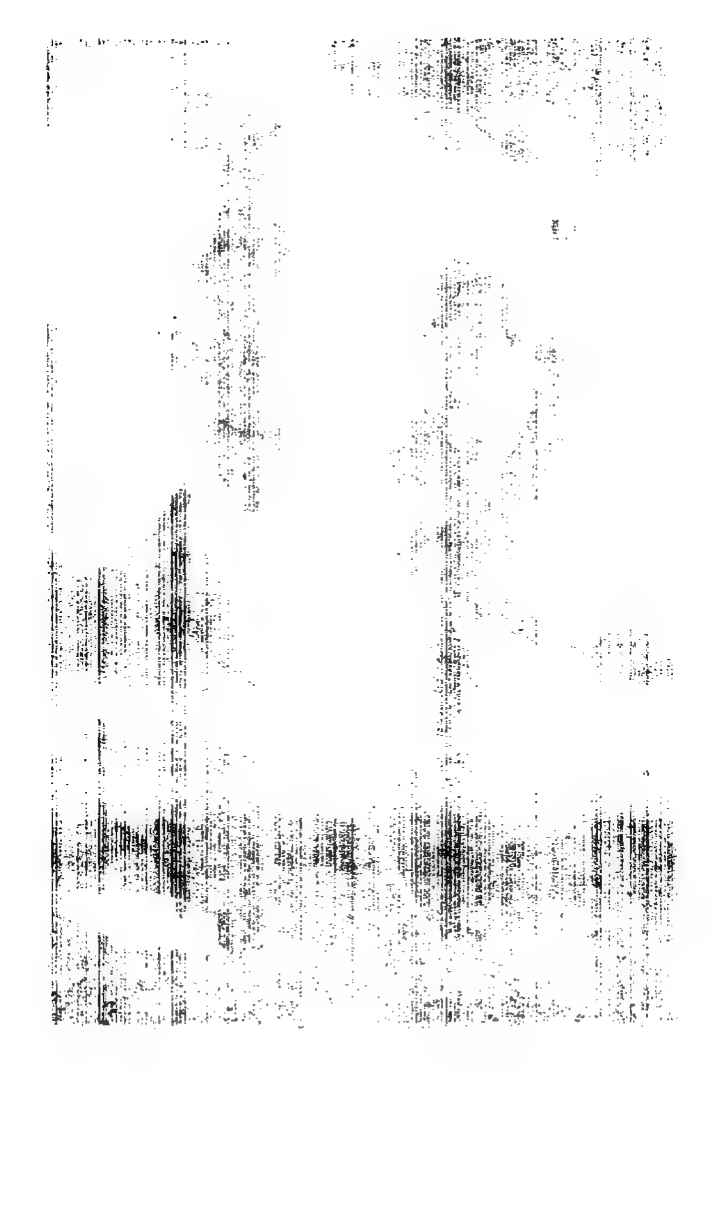
انحصرت حماسة هذا الرجل فى عواطفه وفي دمه وفي روحه وفي وجدانه وفى كامل جوارحه

تكلم هذا الرجل فاشرأبت أعناق الحاضرين لاستماع كلامه وتشنيف آذانهم برشاقة عباراته المفرغة في قوالب البلاغة . وأبلى بلاء حسناً في دفاعه عن نظرية موكايه أومبرتو يعبدش ومن معه

هنا يتعذر علينا ذكر المرافعات وما تخللها من المناقشات ولكننا نكتفي بالاشارة الى المذكرة التي وضعها الاستاذ الجليل ليون كاسترو وطبعها في مجلد يحتوي على ٢٠٠ صحيفة وقد فند كل المطاعن والاكاذيب ببراهين ثابتة ودعم أقواله بحجج مفحمة دامغة وبأحكام قضائية صدرت من أعظم الهيئات التشريعية في العالم



سيمون ماني



سيمون مانى

والثانى هو سيمون ماني رئيس محفل بني بريت فى مصر الخطيب المصقع والكاتب اللوزعي الذي يعرف كيف يسحر الباب السامعين برشاقة لفظه ويأخذ بمجامع قلوبهم بسحر بيانه وبمباراته البليغة وبمحاضراته القويمة الحافلة بالاساليب الادبية الرائعة . والاسانيد الدامغة والذي تعلم الطائفة مواقفه الجليلة ونضاله النبيل فى سبيل رقيها وتقدمها وتفانيه فى السعي الى عمل الخير فضلا عن انه مشهور بالافاضة في الحديث فاذا بدأ بموضوع لا يتركه قبل ان يلم به من جميع نواحيه. ولا يدع زيادة لمستزيد وقد تغلب عليه الوداعة والمرونة ويعرف كيف يضع السيف كما يعرف كيف يضع الندى وهو وديع مع خصومه واعدائه واسع الصدر . كريم اليد يحفظ العهد للذين اخلصوا له الود

وحسبنا دليلا ناهضا على ماقدمناه انه في غضون سنة ١٩١٢ كان هذا الشهم منتميا الى جمعيات شتى. ولكن نفسه الحريصة على المبادىء اليهودية الثابتة أبت المكوث في مصر وولى وجهه شطر الاسكندرية للدخول في حرب المناقشات التي كانت دائرة الرحي حيث احتدم

الجدال حول مشكلة المدارس وعقباتها وحمي وطيس النضال لازالة هـذه الحوائل وعثراتها فطفق ينشر المقال تلو المقال فى الجرائد العربية والفرنسية ويوالى حملاته الصحفية التى رن صداها في آفاق مصر والاسكندرية ثم ظل يتوخى البحث عن الذرائع الفضلى وخير تعديل يعدل به المدارس اليهودية لوقاية التلامذة من شر الاغراء بتغيير عقيدتهم وبث الدعوة بين افراد الامة وعناصرها حتى اسفرت جهوده عن انشاء جمعية وطيدة الاركان غرضها الاسمى التهذيب العقلي وقبلة مراميها التربية المدرسية

كان هذا الرجل عاملا نشيطا فى حياة الطائفة وانعاشها في مصر والاسكندرية وقد برهن اكثر من مرة على صدق عزيمته بدليل ماقدمه من المساعدة سنة ١٩١٤ عند ماترك يهود فلسطين بلادهم ولجوا هذه الديار وكان عددهم حينذاك يبلغ ذهاء ١٥ الفاً

ولما كان هؤلاء التعساء يطوون أحشاؤهم علي الطوى ويتقلبون على جمر الغضا لم ير هذا الشهم والحالة هذه مندوحة من توجيه ندائه الى كبراء اليهود وحضهم على التضافر فى سبيل عمل الخير فما كان من هؤلاء الا أن أعاروه أذناً صاغية فتألبوا حوله وانضووا تحت لوائه وفى طليعتهم المغفور له ادجار سوارس رئيسهم لامشاحة فى ان اتحاد الجماعات هو النظام الكفيل باستمرار

المبادىء عائشة زمانا طويلا اذ لا توفق امة الى ادراك غرض من اغراضها الا اذا اجمعت عليه اجماعا صادقا وليس افسد لصحة هذا الاجماع من ان يتطرق الى نفسية الامة شيء من روح الارتياب في النجاح او يطوف عليها طائف من التشاؤم يزحزح عقيدة الثقة ويصدع اركان الاتحاد

رتع هؤلاء القوم فى بحبوحة النعيم والسؤدد مدى اربع سنوات متوالية وذلك بفضل هذا الاتحاد البديع الذى اوجده هذا الشهم الكريم لاسيما وأنه قام بتأسيس الكشافة اليهودية التي اينعت ثمارها وامتدت جذورها ونالت شهرة عظيمة فى مصر والاسكندرية وبور سعيد وأطلق عليها حينذاك اسم المكابي والحاشمونائيم

اجل ضحى هذا الرجل بقسم كبير من حياته بدأ به فى الحرص على مبادئه القويمه حرصا مقرونا بالنزاهة وبمثابرته على السعي فى انهاض ابناء جنسه اينما وجد الى ذلك سبيلا وقد توالت عليه عبارات الثناء من كل فج من الفجاج القطر وسرعان ماسما مقامه وتجلت اعماله حتى افضت به الى تعيينه سكرتيرا فى جمعية ملجأ الايتام فى مصر سنة ١٩١٩ ورئيسا لمحفل بني بريت الذي هو من أكبر الهيئات اليهودية الآن

أنظروا الى هـذه الروح العظيمة الفياضة بالعزم انظروا الى هذه العاطفة الرقيقة المفعمة بالحزم فماهما الا رمز الى شعوره الراقي وشعار لخلقه السامي فلله ماأطهر هذه الروح ولعمري ماارحم هذا القلب اكثر الله من أمثاله

والحقيقة التي لا مرية فيها هي أن هذا الرجل هو أول من وجه نداءه ورفع عقيرته عالياً في مدرسة الايتام (جوت دي ليه) عندما نجمت بوادر العدوان من جانب الالمان وقام بتوثيق عرى الرابطة التي رن صداها في كل فج من أفجاج مصر تلك الرابطة البديعة التى أجمعت الطائفة على ان يكون سكرتيراً لها برآسة الاستاذ ليون كاسترو يشد ازرهما في العمل أعضاؤها الأماجد ارامينو منشى والبير حايم ويعقوب ويزمن وايزاك عميل

ليس بعجيب اذا أسرفت فى الاطراء وتماليت فى المدح فهذان الرجلان جديران بكل مدح واطراء وخليقان بأن نسجل لهما الشكر والثناء نعم قد ظهر هـذا النبوغ الادبي والعلمي الذى نجمت بوادره فى عصرنا هذا ظهورا بينا لاسيما وان اليهود الالمان لم يقصروا نفوسهم على النعم بالنعم الملذة واستلذاذ الترف ورخاء العيش بل عكفوا جادين على ترقية العلوم والفنون وآراء الحضارات القديمة فنشأ عن جم هـذا الجد ان ابهر اليهود بلدان

اوروبا بوميض علمهم الواسع ومبلغ فهمهم الشاسع . وأظهروا للملاء ان طائفة عظيمة من الكيميائيين الالمان والاوربيين القائمين بالاكتشافات العلمية الحديثة التي مافتئت تعمل على انقاذ الانسانية من الجراثيم القتالة . والاوبئة الفتاكة. وارشدت الطب الى مناهج قويمة ثابتة تقيه شر الزلل والعثور ، هم من اليهود . وان معظم قادة المجامع اللغوية في القارة الاوربية . وأقسام العلوم العالية واساتذة الجامعة هم من اليهود . واغلبية حكام الهند وفلسطين . والسفراء . والوزراء . وكواكب الثقافة . ودور التمثيل . والقضاة الذين اشتهروا بالنزاهة . وعدم المحاباة هم من اليهود . وليس أدل على ذلك من ذكر اسماء بعض العبقريين الذين هم واسطة قلادة المانيا . ودرر تاج عزها وفخرها . منهم العالمان البكتريولوجيان . إرليخ . وواسترمان . وجوليس ستاهل واضع النظام السياسي لحزب المحافظين البروسي وبرنار دزنبرج وزير المستعمرات في عهد الامبراطور غليوم . وبول ارليخ البكتريولوجي العظيم الذى نال جائزة نوبيل ووسع مناهج الطب باظهار بشاس السل بطريقة واضحة جلية والمصل لمكافحة مرض الدفتريا والعالمان الطبيعيان هنريك هرزل وانشتين صاحب نظرية النسبية تلك النظرية التي اثارت ثورة علمية عالمية . وقلبت افكار العالم . وستقاب جميع العلوم

الطبيعية رأساً على عقب . ومنهم الطيار لا كنر الذي جاب السموات راكباً متن الأفق . طاوياً فضاءها بمنطاده العجيب وعلم المانيا يخفق على أركانه. هذا الرجل الذي اصبحت شهرته في عالم الطيران اشهر من نار على علم ومكانته ابعد منالا من الجوزاء . ومنهم الجغرافي باللين الذى انشأ الأسطول التجاري قبل الحرب . ووسع نطاق التجارة بين جميع البلدان الاخرى وبين المانيا حتى غمر أربعة أركان المسكونة ببضائعها . وأخذت موارد الثروة تفيض على الالمان بفضل هذا اليهودي المبتكر وهكذا دبت الحياة دبيبها الهائل في تجارتهم . وطفقت تخطو الى الامام خطوات الجبابرة . قابضة على طلاسم المعاملات والصفقات. ومنهم ولتر رتانو الواضع نظام المواد الاولية . ورئيس التموين الذي نفخ فى روح المانيا . وانعشها ومد في حياتها ونشاطها بحسن تدبيره وفرط ذكائه . ومكنها من الثبات في تلك الحرب الضروس اربع سنوات ونصف سنة وجعلها تجابه وحدها دول اوربا اجمع . لم تظهر في خلالها كلالا ولا ملالا ومنهم الكيمياني القدير « فرتز هابر » الذي اخترع . والحرب في شدة ثورانها وانفجارها ـ الطريقة العمليه التي ساعدت على استخراج عنصر الازوت من الهواء الكروي . واستعماله في السماد الازوتي الاصطناعي . وفي المفرقعات والقنابل

الجهنمية . والقـذائف الهائلة . فاذن ليس بعجيب اذا كان هذا السمو العقلي الفائق اثار عواطف الحسد وحرك مكامن التحامل والاضغان في بعض البلدان التي لعبت فيها أيدي خصوم الساميين الذين أكلت نار الغيرة قلوبهم وجعلهم يحرقون الارم ويحملون على عظمة اليهود بالصوارم وينشبون في رقابهم المخالب ويرومون تمزيقهم كل ممزق . واذن لا بدع اذا أخذت مراجل العداء تشتد غليانا في كل صقع من اصقاع تلك البلدان. وطفق ضرم التعصب يزداد لظى وتسعراً في كل فج من أفجاجها . فاكفهر الجو . وأربد الافق . وقصفت الرعود منذرة با هول الصواعق وغرت شجرة الحضارة هزات عنيفة بلغت أقصى جذورها في تربتها

العالم فرتز هابير
مكتشف عنصر الازوت

في المدة الاخيرة تناولت جريدة من أمهات جرائد لندن بحثاً جدياً مستفيضا في مسألة عنصر الازوت الذى هو كما تعلمون من العوامل التي سيكون لها أثر عميق وصدى عظيم لعلاقته بتوفير اسباب الحضارة والعمران في أيامنا هذه . فعنصر الازوت هو في الواقع العنصر الاساسي الذي اذا امتزج ببعض عناصر أخرى يتسنى للمصانع تركيب السماد . والمفرقعات . والقذائف . ومن مميزاته الفعالة أنه يساعد مساعدة عظيمة على خصوبة الارض وتقويتها وانماء اثمارها وأيناعها . وقد يستخلص منه « الترنتيروتولنول » الذي هو أشد قوة . وأسرع حركة فى العمل . وكان هذا العنصر يستخرج حتى سنة ١٩١٣ من حقول النترات الشاسعة في مناطق شيلي بامريكا الجنوبية . ولكن لما رأت الحكومات ان توالى استجلاب هذا العنصر من هذه الارجاء يؤدي الى استنفاده ونضوب موارده مع كرور الايام . أخذت تقدح زناد الفكر

وتبحث عن الوسيلة المثلى لعلها تهتدى الى الضالة المنشودة قبل أن تفاجئها الطواريء . وتأخذها على غرة عاجلا كان أو آجلا . فعمدت أخيراً الى المناهج الكيميائية العلمية. ولكن انى لها الوصول الى نتيجة عملية وافية ان لم يكن بين العبقريين . رجل نابغ متفوق كالعالم فريتز هابير

أخرج هذا الرجل ما أنعم الله به عليه من مواهب الذهن والقريحة . وبذل قصاري الجهد في سبيل هذا العمل حتي تمكن بقوة ارادته من ايجاد الطريقة التي استطاع بها تحديد الازوت الممزوج بالهواء الكروي تحديداً كيميائياً ثابتاً ففرحت المانيا واستبشرت خيراً وأصبح في مقدورها ادارة رحى الحرب.وخوض حومات الوغى . بقلب جريء . غير هيابة . ولا وجلة . وقد صرحت هذه الجريدة مراراً بأنه لولا هذا الاكتشاف العجيب . لاندحرت المانيا اندحاراً مريعاً . بعد دخولها الحرب بثلاثة أشهر وربما كانت لاتجرؤ على اشهارها بتاتاً . فاذن كان هذا الرجل فريتز هابر فخر المانيا . ودرة ساطعة في تاجها . لا كما يتبجح الالمان . ويصرحون على رؤوس الاشهاد . بأن اليهود هم سبب نكبتهم . والكوارث التي ألمت بهم ودهمتهم .

ثم أخذ هذا العالم يوالي مباحثه مستميناً على ما يتوخاه من

المزامي بما تحصل عليه من نتائج . وأوشك ان يصل الى منهج آخر جديد . لاستخراج سكر الطعام من الخشب وما لبث أن وقف على مكنوناته حتى ولى وجهه شطر فلسطين بايعاز من الدكتور حايم وايزمن . الذى أوحي اليه بتنظيم المعاهد الزراعية هنالك . وارشادها الى الأساليب القويمة التي تستفيد منها المزارع العامة والخاصة لاحياء فلسطين حسب المناهج الفنية الحديثة .

نعم قد اغتبطت فلسطين اغتباطا شديداً بقدوم هذا الرجل الذي لم يكن له مطمح سوى إحياء أراضيها وانعاش مزارعها . لكي يجعلها وارفة الظلال . وافرة الثمار . تفيض على أهاليها البر والخيرات وتسهل لهم أسباب المعيشة . واقتناء الثروات .

عدد الجنود اليهود الالمان
فى الحرب العظمى

وعلى أثر ذلك نشر الدكتور سجال كتابا موسوما ب«اليهود والالمان فى حرب سنة ١٩١٤ - ١٩١٨ » دعمه بوثائق دامغة . وبراهين ثابتة . وجدت في محفوظات الحكومة . وهي الوثائق التى بنت الريخ احصاآتها عليها . وقد نودي جهاراً » فى كل صقع من أصقاع المانيا . أن هذا الكتاب جدير بكل ثقة وخليق بكل عناية . وقد صرح الثقات - وذوو السلطات الرسمية . بانه المرجع الوحيد الذي يبين عدد الجنود الذين خاضوا المعمعان الاكبر . نقتضب منه عدد الجنود اليهود . والجوائز التي نالوها . والرتب التي حازوها فى ميدان الشرف والقتال . وقد اقام هذا الكتاب الدليل على ان عدد اليهود الذين اتخذوا المانيا وطناً لهم بلغ ٥٦٦ر٥٣٨ وعدد الذين خاضوا غمار الحرب منهم بلغ زهاء ٠٠٠ر١٠٠ . فتقدم من هؤلاء الشجعان ٨٠٠٠٠ مقاتل الى ساحة القتال . أي من كان أشدهم بأساً . وأقواهم مراساً . وأبلوا

مع زملائهم بلاء حسنا وكان اثنان من القواد اليهود في طليعة هذا الجيش اليهودي العرمرم وهما فون رسنجن وفون بوسنر من قواد المانيا البارعين

وبلغ عدد القتلى منهم ١٢٠٠٠ مقاتل ومنح لخمسة وثلاثين الفا وسامات الشرف ثم ان خمسة وعشرين الفا منهم تقدمت درجاتهم ومنح لالفين منهم رتبة ضابط. أليس أن في هذه الأرقام الهائلة دليلا قائما على أن اليهود الذين نبذهم الآن المجتمع الالماني كانوا هدفا للاهوال. وعرضة للمشقات. وأنهم ذاقوا العذاب والآلام مع اخوانهم الالمان. وشاطروهم سراءهم وضراءهم. ونكباتهم وملماتهم ولكن ليس الى الحق مع هؤلاء النفر سبيل ولكن السبل ميسورة الى الاقناع بانهم لايصدقون واظهار الجمهور على مايضمرون وما يخفون. ثم نسأل الالمان. متى كان اليهود مفسدين ومجرمين؟ أحين يتخذون دين الناس وضمائرهم لعبة وهزءاً. فيبيحون لهم ماحرم الله والقانون. ويحرمون عليهم ما أمر الله به من الوفاء؟ أحين يغرون الناس بعضهم ببعض ويحرضون الناس بعضهم على بعض بكل ماأوتيوا من مواهب السفسطة والتمويه

صرح الدكتور هلفتريس وكيل مالية الريخ. وفاه بما أملى عليه ضميره وشعوره. قائلا ان أعظم الفضل في التوفيق بين

الاقتصاد الالماني والحالة . الحرجة التي خلقتها الحرب . يرجع بلا جدال الى البسالة التى أبداها اليهود . والى روح ابتكاراتهم الفياضة لاسيما وان أمر تموين المواد الاولية . كان موكولا مدة الحرب الى والتر ريتانو اليهودي . وأما أمر توزيع الحبوب . فكان معهودا فيه الى شركة من أكبر شركات المانيا . يديرهامابر دى ديلدورف كما أن شركة الاتحاد الذي نجح البير ملاين في تأليفها للقيام بالمشتريات اللازمة لجميع بلدان المانيا . كانت من الاعمال الجليلة . التى قلما يقوم بادارتها أحد غيره . وقد أفاضت جرائد المانياعهدئذ في نزاهة هذا الرجل . وسمو مناقبه وحسن ادارته .

ثم تلا هذا التصريح تصريح آخر فاه به أحد النواب في البرلمان . وأبان مقدرة هابير العلمية وقال انه لولا مساعدة الاقدار لهذا العالم في الاكتشاف . لمنيت المانيا بنكبة عظيمة في هذه الحرب بعد ثلاثة أشهر من اعلانها .

لامشاحة في اننا لو محصنا الحقائق تمحيصاً دقيقاً . لوجدنا أن هؤلاء الذين ابتدعوا القومية الاشتراكية كالوزير جوبيل الذي هومن أكبر دعاة تفريق اليهود وتشتيتهم . كانوا خلال الحرب منتظمين في سلك تلاميذ المدارس . ولا مراء فى أن حوادث هذه الحرب المحزنة الاليمة . مابرحت عالقة فى أذهانهم . ومرسومة على

ألواح صدورهم فما بالهم يتناسوها لاغراض في النفوس ؟ .

فهل تريد المانيا بعد ذلك ان تنسب انحطاطها وفشلها وخيبة أملها . الى اليهود الذين كانوا سبب نعمتها ؟ . وتجحد جهودهم . وأعمالهم . وتقابل حسناتهم بالسيئات . أليس هذا العمل يعد اكبر جريمة اقترفت نحو الانسانية ؟ . فأي برهان قاطع على معاونة اليهود لالمانيا . أقوى من هذا البرهان ؟ . وأى دليل ساطع على انهم كانوا يردون موارد الحتوف ويزعمون بين مخالب هذه الحرب الذبون . توصلا لانقاذ المانيا من الفناء الذي كان يهددها اسطع من هذا الدليل . ولكن على الباغي تدور الدوائر فسيندمون على مافعلوا كما ندمت اسبانيا على مااقترفته من فظائع واثام نحوهم نعم ندمت اسبانيا ولكنها ندمت ولات ساعة مندم . ثم مدت بعد ذلك يدها لمصالحتهم وقدمت لهم غصن الزيتون تريد استعادتهم الى بلادها ولكن سبق السيف العذل وقضى الله امراً كان مفعولا فأني لقوم ذاقوا حلو الشراب ولذته . يرضون بمره وحثالته . فكيف يقبلون العودة الي ما كانوا عليه من الخسف والارهاق بعدما استنشقوا نسيم الحريه . ورتعوا فى بحبوحة الهناء . ولو انهم فعلوا ذلك ولبوا نداء اسبانيا لكانوا كالباحث على حتفه بظلفه . او كطالبين النجاة . ويلقون انفسهم فى مهاوى التهلكه

أجل غدرت المانيا الهتليرية باليهود . واعتدت عليهم واساءت اليهم . ارتكبت اسبانيا شططاً كبيراً . كما ارتكبت المانيا وزراً منكراً . ولا تعرف قدرهم الا بعد ان يرحلوا فرارا من ذلك الضيم . ويتركوا تلك البلاد تندب بعدهم سوء حظها على فراق من كان يرعى زمامها ويحرص كل الحرص على ودادها



بحث انترولوجى فى العصبية

الجنسيه وخصومة الساميه

ليس من شك في أن حركة الألمان الفاشمة هي مزيج من الاهواء الدينية . والسياسية . والاجتماعية . ومظهر من مظاهر التعصب الدينى . والتحامل الجنسى أنتجتها خصومة عنيفة بين الشعب الآري المزعوم والشعب اليهودى السامي تمخضت عنها باديء ذى بدء مجالس التفتيش . أو ديوان التحقيق . وهى مجالس عاثت في الأرض فساداً . واقترفت آثاماً وجرائم . ترتعد لهول فظاعتها الأسود فى ادغالها . وتذكرنا تلك الحوادث بأزمان القرون الوسطي التى كانت تبيح أراقة الدماء والبغي فى ذاك العهد الذي كان الجندي فيه يؤم ساحة القتال متعطشا الي شرب الدماء . ويذبح النساء والأطفال . والشيوخ . الشيب ذبحاً . ويمتهن حرمة السكان الأمنين امتهاناً . ويلوث شرفهم . ويزهق أرواحهم

أضف الى ما تقدم تطور هذه الحركة . فلقد اتخذت صبغة جنسية . سياسية . قومية . يرجع عهدها الى أقدم العصور وعقليتها

تعرف بخصومة السامية أيقظها البرنس بسمارك وأنصاره في القرن الماضي بعد رقدتها العميقة . فأخذت روح الألمان تشتعل حنقاً . وغلت مراجل غضبهم غلياناً هائلا . لأنهم كانوا يمقتون اليهود في ذاك العصر مقتاً شديداً . ويعاملونهم بضروب مريعة من السخط والقسوة وما تلاشت هذه الحركة حتى سالت الدماء أنهاراً في ألمانيا وروسيا

ثم دار الزمان دورته الرهيبة الشنعاء . وعصفت في أدمغة خصوم الساميين ريح هوجاء. تنذر بالويل والثبور وجلائل الأمور. وكانوا كالحيات الضارة . ينفثون في اليهود نفثاتهم السامة القتالة. وهي أكبر نفثة فتاكة شهدها تاريخ العالم . نفثة التحامل الجنسي . والتعصب الديني . وقد تذرع الالمان بذرائع هي من الخطورة بمكان . فهم يزعمون أنهم من الصنف المعروف بالصنف الآري المكون من جواهر غرار ودم نقي شريف منحدر من شرايين الأنبياء الأطهار. وأجساد ملائكية كلها اضواء وأنوار . وأنهم من النوع الذي لايدخله الاختلاط الدموي الفاسد . ولا الالتحام النسبي المنحط أي أنهم من الأقوام المنحدرين من الاروم المتواصلة والعروق الملتحمة التي لم تختلط ببعض الأجناس الأخرى والتي تألفت من وحدة جنسية عنصرية خاصة مستقلة متمايزة ذات مستقر ونصاب

فى كل عصر من خاليات عصورها على نقيض الصنف اليهودي السامي . الذي هو فى زعمهم من نوع الحشرات الطفيلية الضارة . إذ أنه ليس الا بشلساً و بائياً متغلغلا فى صميم أحشائهم يريدون نزعه واستئصاله . وقاهراً مغتصباً غريباً عنهم جنساً ودماً . وعرقاً ولحماً . يريدون خنقه واغتياله



دحض للنظرية الالمانية

نعم ان لهــذه العصبية الجنسية شأناً خطيراً لايستهان به . فاقت روعتها وجسامتها النزعة العصبية الدينية التي كان ومابرح أولئك الطغاة يتذرعون بها توصلا لأغراضهم حتى تجاوبت اصداؤها في الآفاق . وهي على صورتها مزعزعة الأركان . مضعضعة البنيان لاتستطيع الثبات طويلا .

فاذا أراد المرء رفع الحجاب عن هذه المكنونات. واستثمار ألغازها واذا رام التعمق . والتحري . والاستقصاء في علم الأجناس البشرية ـ ونخل حقائق الانتولوجيا نخلا دقيقاً . لا يسعه بأعتبار هذا العلم ان يعد الألمان الذين يتألف منهم الآريون . صنفاً آريا صرفاً من حيث أرومة هذه الأمة ومنحدرها . متمايزين عن باقي الأجناس بفوارقهم وخواصهم ولا سيما ان كثرة الفتوح والهجرات وتدفق العناصر المختلفة عليهم . وامتزاجها حسب السنن الطبيعية بعضها ببعض كان من أشد البواعث على تباينات في الأصول . واختلاط عروق الانساب . وتعدد طبائع الأمزجة المكتسب

بعضها من بعض . ولما كان المثال على هـذه الصفة المجردة من الشوائب معدوماً فى هـذه العروق الآ رية المزعومة . فلم ينشأ بطبيعة الحال مثـال من الحضارة . ونموذج من التهـذيب خاصان بالألمان وحدهم دون سواهم . جامعان للعناصر والفوارق التي تتشدق ألمانيا انها تتميز بها . فاذن غدت هـذه النظرية ساقطة ضعيفة مضعضعة متمترة فى أذيالها وأوهى من خيط العنـكبوت

لامراء في ان العصبية الجنسية هى اعظم مظهر من مظاهر المجتمع الانساني . فى هذا العصر فاصبح عاملها اكبر عامل في تطور الامم نشأت في اوروبا في خلال القرن التاسع عشر . واشتد دبيب فعلها وانتشر في الارض حتى بلغ اقصى الرقاع المعمورة في الشرق والغرب . وما زالت على جد في مسراها ومتغلغلها في الشعوب والامم تمتح طريق الانقلابات الـكبري . وتمهد سبيل التطورات العظمي في هذا المجتمع . ولـكن من رام اكتناه سر هذه العصبية رأي بالرغم من مختلف المذاهب التى ذهبها اهل العلم وتحديدها وتعيين ماهيتهـا انها بحقيقة معناها حالة عقلية . اي مزاج معنوي وشعور وجداني نفساني بسيكولوجي

علي ان الحرب العظمى كانت درساً بليغاً كشفت كثيراً عن الحقائق في ماهية ظواهر العصبيات والسبب في ذلك ان الـكثرة

الساحقة من السواد الاعظم من اهل اوروبا وبالاخص المانيا مابرحوا يعتقدون انهم متسلسلو العروق من اصول صحيحة الارومة . سليمة التحدر خالصة من الاختلاطات . بريئة من شوائب الالتحامات اذ ماهي في الواقع سوى عصبيات قومية عنصريه فالالمانى ممكن ان يدرك هذه الحقيقه المقرره ادراكا عقليا نظريا كما هو مبين في علم الاجناس البشرية حديثاً لكن مادام فى غيه وتعصبه ومادام لايتعدي بذلك حدود هذا الحيز الوهمى التصوري إلى الحيز العقلي العملي فليس اذن لادراك هذه الحقيقة شيء من عامل التأثير المحسوس

الحركة الدريفوسية

صحيح ان عصر الاقطاع كان له تقاليده الدينية المظلمة وعقليته الجامحة . ووسائله الاستبداديه القاشمة ولم تكن الحضارة وصلت الى مانحن فيه من تطهير العواطف وكدنا ننسى تماما هذه الحوادث المرعبة لولا ان وثبت هذه الحركه ومن قبلها حركة دريفوس التي اذكتها خصومة الساميين ويصفها دعاتها بانهامعركة جنسية قبل كل شيء وشعار اليهودية منذ نشأتها هي ان اليهود هم الامه المختارة) هي طور من اطوار المعركة الخالدة بين اسيا واوربا بين الشرق والغرب فهم يجاهدون لرد عادية استعباد الجنس السامي للشعوب الاريوية ويرجع خصوم الساميه دعوتهم الى أن الشعب اليهودى قد اتخذ منذ هجرته الى اوربا نشأةمستقلة ومهما كان من تطور هذه النشأة على يد السياسة فى الأمم التي نزل اليهود بها ومهما كان من اصطباغهم بالصبغه الغربيه وتطور اخلاقهم ونزعاتهم فقد لبثوا خلال القرون جنساً غريباً في اممهم وانتظموا الى مجتمعات خاصه بهم . واكتسبوا بذلك مظاهر مادية واخلاقيه من الشعوب التى تحكمهم

هذه المظاهر الخاصه التي احتفظ بها الشعب اليهودى منذ

اقدم العصور لم تبد لمجتمعات العصور الوسطى في خطورة الخلاف الديني الذي كان وقتئذ اشد دواعى الخصومه . ولكن الثوارت الاقتصاديه التي توالت فى اوائل القرن التاسع عشر والظروف الاجتماعيه التى ترتبت على تحرير اليهود وتخويلهم كل الحقوق المدنيه والسياسيه التي حرموها مدي القرون اسوة بباقي افراد الامم التى ينتمون اليها قوت هذه المظاهر واسبغت عليها مسحة من الخطورة

فظهروا فى المهن كالطب والقانون والصحافة واخرجوا للقارة الاوربيه معظم قادتها مثل بيرنه وهيته ولاسالة ومار كس على ان انتماءهم الي طبقة البورجوازى (اصحاب الاموال والاعمال كان اشد هذه المظاهر وطأة فالى النشاط المالى والصناعي احتشد اليهود فى جميع انحاء القارة واحرزوا فيه النجاح الباهر وبرزوا على غيرهم من ابناء البورجواري وغدوا قوة سياسية واجتماعية واستأثروا بصنوف الترف فلما كانت ثورات القرن التاسع عشر وانقلاباته الاقتصاديه والضاعية اشتد نفوذ البورجوازي واستطاعت ان تخضع السياسه لصولة الماليه العليا

فى تلك الآونة طلع صحفي غير معروف على الشعب الألمانى بكتيب عنوانه « انتصار اليهودية على الجرمانية » فصادفت

دعوته مهاداً خصيبة في هياج الرأي العام وفي خصومة الاحزاب والاهواء السياسة واجتاحت دعوة مقاومة السامية فرنسا في نفس الوقت الذى كان المجتمع الفرنسي يعاني نفس العوامل التي خلقت الحركة في المانيا بل كانت هذه العوامل في فرنسا اشد وطأة وأبعد أثراً وأذكى الدعوة كتاب نشره ادوار دريمون عنوانه « فرنسا اليهودية » شرح فيه نظرية الخصومة السامية ووصف فساد الحياة الاجتماعيه والانحلال في فرنسا بصورة قوية وفي سنة ١٨٩٢ أصدر صحيفة للطعن على اليهود هي الليبر بارول فقامت ثمة حركة للمطالبة باخراج الضباط اليهود وعددهم وقتئذ خمسمائة وحملت «الليبر بارول» على هؤلاء الضباط في مقالات ملتهبة ادت الى مبارزات وحشية كان من ضحاياها ضابط يهودي محبوب هو الكبتين «ارمان ماير» فتأثر العقلاء لمقتله وانفض كثير منهم عن حركة الخصومة وخيل للناس ان الهياج قد قبر مع جثة الضابط

على انه لم يكد ينبثق فجر سنة ١٨٩٤ حتي بلغ الهياج ذروته بالقبض على ضابط يهودي هو الكبتن «الفريد دريفوس» بتهمة الخيانة وكانت يد الخصومه الساميه ظاهره في القضيه منذ البداية اذ كانت «الليبر بارول» أول من أشارت الى التهمة

ولم يكتف هؤلاء الظلمة بما اقترفوه من مساوي وما ارتكبوه من ضروب الاكاذيب والوشايات بل قاموا ينشرون الدعايات في كل صقع من اصقاع المسكونه

وقضية دريفوس هى الذروه في الخصومه الساميه لا في فرنسا وحدها ولكن في اوروبا بأسرها وهى دليل ساطع على فساد نظرية الخصومه الساميه في مسألة القوميه وعلى خطورة عواقبها حيث كادت تدفع فرنسا الى هاوية الثورة

كم كاد هؤلاء الخصوم لليهود وكم دسوا عليهم وكم أذاعوا حولهم اشاعات السوء فقد جدلوا تجديلا وهصرتهم عواصف الأحقاد هصراً حتى اضطرب كل شيء وفسد كل شيء

هدأت الحال نوعاً مدى أشهر بعد قضية دريفوس ولكن مناقشة حادة حدثت في مجلس النواب (فى ٢٥ ابريل سنة ١٨٩٥) في الخطر اليهودى اذكت الهياج من جديد أما أسرة دريفوس فكانت واثقة من برأته وكانت غنية قوية فلم تستسلم لليأس بل نشطت الى كشف الحقيقة واظهار براءة المحكوم عليه فجزع المتآمرون ونشروا بوردرو يشمل وثائق عدة قيل ان دريفوس كتبها بخطه ثم ان ضابطا من أركان الحرب العامة هو الكولونيل بيكار اقتنع بان خطأ قضائياً شنيعاً قد ارتكب

وعلى ذلك لم يجد الدريفسون بداً من الاستغاثة بالرأى العام والتذرع بالحزم والجرأة وحضه على كشف الحقائق . هنا تقدم القصصي الكبير أميل زولا إلى الميدان وكان من أنصار دريفوس وكان يعتبره شهيداً وضحية فوجه الى رئيس الجمهورية خطاباً ضافياً نشر في صحيفة الارور فى ١٣ يناير سنة ٩٨ بعنوان : « إني أتهم » فصل فيه مظلمة دريفوس ضد أركان الحرب بعبارات بليغة مؤثرة وضمنه طائفة من تهم رائعة أدهشت الرأي العام واثارته

أشفق خصوم السامية عندما علموا ان هذا المقارع المشهور بالكر والفر سيتكلم وانه اذا تكلم أزاح ذلك الستار الذي أسدله التمويه فحال بين الاعين وبين النفوذ الى دخيلة الأمر وانه سيدافع عن اليهود لانهم كانوا يستغلون صمت اليهود واعراضهم عن أن يتنزلوا الى مناقشتهم وأخذهم بالحق الذي أسرفوا في انكاره وتجاوزوا فى الاساءة اليه . ولكن زعماء الجيش بذلوا كل الجهد حتى قضى بادانته . فلاذ بأذيال الفرار الى انجلترا تبعاً لنصح أصدقائه ولبث هنالك حتى يونيه سنة ١٨٩٩ ولكن حملته الجريئة لم تخمد بفراره بل استأنفها جماعة من الاعلام مثل كليمانسو وريناخ وايف جايو فرأت المحكمة بعد درس مستفيض للقضية صحة التهم التي وجهها زولا في خطابه الى القضاء الحربي

وقضت بالغاء الاجراءات السابقة واحالة دريفوس الى محكمة عسكرية أخرى عقدت في رن

على أن محكمة رن لم تجد شجاعة كافية لاعلان الحق وهو الخطأ فقضت لسخط الرأي العام الخارجي وعظيم دهشته بادانة دريفوس مرة أخرى وقرنت حكمها بتقرير الظروف المخففة وتخفيض حكم النفي المؤبد الى السجن عشر سنوات. والتوصية بالرأفة

كيف ان الضابط البريء لم يقنع بتلك الخاتمة العوجاء والنتيجة البطراء وكذلك لم يرق للرجعيين هذا المجهود النسبي لاصلاح الخطأ ودبرت الجمعيات الملكية والبولانجية وأنصار خصومة السامية مؤامرة جديدة لاسقاط الحكومة ولكن المؤامرة اكتشفت قبل التنفيذ وقبض على الزعماء.

وفي ١٢ يوليه سنة ١٩٠٦ أصدرت قاعات محكمة النقض مجتمعة حكمها بالاجماع بأن كل التهم التي وجهت الى الفريد دريفوس باطلة من الاساس وقضت بالغاء حكم محكمة رن دون احالة وقررت بمنتهى الجلاء أن القضية لفقت تلفيقاً شائناً وان المذنبين الحقيقيين هما استراهازي والكولونيل هنري فهما اللذان أمدا السلطات الالمانية بالوثائق السرية وانتهزا فرصة الهياج ليلقيا التهمة على البريء

تعالى الله أن يظلم أحداً أو ينسب الى الاخيار جنايات الاشرار . وتعالى الله أن يمد في حياة التضليل ويطيل أجل الباطل فقد ينصر الباطل حيناً ويتم التضليل آوناً ولكن انتصار الباطل انخذال وفوز التضليل خيال . أجل ان الحق أبلج ولم ينفع هؤلاء الخصوم افكهم ولم ينجيهم افتراءهم مما تورطوا فيه من تضليل فقد فرى الغيظ قلوبهم وأكل الحقد صدورهم تعود هؤلاء القوم أن يفتروا على الحق ولكن للحق جمالا رهيباً يقطع ألسنة طوالا ويفل اقلاما حداداً ويرهب قلوبا قست على الغدر ومرنت على الشر

وهكذا انتهت تلك القضية التي هي مضرب الامثال في التعقيد القضائي فتنفست البلاد كلها الصعداء وانحنى الجميع اجلالا لحكم محكمة النقض ما عدا خصوم السامية ونفذت الحكم الى أقصى حدوده وأعادت دريفوس وبيكار الى قاعة الضباط العاملين ، ورقي اولهما الى رتبة الماجور والثاني الى قائد فرقة ومنح دريفوس وسام اللجيون دونور (نجوقة الشرف) وحلي به في حفلة علانية شائقة أقيمت في ساحة المدرسة الحربية ، اما زولا الذي يرجع الفضل الاول اليه في كشف الحقيقة فلم يعش ليشهد ظفره غير ان المجلس لم ينس أن يكرم ذكراه بنقل رفاته الى البانتيون وبعد ذلك بثلاثة أشهر الف كليمانصو وزارته الاولى واختار الجنرال بيكار وزيراً

للحرية . ولم يترك في الواقع وسيلة لاصلاح الخطأ وانصاف البريء ولكن الآثار الهادمة التي ترتبت على الخطأ لم تمح كلها . بل استمر عصفها بالحياة السياسية الفرنسية وابثت بعد ذلك مدى عشرة أعوام كابوساً يروع فرنسا ،

لا يسمح لنا المقام بالافاضة فى اثر الخصومة السامية في الحياة الاوربية العامة بيد أنا نستطيع أن نستشف اثارها الهادمة لاول وهلة فهي لم تترك اثراً للبناء في نظم اوربا السياسية والاجتماعية ، لا تستند الى اساس جنسي.. صحيح وقد أظهرت قصورا فى السياسة والعمل واعتمدت بالاخص على الدسائس والمؤامرات ثم هي لم تؤذ اليهود بقدر ما رسمت بل استثمرها اليهود وقد بعثت الى اليهودية روحاً جديدة وساعدت على نقل التضامن اليهودي من حظيرة الدين الى حظيرة الجنس ثم ان اليهودية لم تقف ازاءها جامدة بل ردت عليها بحركتين خطيرتين الاولى الحركة الصهيونية التي تقدمت منذ الحرب تقدما هائلا والثانية وثبة الشعب اليهودي الى الاتحاد والعمل على رفع مستواه الخلقي والجنسي وهما عاملان جديدان قويان في نهوض اليهودية بل لقد نزعت اليهودية عنها تقاليدها العتيقة . ولجأت الى اساليب بديعة مستحدثة لتحقيق غايتها الخالدة التي تجاهد من اجلها خلال القرون

الفورات الاربع

اجتازت الصيهونية هذه الفورات التي حركتها انصار خصوم السامية وغدت تغلي في مراجلها غليان البركان ابان ثورانه . ولكنها خرجت منها سليمة طاهرة نقية من ادران الاحقاد

فالفورة الاولى التي روعت العالم بآلات تعذيبها الجهنمية على زعم تطهير اسبانيا من عدوى الزيغ وجرائم الالحاد والفورة الثانيـة لم تكن الا مفاجأة غاشمة بيد انها كانت نتيجة طبيعية محتومة لعوامل ومؤثرات قديمة دفينة لبثت عصوراً عديدة تضطرم في اعماق المجتمع الانساني وثمرة لعقليـة جائمة من وراء الاحقاد وكانت نذيرة بهبوب العاصفة الاخيرة اي اشتداد الخطر الجنسي والفورة الثالثة اي قضية دريفوس التي شغلت فرنسا اثنى عشر عاماً . نشطت في غضونها عوامل التنكيل من انصار هؤلاء الخصوم وكادت تقطع اوصالها . وتدفعها الى الثورة . ووهدة الحرب الاهلية والانحلال السياسي والاجتماعي والادبي ولكنها ألبست فرنسا ثوباً من أشرف واطهر الاثواب . نبلا ورفعة وسمواً .

ثم جاءت الفورة الرابعة وهي فورة المانيا الكبرى التي زعزعت اركان العالم اليهودي في الكرة الارضية قاطبة وأظهرت نفاق المدنية الحديثة . وكساءها الغرار فكانت الضربة القاضية على الإنسانية البائسة

نريد ان نقارن بين الفورات الثلاث التي اشتهر دعاتها في اساليب نشرها . واذكاء اوارها فهي لا تزال حديثة عهد . وعالقة بالاذهان حتى اليوم . نريد الكلام عن الثورة الفرنسية التي انفجرت سنة ١٧٨٩ وعن الثورة الفاشستية الايطالية سنة ١٩٢٢ وعن الثورة الاسبانية سنة ١٩٣٠

أماطت هذه الثورات النقاب عن قلب النظم الاجتماعية العتيقة البالية وتحطيمها . والجري على نظم مثمرة مجدية . تلائم طبائع هذا العصر ونفسيته دانية القطوف . تجني ثمارها الشهية الآن جميع الامم التي نهضت بها . بينما نرى نقيض ذلك في الثورة الالمانية التي يتيه الالمان صلفاً وكبراً وخيلاء بها ويزعمون أنها ثورة أهلية اشتراكية وهي ليست لعمر الحق الا افتئاتاً على جميع السلطات وسلبها لها واغتصاباً فاضحاً للوظائف العامة بأسرها وتدفق جيوش التعصب كالسيل المنهمر تدفقاً جارفاً يتضاءل امامه ذلك الطوفان الهائل الذي طغى وغمر العالم في القرون الوسطى

وقد رأى الرأي العام العالمي في سنة ١٩٣٣ ان يضع مبدأ الفاشستية ومبدأ الاشتراكية الوطنية في مستوى واحد بان قال الكثيرون انهما مبدأ واحد عرف باسمين ويقدمون دليلا على صحة ما يذهبون اليه تشابه الحوادث التى اقترنت بقيام الفاشستية في ايطاليا وقيام الاشتراكية الوطنية في المانيا وهي حوادث تتطلب الالتجاء الى أعمال العنف والقمع

ومن الجرأة على الحق أن يفكر الانسان أن أعمال عنف وقمع شديدة اقترنت بقيام الفاشستية فى ايطاليا ولكن ثمت كبير فرق بين طبيعة هذه الاعمال فى ايطاليا وطبيعتها فى المانيا فقد وجهت فى اولاهما ضد الذين ناصبوا الفاشستية العداء ووضعوا العقبات في طريقها في حين انها وجهت فى المانيا الى الابرياء والى طوائف لم تناصب الاشتراكية الوطنية العداء ولم تضع فى طريقها العقبات فقد وجهت ضد اليهود وضد الرومانيين الكاثوليكيين الذين لم يعارضوا الاشتراكية الوطنية ولم يقفوا في سبيل انتشارها كما بين ذلك بول انزج

ولم يكن طبيعياً أن يصافي الفاشستيون عند ما انتصروا الشيوعيين والاشتراكيين الذين وقفوا فى طريقهم بل الطبيعي أن يوجهوا اليهم ضربات شديدة تقضي عليهم وتكفيهم شرهم

وبعكس هذا تماماً ماحدث في المانيا إذ وجه الاشترا كيون الضربات الى اناس لم يقفوا فى وجههم

وثمت فرق آخر بين الفاشستية فى ايطاليا والاشتراكية الوطنية في المانيا . هو ان الأولى قد أنقذت ايطاليا من الشيوعيين والبلشفية بل من الفوضى في حين ان الاشتراكية الوطنية لم تنقذ المانيا من خطر الفوضى بل ستدفعها الى مهاوي البوار والدمار .

والآن بدأ الرأي العام العالمي يتبين هذه الفروق التي لم يتبينها من قبل لاسباب أهمها انه أدخل فى روع الناس ان الاشتراكية الوطنية والفاشستية سواء بسواء .

وليس الفرق بين هذين المبدأين قاصراً على الناحية السياسية فحسب . بل يتناول أيضاً الناحية الاقتصادية رغم الشبه الذي يبدو بين المبدئين وبرغم ان هتلر وأعوانه قد اعلنوا انهم وضعوا برنامجهم الاقتصادي على اساس البرنامج الاقتصادي الفاشستي اذا الواقع ان هذا الاعلان ليس الا دعاية بارعة لمبدئهم ومحاولة غرارة تجعل الالمان يطمئنون اليها

ومن الخطأ البين ان يغتر الانسان بهذا الظل الذي القاه الاشتراكيون على مبدئهم فان الظل لا يغني عن الحقيقة شيئاً والفاشستية في ايطاليا تسير بخطوات سريعة في سبيل تحقيق أرسخ النظم

الاقتصادية التي تؤدى الى تعاون الطبقات جميعا بينما نرى البرنامج الاقتصادي الذي وضعه الاشتراكيون الوطنيون في المانيا غير وطيد وستتقوض اركانه سريعاً

اضف الى هذا أن البرنامج الايطالي الذي وضع لاجل الوصول الى أعلى درجة مستطاعة من حماية المنتوجات وإنعاشها في حين أن البرنامج الالماني وضع لتحقيق غاية واحدة هي افساح المجال للحزب النازي واعوانه وطرد أعدائه من الميدان العملي

وقد يؤدى هذا إلى فائدة هؤلاء الانصار والأعوان ولكنه يؤدي بطبيعته الى الانحطاط وخفض مستوى الحياة العامة

والواقع ان البرنامج الذي وضعه هذا الرجل العظيم السنيور موسوليني يوطد نظاما اقتصاديا عظيما لانه برغم عمله على معاونة العمال حتى لا يقعوا في مخالب الشيوعية فقد عنى الا تبلغ قوتهم درجة تجعلهم يجرفون باقي الطبقات في طريقهم

ومادام الاشتراكيون الوطنيون يسيرون على السياسة الخرقاء التي وضعوها فسيبقي المبدأ الاشتراكى الوطني بعيداً كل البعد عن الميدان الفاشستي الشريف الطاهر والظواهر كلها تدل على أن الفاشستية الألمانية ليست الا اسما آخر للشيوعيه الالمانية

والآن نرجع الى سياق الحديث ولما كان مركز نشاط اليهود

الحيوى اتخذله مقراً آخر فمن البديهي أن الحياة الروحانية والصهيونية لايسعها الا اقتفاء أثره . وولوج محجته . ولم يكن من سبيل آخر يسلكه يهود مصر غير هذا السبيل بعد نضوب مواردهم وانقطاع أعمالهم انقطاعاً تاماً

ومن الاحاجي التي يستعصي على المرء استفسارها انه منذ احتلال بنيامين اراضي فلسطين في القرن السابع وأبي عيسي فى في القرن الثامن لم يبد أقل مايشف عن أية محاولة جديه ذات مغزى ترمى الى تحرير فلسطين قبل الدخول في القرن التاسع عشر حيث كان نابوليون نابغة الحرب بعد غزوة مصر - قد فتح فلسطين متعمداً ومصراً كل الاصرار على اعادة المياه الى مجاريها وارجاع اليهود الى مقرهم السالف

ليس من حرج ان نشير - قبيل الشروع في نشر بضع وثائق تنم عن اصرار نابليون على فتح هذه البلاد وتسليمها لليهود - الى بعض علاقات مميزة تتعلق بالدولة التي نظمها اليهود في الصحراء في القرن الخامس عشر

بحث للمأسوف عليه
ادولف بك قطاوي

عن المشائر اليهودية

ولقد خاض المرحوم ادولف بك قطاوي برد الله مضجعه . وأحسن مآبه ومرجعه . غمار هذا البحث . ونشر في جريدة الليبرتية في عددها المؤرخ في ١٣ نوفمبر سنة ١٩٢١ حديثاً مستفيضاً يتعلق باكتشاف وثيقة ذات أهمية عظمى . تتناول بعض تفاصيل خاصة تمت في مدينة طوه ووصف حوض خليج النيجر سنة ١٤٤٧ عثر عليها المسيو لارونسيير امين الدفترخانه بباريس

ولما كانت هذه المخطوطة من الوثائق القيمة .فقد احاطها بكل ماتستحقه من العناية أسوة بباقي المخطوطات. وقام بطبعها سنة ١٩١٨ فى نشرة خاصة بقسم الجغرافيا

فكان من مزايا هذه الوثيقة الثمينه ان اثارت على بساط البحث ما كان للقبائل والعشائر اليهودية التي كانت تعيش في الصحارى من الحياة

الهادئة. والمعاني الساميه . وحملت الاستاذ ناخوم شلوش على القاء محاضرة قيمةفى الجمعية الجغرافية السلطانيه سنة ١٩٢٠ تناولت هذا الموضوع

تكلم هذا العالم في محفل حاشد. فبده وشده . وافاض في البحث . ولم يترك واردة . ولا شاردة إلا أظهرها . ودعمها بكل ما أوتي من قوة الحجة . وسحر البيان . فاشرأبت اعناق النظارة . وإلتف القوم حوله لالتقاط درر الحقائق . وتشنيف اذانهم بلطائف الذكريات . فكان لها شديد الأثر . ولم يكن احسن منها وقعاً في النفوس



القبائل اليهودية في الصحراء

ثم قام بعد ذلك العهد الذي المعنا اليه يهودي آخر يدعى عداد الدانيطي . كان يعيش في السوكان . في القرن الخامس عشر . وروى ان عشيرته نزحت الى فلسطين . وذهبت الى الصحراء عقب وفاة الملك سليمان . وقد حدد لاقامتها واستغلالها مساحة شاسعة . واسعة النطاق . مترامية الاطراف لا يقل اتساعها عن اتساع الممالك العادية يعني انه اذا أراد الانسان اجتيازها سيراً على الاقدام - يقتضي له زمن لا يقل عن مائتي يوم . ولو اكتنفها النظر من اقصاها الى اقصاها . لوجدها في الواقع ونفس الامر عبارة عن مملكه نظاميه بأوسع معانيها

نعم هام اليهود وجداً بالصحراء وجمالها . كما هام موسى الكليم بحسن روائها . لان في تلك اللانهاية يصفو الجسم والعقل . لبعدها من مساوىء المجتمع وشروره فيشعر الانسان بأنه اقرب الى الله سبحانه وتعالى . ويتسرب الى نفسه الايمان بالقدر الغالب . وتتغلغل في قلبه التقوى والعقيده . فيصبح شديد الاستسلام بحالته . دون ان يتبرم بها . او يمتعض منها - أجل ان الصحراء تستهوي عشاقها

افتتن بها كل من جاب فيافيها . افتتن بعظمتها المتمثلة في فضائها الواسع . وسكونها العميق . تضحك نجومها . فتستهوي عابر سبيلها ويحتكم فضاؤها في الفؤاد . فتوقعه في أسرها . فيسير مغتبط النفس هانيها . سير المؤنس بها . المولع بجمالها . المفتون بغرامها . ولكنها كالغانيات شيمتها الغدر . فلقد تريك بعد تمام الرضا مخالبها القتالة . وبراثنها الفتاكة . تبسم فما احلى ابتسامتها وتعبس فما أقسى عبوستها

الصحراء ساحرة خلابة . اذا عرفتها تعلقت بها نفسك أبد الدهر . جذابة ولكن من العسير ان تدرك سر اجتذابها يشوقك الحنين . وتدفعك الذكرى .

سرح الطرف بارعاك الله . ودعه يتشبع من مهابتها وجمالها . ودع النفس تنفك من عقالها لتجول في مهامة الخيال . وحدث عما عن لك بعدئذ من خطرات الذهن وبنات الافكار . وقل ماشئت فيها وشاء لك الهوى

نعم كان اليهود في صحرائهم شجعاناً . اما الشجاعة فقد اقتضتها معيشة البداوة . لاحصن يحميهم . ولا سياج يدفع عنهم . فقلبهم حصنهم وسلاحهم سياجهم . في الصحراء ينمو الخيال مستمينا بما يجد في السماء من صفاء وجلال . وفي الارض من فضاء وجمال . وفي الخليقة من بهاء وكمال

أيد ذلك انطونيو ملفانتي الذى عثر على المخطوطة الانفة الذكر تأييداً لاريب فيه في خطاب وجهه الى أحد مواطنيه ويدعى جيوفانى ماريونتى . وقد تحدث اليه فيه عن علاقاته بمدينة طوه سنة ١٤٤٧ وافاض في وصف بهاء نظام هذه القارة . ورواء منظرها . وذكر مميزات هذا الاقليم الذي التي اليهود فيه عصا ترحالهم . وشيدوا فيه صرح سلطانهم وشوكتهم . وذكر عدد القري المتاخمة لها . وهو لايقل عن مائتى قرية . ولكل قرية حاكمها يذود عن حياضها . اذا شنت الغارة وحمي وطيس القتال . ويفتديها بالروح اذا ناب الضيم . وساءت الاحوال . فلا غرو اذن اذا كانت هذه المدينة بلغت شأواً عظيما . ونالت اسمي مركز تجارى بين بلدان العالم في ذلك الزمان

ثم طفق بعدئذ يصف مدينة تامونت . ويطنب في وصف رداء مدنيتها القشيب حتى لقد أطلق عليها اسم تامونت اليهودية . لشدة ما كان يلقاه اليهود من الحفاوة والاكرام .

ذاق اليهود حلاوة الحياة ولذتها تحت اشراف حكام هذه المدينة وحمايتهم . وعاشوا عيشة هادئة هنيئة . بعيدة عن الأهواء . ومجردة من الشوائب . ولم يتقاعس أولئك الحكام عن احاطتهم بالرعاية السامية . وحسن المعاملة فكانوا المحور الذي تدور حوله المعاملات التجارية والشؤون الاقتصادية . ودفعهم هذا التضخم

التجاري الى الالتجاء الى تدابير وافيـة . فانشأوا مصارف تقوم باصدار بضائعهم المؤلفة من الجـلود وسن الفيل . والتبر . وكانوا يستجلبون هذه البضائع ويأتون بها مخفورة من داخل افريقا . وكانت هذه المصارف تتناقل أسعار المنتجات الخارجية لتكون على بينة تامة من صعودها وهبوطهـا بمنتهى الضبط والدقة . وسرعان ما أظهرت هذه المصارف تفوقاعظيماً في مزاولة هذه المهنة.وأقامت الدليل على أن اليهود هم الوحيدون الذين يستطيعون القبض على أزمـة التجارة . والسير بها على مناهج قويمـة . ثابتة . يسودها ناموس العرض والطلب . والاستقامـة الادبية التى اكسبتهم ثقة الناس في عقد الصفقات وحسن معاملاتهم معهم

صرح المأسوف عليه ادولف قطاري بك في سياق حديثه الذى سبقت الاشارة اليه بانه اذا صح ما نقله الينـا رواة التاريخ . وسلمنا بمـا جاؤوا به لجاز لنا ان تفتخر بما بذلته قبـائل العرب اليهودية التى كانت ضاربة في اقاليم افريقيا الشمالية من التفاني في سبيل استيلائهم على تلك الصحاري . وبما أظهرته من المهارة في أساليب القتال . والبسالة عندما تصطدم الكتايب . وتدور رحى الطعن والنزال. بيد أن تصاريف الزمان وغوائل الحدثان مازالت عاملة على هدم تلك الجهود النامية الشريفة وتحطيمها فأن هذه

التجارة اليانعة المزدهرة التي استأثر بها اليهود في مدينة تاموننت وغيرها . والعظمة الخلابة التي نالوها في الصحراء ما لبثتا أن انهار بنائهما . وتقوضت اركانهما

أصر الدهر المشوم الباغي على ان لا يزيل الضير والخطوب . أو يزيح الضيم والمحن من هـذا الشعب التعس . إلا بعد أن حنكه وعركه وحلب أشطره . فبعد ان تركه يبني في عالم الخيال من الاماني قصوراً . ومن السعادة بروجاً قلب له ظهر المجن . وطرحه فريسة لاضطهادات عنيفة . كانت سببا في الهجرة التي جرت وراءها البوار والدمار . وأضحى بعد ذلك باب افريقيا موصداً مرصوداً . وعاد اللغز الافريقي إزاء أوروبا الى ما كان عليه من الغموض والابهام . لا يقدم أحد على حل رموزه . وكشف خفاياه

عسى أن يكون ما قصصناه عليك من الحوادث التاريخية الفاجعه مقنعا كافيا للدلالة على السجايا الكريمة . والشمائل النبيلة التي أتصف بها اليهود . وكيف تريك مقدار تفننهم في استغلال كل ما يحتمل الحصول عليه من الصفقات التجارية . وفي كل ما يتعلق بالشؤون الاقتصادية . ووسائل استنباطها لا نعلمها والاستفادة منها بعدئذ . سواءاً كان ذلك لمصلحتهم الخاصه . اولمصلحة من يجاورهم

ويخطب ودهم . ذلك لانهم كانوا على الدوام متضامنين متعاضدين .
يشد بعضهم إزر البعض يؤلفون فئات مستقلة . ويقومون هم بانفسهم
بتنظيم حياتهم الاجتماعية . وبث الثقافة بين ظهرانيهم . كلما سنحت
لهم الفرص واستطاعوا الى ذلك سبيلا

تسامح العرب نحو اليهود

لسنا نعجب إذا رأينا ذلك التسامح النبيل الذي تجلى من جانب العرب المسلمين نحو اليهود . ولسنا ندهش له . لاننا نرى له سبباً طبيعيا وجنوحاً غريزيا اليه . فهو مظهر من مظاهر الميل الفطرى والعنصري لائتلاف طباعهم . وتلائم أميالهم ونزعاتهم . فكان العرب في كل مكان وزمان يعاشرون اليهود معاشرة قائمة على الاخلاص . وحسن النية . ويجري اليهود معهم على منهج وفي قويم لا شائبة فيه ولا دنس . لذلك قلما كان يجد اليهود عطفا شريفا يضارع عطف العرب عليهم لدى الامم الاخرى . فاذن ليس بعجيب إذا اندمج هذان العنصران . لانهما خلقا من جوهر واحد . ونزلا من سلالة واحدة . وهي سلالة ابراهيم عليه السلام (انظر الفصل الاخير اليهود في جزيرة العرب)

نعم كم حسرة تنبعث في النفس . وكم ألم مرير يثيره الوجدان في افئدتنا حينما نشاهد تلك الاطواد الشاهقة التي اقامها اليهود لتناضل مساويء الاجيال . لم تنثبت لعواصف الاهواء والشهوات وكم يكون مبلغ شجوننا عند ما نرى تلك الجمعيات البديعة النظام

الدقيقة الاحكام تتقوض ماضياً وحاضراً . بسرعة مدهشة كسرعة البرق الخلب الذي لا يكاد يتلألأ ويضيء حتى ينضوي تحت أجنحة السحاب ويتواري عن الابصار . ذلك نظام ثابت في الحياة الدنيا . لا يتغير ولا يتبدل سنة الله في خلقه . ولن تجد لسنة الله تبديلا

قضى ناموس الارتقاء وتنازع البقاء والانتخاب الطبيعي . بشد أزر القوي وسحق الضعيف . ولما كان اليهود في كل مكان لم يؤلفوا الا أقليات ضئيلة . فكان طبيعياً أن وجودهم والحالة هذه لم يكن قائماً على عوامل سياسية أو طبيعية . بل على روح تسامح الاهلين المتاخمين لهم . وهي روح تعصف وتثور وتهدأ وتفور . وتتغير وتتبدل . كما تدفعها عواصف الشهوات . وعوامل الاغراض .

ولقد بعد بنا العهد . وطال علينا الزمان . ونحن مجردون من كل ذلك . فقد آل بنا الحال الى أن نتسل انسلالا من بين فجوات الامم . ونتسرب الى مصالح الحكومات . والجماعات والافراد . فهذا كثير ولكنه ليس بكاف . ولسنا نتقاعس لحظة واحدة عن القطع بأن اليقين الراسخ في أذهان الجميع أن عوامل الاحقاد . وفظائع السفاحين . كانت العامل الوحيد في تفريقنا وتبديد شملنا

ولكنهم اذا فطنوا الى ما في قلوبنا من الايمان الثابت وجدوا أن هذا الاضطهاد حملنا في الحقيقة على الانتشار في أنحاء العالم. أجسامنا متباعدة. ولكن أرواحنا متقاربة. وأيدينا متماسكة. أشبه بشراك الصياد يقع فيه كل من يجحد أعمالنا. ويروم اغتيالنا.

فلسنا نريد أن نكون فئة ولسنا نبغي أن نكون شعباً. بل نريد أن نكون أكثر من شعب نريد أن نكون أمة لنتمكن من رد غوائل الدهر اذا تفاقمت كوارثه واستفحلت خطوبه. فهي أوطد من الفئات رأياً. وأبقى على الزمان وجوداً. وآمن هوى. وأصبر على أعصار الحوادث منقلباً. فالوطن القومي السابح في عالم الخيال لا يجدينا. ولا يفيدنا فقد آلينا على أنفسنا ايلاء ثابتاً لا يتزعزع. أن لا نذوق سنة الكرى. ولا لذة الرقاد حتى نفوز بما نصبو اليه ونحصل على مثلنا الأعلى. وهو الوطن الثابت الذي لا تزعزعه محركات الأضغان ولا أعاصير التعصبات. لانه أصبح من ضروريات الحياة.

مطامح نابليون الاستعمارية

أجمع علماء التاريخ من فرنسيين واسرائيليين من عهد بعيد علي التسليم بان فكرة اعادة اليهود الى فلسطين لتجديد انشائها كانت فى طليعة المرامي والمشاريع الاجتماعية السامية التي كانت تجول في مخيلة نابليون الوقادة ويطمح الى تحقيقها حيال المسألة الشرقية عند ما شرع في تجهيز حملته لغزو مصر والشام وكان هذا العبقرى الطامح الى تسنم ذرى المعالي يذوب صبابة ويتوق وجداً الى بلوغ هذا المأرب لاستمالة قلوب اليهود اليه و اكتساب ودهم له اذا قدر له الحظ. وساقه القدر الى تقرير مصائر تلك البلدان. ولعل من حقك علينا التوسع في الاحاطة بالشيء. فاننا نعرف لاحد العلماء تفاصيل صريحة جاية في ذلك البحث. ولم نر مصدراً وثيقاً نستقي منه أصدق البيانات أوفى من كتاب الزعيم سوكولو «فى تاريخ الصهيونية» وهو كتاب جليل عظيم القيمة ظهر في سنة ١٩١٩

فليس ثمة ريب في أن هذا الكتاب سيكون الغاية التي

توخاها في التحقيقات والابحاث الدقيقة لاستخلاص ما يكون لازماً من المعلومات . لأن نابغة كهذا النابغة وهو من الأعلام المؤرخين . ومن السياسيين المحنكين الذين توافرت فيهم شروط الكمال ونالوا شهرة عالية . لا ريب في أن يكون أمينا نزيهاً بعيداً عن الميول الحزبية والنزعات الجنسية

وان أنس لا أنس ذلك الخطاب المدبج بقلم يهودي افرنسي في سنة ١٧٩٨ والنداء الذي وجهه ذلك القائد العظيم نابوليون بونابرت في سنة ١٧٩٩ الى اليهود للقيام بمعاونته على رد أورشليم اليهم . فهاتان الحادثتان كانتا أقوى شاهد للتدليل على ما بلغته حالة اليهود النفسية في غرة القرن التاسع عشر

ولعل العبارات التي تناولها الخطاب لم تكن الا خواطر مرت بذهن الكاتب . أو أملاها عليه وحيه . أما النداء الذي وجهه نابوليون فلا اعتراض على انه لا يتنافى مع اراء حكومته . ولا نزاع في موافقتها له . ولما كان المرء مدفوعا بسليقته الى استجلاء الحقائق فمن المهم وقوفه على نص ذلك الخطاب ليكون على بينة من ذلك الشعور الوطني الذي كان سائدا بين يهود فرنسا والذي يعد برنامجا يهودياً حقيقياً وهذا نصه .

ايها الاخوان

«لا يغربن عن ذهنكم أن زفراتكم وتنهداتكم صعدت في خلال
«العصور الى عنان السماء لشدة مارزحتم تحت اثقال الجور والاضطهاد
«فهلا تنوون أن تتخلصوا نهائيا من الحالة المقرونة بالاذلال
«والانحطاط التي وضعكم فيها اناس من الهمج. اننا نرى الازدراء
«مرافقا لنا في كل مكان فالبدار البدار. فقد حان الوقت لتحطيم
«سلاسل الخسف والاهانة التي طوق العدو بها أعناقكم. وخلع النير
«الذي لا يطاق احتماله. نعم قد آن الأوان لنهوضنا. واحتلال المركز
«اللائق بنا بين امم العالم. فهيا بنا أيها الاخوان لتجديد هيكل اورشليم
« إن أمة لا تقهر. يشهد العالم مجدها وفخارها. محوطة بسياج
منيع من الايمان قد أظهرت لنا جيداً ماذا تفعل محبة الوطن من
المعجزات. فلنناشد هذه الأمة السخاء والكرم. طالبين اليها
المساعدة والعون. ويمكن أن نكون واثقين من أن الحكمة التي
يسترشد بها قادتها وزعماؤها تدفعهم الى التفكير في مقابلة طلبنا
بالارتياح والقبول»

« ان عددنا يبلغ ستة ملايين منتشرة في جميع اقطار العالم.
وفي حوزتنا ثروات طائلة واسعة. وممتلكات عظيمة شاسعة فيجب
ان نتذرع بكل ما لدينا من الوسائل لاستعادة بلادنا. أن الفرصة

لسانحة ومن واجبنا أن نغتنمها .»

«انه يجب العمل بالوسائل التالية لتحقيق هذا المشروع المقدس وهى اقامة مجلس ينتخبه اليهود المقيمون فى الخمسة عشر بلداً التالية وهى : ايطاليا . وسويسرا . والمجر . وبولونيا . وروسيا . وبلاد الشمال . وبريطانيا العظمى . واسبانيا . وبلاد ولس . والسويد . وروسيا . والمانيا وتركيا . واسيا . وافريقيا»

«فاللجنة الممثلة لليهود المقيمين في هذه البلدان كلها يمكنها أن تبحث في مهمتها وتتخذ ماتراه من القرارات في صددها . ويكون من الواجب على جميع اليهود أن يقبلوا هذه القرارات ويجعلوها بمثابة قانون لامندوحة لهم من الخضوع له . ويعين المجلس المشار اليه وكيلا يتولى تبليغ جميع قراراته . واقتراحاته للجنة الادارية التنفيذية التي تتولى بعد ذلك تبليغها للحكومة الفرنسية اذا اقتضت الحال ذلك . »

«أما البلاد التي تنوى قبولها بالاتفاق مع فرنسا فهي إقليم الوجه البحري من مصر مع حفظ منطقة واسعة المدى يمتد خطها من مدينة عكا الى البحر الميت . ومن جنوب هذا البحر الى البحر الاحمر »

«فهذا المركز الملائم أكثر من أي مركز آخر في العالم يجعلنا واسطة سير الملاحة الآتية من البحر الاحمر قابضين على ناصية

تجارة الهند وبلاد العرب . وأفريقيا الجنوبية والشمالية . ولاشك في أن بلاد اثيوبيا والحبشة لاتتأخر عن اقامة علاقتها التجارية معنا بملء الرضا والارتياح . وهي البلاد التي كانت تقدم للملك سليمان الذهب والعاج . والحجارة الكريمة»

«ثم أن مجاورة حلب ودمشق لنا تسهل تجارتنا . وموقع بلادنا على البحر المتوسط يمكننا من اقامة المواصلات بسهولة مع فرنسا وايطاليا . وأسبانيا وغيرها من بلدان أوروبا»

«ولما كانت بلادنا في موقع متوسط من العالم فانها ستصبح كمستودع لجميع الحاصلات التي تنتجها الاراضي الغنية »

«أما الاتفاقات والترتيبات الاخرى الخاصة باقتراحاتنا على الباب العالي . فلا يصوغ نشرها علناً . وعلي رؤوس الاشهاد . وسنكون مضطرين لابقاء هذه المسألة منوطة بحسن ادارة الأمة الفرنسية»

«ايها الأخوان . يجب أن لاتدخروا وسيلة أو تضحية في سبيل الوصول إلى هذه الغاية أي الرجوع إلى بلادنا حيث يمكن أن نعيش في ظل شرائعنا الخاصة . وأن نجدد البلاد المقدسة التي اشتهر أجدادنا بما بذلوه في سبيلها من التضحية . وما أظهروه من الشجاعة والشهامة . وكاني أراكم الآن ونار الايمان تضطرم في صدوركم

فيا أيها الاسرائيليون . لقد قربت الساعة التي ينتهي فيها أجل حالتكم التعسة. ان الفرصة الآن سانحة. فحاذروا أن تمرت من يدكم

وقد كان لهذا النداء وقع عظيم في النفوس : وتأثير بليغ في القلوب وهو يمثل ما رمز اليه ذلك العالم الكبير « بنسكر » في كتابه « تحرير اليهود » وما أشار اليه العالم « هرزل » يبدان كل هذه الاقوال . وتلك الرموز . ذهبت أدراج الرياح كمن يخط على صفحات الماء أو كمن ينفخ فى غير ضرم بعد فشل الحملة التى قام بها نابليون

ولقد كان ذلك القائد العظيم أذاع منشورا دعا فيه جميع يهود أسيا . وأفريقيا للانضمام تحت لوائه في سبيل تجديد اورشليم القديمة وكان قبل ذلك قد سلح عدداً كبيراً منهم . واخذت فصائلهم. وشراذمهم تهدد حلب (٣ بريريال السنة السابعة للجمهورية الفرنسية التى هي وحدة لا تتجزاء

لم تتقاعس عن الجزم بان مقاصد نابوليون وفكرته كانت على اعظم جانب من الصراحة والاخلاص فقد كان يعتبر اليهود لا سيما المقيمين منهم فى « أسيا وأفريقيا » تابعين لأمة تعتمد بأنه إذا كان

اليهود يعلمون أن أمانيهم الوطنية السامية يجب تحقيقها وأنه يمكنهم أن يؤملوا تجديد كيانهم في بلادهم كأمة مستقلة . فأنهم كانوا يستنفدون آخر سهم في كنانتهم لمساعدته في احراز النصر ونوال الظفر



نداء نابليون الى اليهود

ومراميه الكبرى فى الشرق

مامن احد يجهل أن نابوليون الذي كان ينظر الى الحوادث من الوجهة العسكرية التي هو عبقريتها الأكبر اتخذ مصر قاعدة حربية اتوسيع نطاق حركاته. وتوزيع قوات جيوشه فيها. ولما كان هؤلاء الجنود قد احتلوا منطقتي العريش وغزة. كان من المقرر والراسخ في الأذهان على وجه عام أن أورشليم ستقع حتما في د هذا الفاتح العظيم

ومما يجدر بنا ذكره هنا أن اليهود المقيمين في فلسطين ضنوا عليه بثقتهم. وأبوا أن يشقوا عصا الطاعة. ويجاهروا بالعصيان نحو الأتراك الذين كانوا يعيشون فى ظل حكمهم اذ من البديهي ان هذا الوفاء الذى تجلى من جانبهم كان مطابقاً لما هم مفطورون عليه من حسن الشيم. ونبل السجايا. ومن الجري على التقاليد التى كانت تحتم عليهم ان يظلوا دائبين في الوفاء نحو الأمم التي أحتضنتهم فى ربوعها. وأكرمت مثواهم

يذكرنا هذا الوفاء الطاهر بما أظهره اليهود من الجنوح

الطبيعي الى اتخاذ تركيا موطناً لهم بعد هجرتهم المشؤومة من اسبانيا تلك الهجرة التى تركت فى نفوسهم أسوأ الأثر. وأفظع الذكرى. وعرفانهم بحسن الصنيع الذى بدا من جانب الاتراك نحوهم. وهو عرفان لا ينفك مرسوماً على صفحات قلوبهم الى أبد الابدين. وسيكون نصب اعينهم اناء الليل وأطراف النهار. وسيتغنى بذكره نسلهم واعقابهم. واعقاب اعقابهم. على كرور السنين والدهور. ومرور الحقب والعصور

وتذكرنا هذه الحوادث ايضاً بصفحة ديوان التحقيق او مجالس التفتيش التي سطرها ذلك القضاء العاتي الذي تصرف تصرفاً وحشياً بدم الشهداء والضحايا الذين كانت تحوم حولهم الشبهات من اليهود. ويتهمون بتهمة الالحاد. والذيغ فى العقيدة

روعت هذه المجالس نفوس اليهودية وانزلت عليها كارثة هدامة مخيفة من أروع كوارث الدنيا وجها. وبلتها بمأساة أليمة قاسية من أشنع المآسي شكلا. هي فاجعة بشعاء هى داهية دهماء. قضت على أماني اليهود فى أسبانيا وقطعت أوصالهم. قضت المساويء أن يتم تمثيل هذه المآسي على مسرح الفظائع. وأبى الدهر الا أن يسجل تاريخ هذا الجور والعسف في سجل الاجيال والعصور لاتخاذه حجة على قسوة العالم الهمجية

هجر اليهود تلك البلاد المخضبة بدماء الأبرار . فاحتضنتهم تركيا التي انحنت عليهم عطفاً وحناناً . انعطاف الأم على ولدها وأرضعتهم من ثديها لبان الخير والسؤدد . نعم شبوا في عزها . وتربوا في مجدها . وشابوا في خيرها ونعيمها . فهل بعد هذا الرفق والانعطاف . ينقض اليهود عهوداً قطعوها على أنفسهم للحرص على وفائها . أو يحنثوا يميناً أقسموها للمحافظة على ولائها . فلا والله بل آلوا ايلاً تاماً . انهم لا يخفرون لها زماماً . ولا ينقضون لها عهداً وأنهم يبذلون حتى آخر قطرة من دمائهم في سبيل مجدها وارتقائها

وقد نقل الينا التاريخ أن الحاخام موسى مردخاي يوسف بنوحس كان من أشد أنصار مشروع بونابرت . ومن أقوى المحبذين لغايته ومراميه . ولكن اهتمام اليهود بالمشروع كان على وجه عام ضئيلا ، وقد ذكر الكولونيل سباستيان في تقرير وضعه سنة ١٨٠٢ في صدد مهمة باشرها في الأستانة ان اليهود ما فتئوا متمسكين بمقاصدهم في كل أنحاء العالم . وأنهم لا يعتبرون أي تبديل أو تغيير . ولا يكترثون له اذا لم يجدوا في طياته ما يشف عن رفع مستواهم الادبي الاجتماعي والاقتصادي

ومن المحقق أن فكرة اعادة بني اسرائيل الى فلسطين طفقت تزداد سعيراً في ذهن نابوليون وكانت شغلا شاغلا له . وقد كان

يلوح له ان هذا الحل ممكن جداً اذا نجح ولو قليلا فى تغيير مجرى الامور في الشرق. ولم تكن حملة مصر الا وسيلة نبلوغ هذه الغاية. ولكن شاءت المقادير ان لا تتحقق آماله. ذلك ان نابوليون بعد فشله امام قلعة عكا. وبالرغم من الانتصار العظيم الذي احرزه في «ابوقير» اضطر الى مغادرة القطر المصري بسرعة والعودة الى فرنسا وكان ذلك في سنة ١٨٩٩

وهكذا غاض الرجاء وانتهى الامر الذي كان يلوح للصهيونيين انه محاولة جدية لبلوغ مأربهم



الشاعر يهوداه هلليفى

فلنرجع الآن الى غضون بعض عصور مضت . فحوالي سنة ١١٤١ غادر احد فلاسفة اليهود وشعرائهم طايطلة بالاندلس وطنه ومسقط رأسه ولد فيها سنة ١٠٨٠ . وكان هذا الرجل فى غروب العمر يناهز الستين سنة فترك أعيانه وأسرته .وأصدقاءه. وكل ما فى حوزة يده قاصداً الذهاب الى فلسطين ليلثم تربتها . ويجثو امام حائط مبكادا . وينعي خرابها . ولعلكم تعلمون ماجاد به ذهن هذا الذهن الرجل وما أملى عليه الهامه . حين وضع كتابه المجيد المحتوي على تراتيل تتلوها كل سنة في اليوم التاسع من شهر آب . فهو الشاعر الذي ذاع قريضه بين اليهود هذا هو العالم العلامة يهوداه هلليفي .

ألقت السفينة المقلة لهذا الرجل مرساها فى ثغر الاسكندرية الباسم . وقد اتفق ان دخوله اليها كان في أيام عيد عظيم عند اليهود ولم يخطر بباله المكوث فيها سوى فترة ضئيلة للاستراحة فقد دفعه الحنين وساقه الجوى الى رؤية أرض بني اسرائيل . غير أن الحاخام هارون بن العماني وأولاده الذين كانوا قد أنزلوه ضيفاً

كريما بين ظهرانيهم واحتفوا به احتفاء عظيما ألحوا وأسرفوا في الالحاح عليه ليبقى ثلاثة اشهر ففازوا بما ابتغوه منه . وبعدانقضاء هذا الاجل لم ير بداً من مفارقتهم ومفارقة اصدقائه العديدين . فأدبوا له يوم التوديع مأدبة شائقة جمعت هؤلاء واولئك كان فيها موضع الا كرام والاجلال .وعند ارفضاض الوليمة ولى وجهه شطر دمياط . حيث نزل على الرحب والسعة في دار صديقه أبي سعيد بن حلفون هلايني .ثم تأهب لاتمام سفره ولكنه لم يكد يطىء قدمه السفينة حتى عدل عن فكره وعدل برنامج سفره ذلك لأن ناجداً أبا منصور توسل اليه أن يمكث في مصر بضعة أيام أيضا ودعاه إلى منزله حيث انهالت عليه عبارات المديح والاطراء التى كانت تعرب عما تكنه عواطف هؤلاء الناس نحوه

سحر النيل لب هذا الرجل . وأخذ بمجامع قلبه . ولم يكد ينظره حتى اخذت مخيلته تسبح فى عالم الخيال . وتيقظ في ذهنه ما كان كامنا في وجدانه من ذكريات التاريخ فلا غرو ان يمل هذا الرجل من شذا عبيره . وارج نسيمه فهو روح مصر وريحانها وراحتها .ولا بدع ايضا أن اثارات تلك الأمكنة أثارت شعوره وحركت اشجانه .فطفق يتغنى بمجد اورشليم والشعب اليهودي . ونظم قصيدتين من ابدع ما جادت به القرائح . اوحى بهما سمو الهامه

فأخذ ينشد مترنماً

أي أورشليم . ألا أيتها المدينة المقدسة الساحرة الجذابة . لذت بهجة العالم وغبطته افتتن بك كل من اجتلى محياك . كيف أسلوك ونفسي الشجية تصبو دائماً الى لقياك . أهتف باسمك وأنا في مدائن الغرب يدفعني الأسى والشجون الى البكاء والنحيب على ربوعك التي انتابها البلى . وامتدت اليها أيدي البوار والدمار ثم نظم قصيدة متغزلا بأورشليم نقلها احمد ابو بكر ابراهيم بدار العلوم العليا من العبرية الى العربية هي .

يا ظبية ملأت فؤادي لوعة

لا تصرمي حبل الهوى بجفاك

ان تقطعي عني الرسائل لم أبت

الا كما بات السليم الشاكي

اني اقلب في خيالك ناظري

وابثه شكواي بعد نواك

قلبي : اباق لا يزال مكانه

ام فارق الأضلاع كي يلقاك

فتذكري بالحب ايام الهوى

وتعلمي اني اسير هواك

زنمت مرخيالها في خاطري
هلا رايت خياله ورآك
ان الدموع وقد تكاثر ماؤها
بحر خضم حال دون لقاك
لكن اذا شئت العبور لقيته
فرقين فارتاحت له قدماك
أجريت دمعا في الصبابة آنياً
وأذبت قلباً لم يذبه سواك
ولقد أرتنى الليل منك غدائر
سود ومصباح الدجى خداك
يفتر ثغرك عن لآلي فوقها
شفتان كالياقوت ماابهاك
ولقد سموت على الحرير ملاسة
وقد ارتدت خلع البها عيناك
ان يبعد الترحال صوتك والنوى
فلقد أحس القلب همس خطاك
ان آن ان تهي الحياة لهالك
اودى به برح الهوى الفتاك

—٨—

فلترجعي روحى الى فانها
يوم الفراق تنبعت مسعاك

على اننا لسنا نعلم تماما المدة التى قضاها يهوداه هلليعي فى مصر ولكن يلوح لنا أن هذا الشاعر لم يمكث إكثر من سنتين اضاع في خلالها الأمل بما كان يجنح اليه من زيارة هذه المدينة المطهرة وابحر عقب ذلك من دمياط وغادر مصر على أن لا يؤوب اليها مطلقا

فبينما كانت السفينة تشق عباب اليم كان هذا الرجل مغتبط النفس . ناعم البال . هادىء البلبال . يصغى الى صوت البحر الخضم ونفسه الطاهرة تطلب الصعود الى جوار خالقها العزيز الرحيم

حايم فارحي ودفاعه المجيد

ولكي ندرك ما لمشروع نابوليون من الاهمية فى فتح فلسطين كل الادراك . ينبغى لنا هنا أن نسرد حادثة وهى إن لم تكن لها صلة مباشرة بموضوعنا هذا . فانها ذات شأن عظيم لا نزاع فيه من وجهتين لا يستهان بهما . الاولى تقدير درجه ثبات عزيمة اليهود على المكاره والشدائد . ووفائهم واخلاصهم لمن خطب ودهم واصطفاهم . والثانية كشف القناع عن العوامل الجوهرية التي كانت باعثا على حبوط مسعي نابوليون . وإخفاق مشروعه

كان بونابرت أعظم رجال الحرب دراية . وخبرة . ودهاء . وقد أدرك بثاقب فكره انه من المحال القبض علي زمام فلسطين دون الاستيلاء على قلعة عكا الشامخة . تلك القلعة الهائلة المنيعة التي يرتد عنها الطرف خاسراً كليلا . تلك القلعة التي كان يذود عن حماها أحد اليهود السوريين . حايم فارحي . وكان هذا الرجل مع بسالته وحسن رويته . طاهر العقيدة . اشتهر بصفاء السريرة وطهارة الذمة . وما فتيء مدة حياته الى أن أدركه مماته . مواظباً على عمله . جاداً في ثباته لا يعتريه خور في الجد والحزم . ولا وهن فى الشدة والعزم يستمد وحيه من وطنية صادقة مضطرمة حتى ضحى مثالا حياً في الشجاعة . والأمانة . والوفاء

مولده ونشأته

ولد هذا الرجل في مدينة دمشق في منتصف القرن الثامن عشر . من أسرة عريقة تفانت في خلال الاجيال في الدفاع عن أبناء جنسها مع شدة اخلاصها . ووفائها للحكومة العثمانية . وكان والده يتولى منصباً من اسمى مناصب الحكم في حكومة احمد الجزار هذا الرجل الذى كان من أشد باشاوات عكا وصيدون سطوة ونفوذاً

كان احمد الجزار خليقاً بهذا اللقب . إذ كان عاتياً قاسيا . حاد الطبع . سريع الغضب جبارا لا يصطلى له بنار . ولا يقر له قرار . مجرداً من الشعور الادبي . لا رادع يردعه . ولا شكيمة تكبح جماح شهواته وأهوائه . نعم استفحل غدر هـذا الرجل . وطغى طوفان عدوانه ولم يدع مكانا خالياً من طغيانه . كان متلونا تزور من الحق ازورارا لانه شب على الشر وامعن فيه إمعانا شائنا مريعاً وشاب على الجـور وأسرف فيه اسرافا جامحـا شنيعا . جمع ثروته الضخمة من أولئك الباشاوات الذين كانوا خاضعين لاحكامه . ولادراك ما كان عليـه من العتو والتجبر في ادارة الشؤون العامة . نكتفي بالاشارة الى ان المصانع الفرنسية التي أنشئت في مدائن عكا

وصيدا . وبيروت قد اقدم على تصفيتها في مدة ثلاثة ايام . وأرغم اصحابها على مغادرة البلاد في الحال . وإلا كان نصيبهم الموت الزؤام

وفي الواقع ان احمد الجزار كان لا يخلو من بعض مزايا فيما أظهره من الاقدام والبطولة . ولكنه كان لا يجنح لشيء سوى اللهو والقصف . والانهماك في الرذائل . والانغماس في اللذات ولم يبق فئة الباشوات المحوط بهم إلا اربع سنوات فقط قبل عودته الى عكا نهائيا

تورط هذا الرجل تورطاً شائنا في ارتكاب المعاصي واقتراف الموبقات . وترك من الضحايا اكداساً ومن الشهداء اكواما . وقد جعلهم مشوهي الوجوه مجدوعي الانوف . مبتوري الاذان

وكان لكاتب سره سلطة مطلقة واسعة المدى . وله حق الاشراف على خزينة الدوله . يتصرف فيها كما شاء . ولما كانت وظيفة هذا الكاتب ثابتة . لا تقبل العزل . فكان بديهيا ان يكون قابضا على أزمة الاحكام . إذ كان احمد الجزار يلجأ الى رأيه ومشورته . وكان من العادات المألوفة لدى الدولة ان الباشوات . وارباب المناصب الكبرى يذهبون كل سنة لتأدية فريضة الحج في مكة المكرمة هذه المدينة المطهرة . مدينة النور والسلام . ويسلمون زمام اعمالهم مدة غيابهم لكاتب السر هذا . ويعهدون في

تنظيم رحلاتهم السنوية وفي القيام بخدمتها غالباً الى طائفة من اليهود وفي مقدمتهم شاؤول فارحي . لانه كان على جانب عظيم من الحنكة والدربة والاختبار .

رزق شاؤول اربعة اولاد وهم : حاييم . وسليمان . وروفائيل . وموسى . وابنة وحيدة . فاختار من بين اولاده اكبرهم سنا وأسدهم رأيا . واسماهم ذكاء وادمثهم حجة . فقرنه على اعمال الدولة وأطلعه على دخايل أمورها فدبت الغيرة والحسد في قلوب طائفة من الوشاة والنمامين . فاصبح عرضة لشتى دسائسهم . وهدفاً لسهام اضغانهم . فكادوا له في الخفاء . واوقعوه في حبائل شرهم . فأقتيد بعد ذلك الى الاستانة لاستجوابه عن تهمة وجهت اليه . واسفر التحقيق عن الحكم عليه بغرامة فادحة . ولما تعذر عليه القيام بدفعها زج في غيابات السجون . ولكن عز على اخته ان ترى هذا البريء مكبلا بأصفاد الذل الهوان فأسرعت بالذهاب الى الاستانة . وهناك وثبت وثبة الاسد الغضنفر . واثارت عواصف المناقشات فارتفعت صيحة البريء . وقام ضجيج من السخط . فظهرت الحقيقة سافرة الوجه . وقبلت المحكمة اعادة النظر في القضية . واصدرت حكمها بالاجماع بان التهمة الموجهة اليه ليست إلا تهمة باطلة لحمتها الانتقام وسداها الحقد والتشفي . وهكذا قضت ببراءة الشاب الشريف .

فعفت بذلك رسوم تلك المأساة الممقوتة التي كانت النتيجة بعد تحقيقها مضرب الامثال في شرف عواطف تركيا . وسمو نزاهتها ونبل مبادئها . وقد طوى التاريخ تلك القضية التي ما برحت ان بعثت في الوالد روحا جديدة من الامال ساعدت على مضاعفة جهوده ونشاطه

ومن العبث القول ان نزاهة حايم فارحي. واستقامته الادبية كانتا بمأمن من ان يحوم حولهما ريب. وقد اكسبته مدة اقامته في الاستانة خبرة واسعة النطاق لم يتردد في استثمارها لتعزيز علاقاته مع الباب العالي الذي كان حريصا على إخلاصه له دائما ابدا . ولما ادرك احمد الجزار ما وصل اليه هذا الرجل من النفوذ ..وسمو المكانة لدى وزراء الدولة . قربه اليه . وخطب وده . وجعله كاتبا اي وزيراً مهيمنا على كل شؤون اعماله

وليس بعجيب إذا راينا اليهود في مدينة عكا قليلي العدد في ذاك العهد . ولا يربي مجموع تمدادهم فيها على ست وثلاثين أسرة يهودية . والف نسمة في اورشليم . في حين ان تعداد الاهالي الوطنيين بلغ زهاء عشرة آلاف . اما يافا . وطبريا. وحبرون فكانت حافلة بالجماعات اليهودية وغاصة بها

ولا مشاحة ان الدور الذي لعبه اليهود القاطنون في فلسطين

تحت سلطة احمد الجزار ووزيره حايم فارحي . كان دوراً عظيم الاثر رغم ضآلة عددهم فيها نظراً لارتباطهم بالجماعات اليهودية التي تألفت في اكبر المدن كدمشق وبغداد والاستانة . الامر الذي جذب فؤاد نابوليون اليهم وجعله يناشدهم معاونته في تحقيق غاياته ومراميه

شمر حايم فارحي عن ساعد الجد . وألقى تلك المسئولية المزدوجة على عاتقه . لا سيما وقد عهد اليه في رقابة خطوط المواصلات بين الشام والحجاز . وبين النمط المركزية النائية . ووكل اليه أيضا الحرص في معاملاته مع الاستانة على كل ما تقتضيه مبادىء المجاملات : والذوق السليم وكانت تكتنف هذا العمل شتى المصاعب . وضروب العقبات . ويهيمن عليها شبح الخطر الذي يهدد بين آونة واخرى بقطع العلاقات مع بلدان سوريا . فضلا عن انه ليس من الهنات الهينات استمالة عواطف انسان مذبذب كهذا الباشا تحوطه طائفة من أولئك المتهالكين على الدس في الخفاء ومن وراء الستار للايقاع بخصومهم والنيل منهم . ولكن حايم فارحي الذي ترعرع في تلك البيئات وشابت ذوائبه في اوساطها عرف من اين تؤكل الكتف . ولم يفته واردة . ولا شاردة من اعمالهم . فكان الهام غرائزه الشخصية النابهة وحرصه على تراث أجداده ومخلفاتهم من التقاليد اكبر عون له في ان يتعهد هذا المركب

بكل حذق ومهارة ويمخر به عباب بحر عجاج . ثم يفوز بالنجاة بعد تخلصه من اشد الصخور خطراً

وقد ضاعف مشاغل فكر هذا الرجل الخطر المحدق به من جانب نابوليون فاخذ يتأهب . ويعد العدة لتذليل العقبات التي لامندوحة من قيامها في أثناء النضال العنيف الهائل الذي ستثيره مطامع نابوليون ومطامعه.ولم يغرب عن ذهنه ان نابوليون بابتكاره فكرة إنشاء امبراطورية في الشرق . وشروعه في غزو بلاد فلسطين لابد أن يقف وجها لوجه أمام آل عثمان.وهي أول مرحلة لازمة ليس إلى اجتنابها من سبيل

وكانت الجيوش الفرنسية قد اكتسحت معظم تلك البلاد واصبحت علي قاب قوسين أو أدني من باب اورشليم. بيد أن القائد العظيم اصر اصراراً شديداً على الاستيلاء على قلعة عكا.مهما كانت مناعتها . ولو سالت على حد الظبات نفوس جنوده وقواده وذلك لاشرافها على البحر . وتسلطها علي كل مايحيط بها . ولكن فاته أن دون سقوطها شق الأنفس وخرط القتاد . ذلك أن هذه القلعة ذادت عن ذمارها ببسالة لايضارعها بسالة وهي بسالة أذهلت العالم فاقت حدود الشجاعة البشرية.ولم تكن روح هذه الشجاعة والمقاومة اللتين كانتا سداً منيعا في سبيل تقدم هذا الجيش المتحمس سوى

هذا الشهم الباسل حايم فارحي الذي دافع عن ارض الوطن المسلوبة من شعبه منذ ثمانية عشر قرناً دفاع الاسد عن عرينه

فيالسخرية القدر . ويالشدة غدره الفاجع فقد قطع هذا القدر العاتي على نفسه عهداً ان يشيد فارحي بيده مجد احمد باشا الجزار مجد هذا الرجل القاسي الذي لم يرو ظمأه الا بدم الابرياء والشهداء وان يكون جزاؤه منه اشنع الجزاء وافظع النعم . ذلك ان هذا الطاغية كان يلذ له ان يرى تشويه اجسام رعاياه . وبتر اعضائهم . حتى ان نخبة المقربين له لم يسعدهم الحظ بالافلات من براثنه ، وقد رأى ما لحايم فارحي من المواهب العظيمة . والذكاء المفرط . فضلا عما خصه الله من جمال الطلعة . وجلال المحيا . وحسن القوام وشعر بان جذوة الغيرة والحسد تضطرم بين جوانحه . وتزداد كل يوم لظى وسعيراً . فهب يوماً مذعوراً من سباته . تساوره الاحلام المرعبه . ونهض من مضجعه باعين تلتهب بنار الغدر والخيانة . فسولت له نفسه الامارة بالسوء ان يؤذيه . ويشوه وجهه البديع فأمر جلاده بأن يسمل احدي عينيه ليكون موضعاً للازدراء . والهزء والسخرية

فهذة القسوة الهمجية لم تثبط عزيمة فارحي ولا اوهنت جلده بل ضاعفت نشاطه. ودفعته حكمته الى أن يكون اعظم عناية بخدمة ذلك السفاح وكان يستر عاهته ببعض عمامته. ولكن هذا التشويه لم يكن كافيا لشفاء غليل الجزار فتوعده بأن يمثل به تمثيلا شنيعاً

—❁—

اقتراحات البرنس دي ليني

في مذكرته عن اليهود

ومما هو جدير بالذكر أن نابوليون كان له في فرنسا متكهنون بل اننا نرى في سنة ١٧٩٧ ماقدمه البرنس دي ليني من الاقتراحات الجدية في مذكرته عن اليهود حيث أشار الى وجوب اصلاح شأن الاسرائيلين واعادتهم الى مملكة يهودا

وقد كتب هذا البرنس في بعض ما ذكره في هذه المذكرة التي عرضها على امبراطور النمسا جوزيف الثاني هذه العبارة:

«أننا بعد مارسمنا للممالك المسيحية الخطة التي يجب اتباعها للقيام بواجبها ومصالحها وذلك في سبيل تحسين أحوال اليهود في اوروبا واعلاء شأنهم . نستطيع التكهن بما سيطرأ في المستقبل اذا كان مجلسنا يجهل ذلك

ففي استطاعة الاتراك اجتذاب عواطف الاسرائيليين نحوهم وتوليتهم مناصب سامية كمستشارين . وسياسيين . وتجار للوصول الى اقتباس معارفهم وما اكتسبوه من الدربة والاختبار في كل نواحي

الحياة . لاسيما فيما يتعلق بمزايا الدول المسيحية.ووجوه الضعف فيها فمن المحتمل والحالة هذه ان يبيع السلطان فلسطين لليهود . وهم لا يحجمون عن ان يجعلوها بلاداً عامرة مزدهرة كما كانت في عهدها الماضي . ومتى عادت بلاد اليهود الى يدهم . فانهم لا يتوانون لحظة في ادخال الزراعة.والصناعة . والفنون والتجارة اليها على الاساليب الغربية.ثم انهم يجددون هيكل سليمان ويستخدمون هطول الامطار ومجاري المياه لري حقولهم ومزارعهم : وينشئون القنوات والترع للملاحة

وقد ادرك نابوليون بفرط ذكائه.مايمكن ان تنتجه اذهان اليهود . وكان يعلم ان انقاذهم . واعادة نشاطهم.في ميدان السياسة ومناحي الثقافة في وطن اجدادهم . وفي جزء من الاقاليم المصرية لا يقتصر امرها على ان يكون حادثاً تاريخياً وانسانياً فحسب . بل يمكن ان يكون من الوسائل الفعالة لتحقيق ماله من المقاصد الكبيرة والمرامي البعيدة في الشرق

وقد تأهب نابوليون لهذا الامر بأن ضم اليه اليهود الذين كان يجب ان يفعلوا مايطابق الحالة الجديدة التي سيشرع في ايجادها ولكي يتمكن من احتلال فلسطين من اقصاها الى اقصاها.ولاحاطة جيوشه بسياج من الامن . والطمانينة جعل نصب عينيه في طليعة

مشروعاته القبض على ناصية مدينة عكا والاستيلاء على قلعتها الهائلة

وكان ذلك القائد المجيد يعلم ان شبح البطل حايم فارحي كان جاثما من وراء تلك القلعة . وربما كان راسخا في ذهنه ان هذا الرجل سيمد له يد المساعدة . ويمهد له طريق احتلالها بالنظر الى مشروعه الخاص باعادة وطن اليهود اليهم لا سيما وان فارحي كان قد تحمل من احمد الجزار شتى الاهانات . وصنوف العذاب . فاذن ليس هذا الرجل جديراً بأي عطف أو مراعاة . وكانت تتأجج في فؤاد نابوليون شعلة الانتقام منه لما الحقه بالفرنسيين من الاذلال وسوء المعاملة في سنة ١٧٩١ عند ما طرد المقيمين منهم في عكا طرداً فاضحا . وهكذا كانت جميع العوامل الناطقة في تلك الظروف تبدو مؤيدة لفتح فلسطين

ففي يوم ٢٥ ديسمبر سنة ١٧٩٩ سقطت غزة في ايدي المهاجمين . ولم يمر بضعة ايام حتى استولت جنود نابوليون على مدينة الرملة . وهى مدينة قائمة بين يافا واورشليم اذ كان نابوليون يقصد بذلك اقامة الحصار امام اورشليم . ولكن سرعان ما حور خطته . وصوب فوهات المدافع نحو عكا

وكان نابوليون قد وضع خطته الحربية مرتكنا الى ما عنده من الآمال في معاونة فارحي له . ولكن تداعي ركن هذا الامل

عند ما وجدان روح المقاومة الشديدة. ونظامها البديع اللذين كانا العامل الوحيد في اندحار جيوشه مبعثهما البطل المقدام حايم فارحي نفسه . فذهل نابوليون من هـذا الامر ورأى من العبث انفاذ ما شرع فيه . اذ ان الموقف الغريب الذي وقفه فارحي من امرا هذا الحصار قضى على أمانيه في اسيا قضاء مبرما . وكان سببا في النكبة التي المت بجيشه . وفشل حملة فلسطين فشلا تاما

نال فرحي حظوة في أعين الشعب فتسامى مقامه . وتعالى مركزه . وظل خادماً اميناً . وفياً لهذا الجبار العاتى. حريصاً على مصالحه وكان الفضل لفارحي في بقاء فلسطين وسوريه تحت حكم تركيا حتى حرب سنة ١٩١٤

قضى احمد باشا الجزار نحبه . وانشبت المنية فيه أظفارها في سنة ١٨٠٨ .ولكن يا لتهكم القدر وسخريته. فان حايم فارحي الذى كان فريسة له وأصبح مشوه الوجه .فاقد العين بايعاز من من ذلك السفاح .عز عليه ان تتوارى رفاته في مضجعه الا بدي دون ان يقيم له جنازة من أفخم الجنازات . جديرة بسلاطين الشرق وكان تفاني هذا الرجل في الاخلاص والوفاء ميزة عظيمة من مميزات صفاته الغريزية وقد قال سوكولو انه بحسب شهادة جميع المؤرخين المعاصرين قد نفذ هذا اليهود المبادىء المسيحية

الحقيقية باظهاره مثل هـذه العواطف نحو الرجـال الذي ازدراه واضطهده اضطهاداً شائناً. وأسرف في التنكيل به. والاساءة اليه

وقد أبقى سليمان باشا الذي خلف الجزار في الحكم حايم فارحي في منصبه السامي وبسط حكمه في هذه المقاطعة بمعاونته ومؤازرته له في احـكامه مـدة ست عشرة سنة متواليـة. كانت فلسطين في غضونها ترفل في مروط الخير. وحلل الرفاهية اذ تدفقت عليها في خلالها غيوث الخيرات ومزن البركات.

اغتيال حايم فارحي

وفي سنة ١٨٢٤ توفي سليمان باشا فخلفه نجله عبد الله في ولاية عكا . وفي عهد هذا الوالي قتل حايم فارحي غيلة . قتل هذا الرجل الذي كان شعاراً للبسالة ومثالا للشرف . قتله عبد الله واورده مناهل الحتوف . قتله هذا السفاح غدراً وخيانة . وذهب ضحية وفائه . ومواهبه العظيمة

كان عبد الله خليقاً بأن يخلف احمد الجزار بما له من الغرائز الوحشية الثائرة والوسائل الدموية الجامحة . وكانت نار الكمد والضغينة تتأجج بين حنايا ضلوعه . فتعروه بين آونة وأخرى هزة من الكمد . ولوثة من الجنون لما كان يراه من عطف الشعب على فارحي . واجتذاب قلبه اليه . وتنبعث من صدره تأوهات سامة كفحيح الحية الرقطاء . ولما لم ير وسيلة للنكاية به وتشويه وجهه فوق تشويهه السابق طفق يفرغ جعبة تصوراته الجهنمية ليتسنى له اقتناصه . ثم عمد الى حيلة شنعاء . اوقعه في شراكها . فأوعز الى رئيس الشرطة ان يغتاله في مكان منعزل . فصدع هذا بالامر وظل يراقب حركاته وسكناته حتى غنم فرصة انفراده فانقض

عليه بغتة هو وأعوانه انقضاض الباشق على الحمام . وذبحوه ذبح الاغنام لا سند له ولا معين . ضن بعد ذلك على جثمانه بان ينزل في الرمس . بل يلقى فى اعماق البحر ليكون اليم مرقده الابدي وسكناه وبطون الحيتان والاسماك مضجعه ومثواه لا لاثم اقترفه ولا لذنب جناه . سوى بروز هذه الشخصية بروزاً بينا بحو لب الشعب ونال احترامه .

روعت هذه المأساة عكا بأسرها . وصدعت فؤادها وقلبها وفطرت هذه الفاجعة الافئدة . وجففت المآقي . وقرحت الجفون فاخذ اهلها ينتحبون ويسكبون العبرات على هذه النكبة التي كانت من أشد النكبات وطفق الخلان يبكونه بكاء الثوا كل ويذرفون عقيق الدمع لهذه الآفة التي هى من أشد الآفات . ألا في سبيل الله ماحل بهذا الرجل من هذين السفاحين اللذين تفننا في سبيل تعذيبه ولم يرعويا عن غي ولا ضلال . سحقاً لهذه الحياة وتعساً لها حياة كلها خطوب واضغاث احلام تساق الابرياء فيها للفناء سوق اغنام . هلا درى هذان الظالمان ان الحسنات والسيئات كفتاهما متساويتان في الحياة . وأن الدهر قلب . وأن الايام في غضبتها مضض . أما كانا يعلمان أن عقاب الله شديد . وأنه سيكون يوم العرض وقفة تشتك لهذا الشهيد . وأن الله حسيبهما ورقيبهما يوم

الحساب . يوم عطش الأكباد . يوم يكون هو الحاكم على العباد

نعم إن في السماء لحسابا وان في يوم الحشر لعقابا وماكان ربك ليترك الظالمين فى ظلمهم. وأن ربك لعزيز ذو انتقام

تبا لهذا الدهر المشوم. وبئسا لعسفه واحكامه. فقد ذهبت كل التوسلات التي بذلتها أسرة هذا الرجل. والمساعي التي قام اصدقاؤه بها لدفنه باحتفال يليق بكرامته . بدون جدوى . اي صرخة فى واد .

تفانت روح هذا الرجل في خدمة هذين الظالمين فكان جزاؤه المخامرة. والمخاتلة ونقض الزمام. ولقد اغتيل هذا الرجل حسب ماروى لنا الأستاذ شولز الذي كان مقيما في ضاحية من ضواحي هذه المدينة في اليوم الرابع من شهر أغسطس سنة ١٨٢٤ وصودرت عقب هذا الأغتيال جميع ممتلكاته . وأمواله وأعيانه المنقولة. وعقاراته. وتركت أسرته عكا صفر اليدين. وفي جنح الليل البهيم. نادبة سوء حظها على ما آل بها اليه الحال. من ضيق ذات اليد وسوء المآل. وقد ساورت أرملته الوجوم والهموم . فصارعتها وقضت على ما بقي بها من رمق

ماتت هذه الامرأة المنكودة الحظ. بعد مارأت براثن الفاقة تقطع أوصالها . ومخالب الجوع تنهش أحشاءها . ولم يكن لها إذ ذاك مندوحة عن البكاء والعويل بحرقة ومرارة . عساها أن تجد من يصغى لشكواها . ويرثي لبلواها . تطلب الرحمة . فلا تجدها

وليستجد بها فلا تلقاها . ولقد نفذ صبر اليهود من هذه الكارثة الدهماء . وهذه الخيانة البشعاء . وأرادوا أن يضعوا حداً لهذه الموبقات . وشكيمة لكبح جماح هذه الاعتداآت . فأخذ شقيقا فرحي سليمان وروفائيل اللذان كانا فى دمشق . ينظمان حملة من نخبة الشبان . فانتخبا منهم اشدهم بأساً . وأقواهم مراساً . واصلبهم عوداً لمقاتلة عبد الله باشا . والانتقام منه . فكانت هذه هي المرة الاولى من قرون لقيام فريق من اليهود بتنظيم حملة حربية قوية لمحاربة من غدر بهم . واعتدى عليهم

ما أظهره اليهود من البسالة

للاخذ بثار حايم فارحي

ومن العجب العجاب أن الباشوات الحاكمين على دمشق وحلب بادروا هم أيضاً الى الانضمام إلى هذا الجيش المفعم بالحماسة والبسالة للتنكيل بعبد الله والنيل منه . وابرموا مع هذين القائدين محالفة ودية لتعزيز قوته . واشتركوا جميعاً في إقامة الحصار حول مدينة عكا. فهجموا هجوماً صادقاً . وثار عجاج الخيل.وعلا صهيل الصافنات .ولم يسمع في الهيجاء إلا وقوع الصارم البتار.واشتباك القنا العسال . ففرقوا الكتائب . وثملوا من خمرة النصر. ولم يبق لهم سوى فترة وجيزة من الزمن حتى يحرزوا الظفر المبين.ولكن عند مارأى العدو قرب سقوط القلعة في يد اليهود وحلفائهم عمد إلى الخداع والمكر.ودس بين ظهرانيهم أحد الجواسيس فتغلغل في وسط جموعهم وتمكن من دس السم الزعاف لسليمان رأس الحملة وقائدها غدر به. أيضاً هذا الخائن وأورده مناهل المنون. فتفككت أجزاء الحملة وتقطعت أوصالها.وذهبت تلك الحماسة المضطرمة هباء منثوراً

على أن آخر من بقي على قيد الحياة من هذه الاسرة العظيمة هو روفائيل. وكان يشغل منصب وزير في دمشق سنة ١٨٢٠ ثم

انتخب عضواً في المجلس البلدي لهذه المدينة

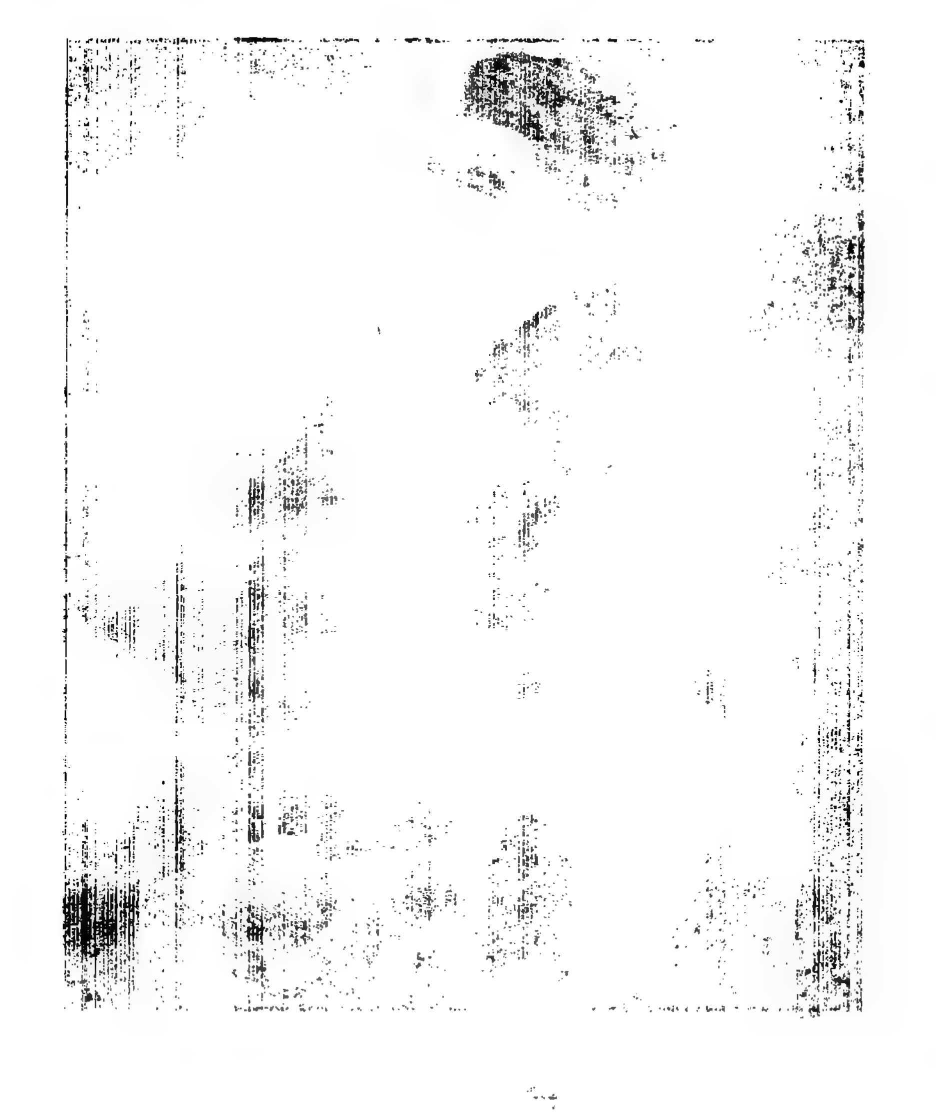
وقد روى الأب جون ويلسن زيارته لعائلة فارحي. فأطنب في مدح هذه العائلة . واثنى على اعضائها ثناء جميلا . لاسيما وانها كانت من اعظم اصحاب المصارف والتجارة في دمشق شأناً . واسماهم مكانة ونفوذاً وبالغت ثروتها . وقيمة تجارتها ملايين من الجنيهات . والأمر الذي استماله اليه. وأثار إعجابه هو الكتبخانة القيمة التي كانت غاصة بكتب أداب اليهود . ثم ما امتازت به نساء هذه الاسرة وأوانسها من نبل السجايا وحسن الشيم والطهارة والعفاف وسمو الأخلاق والآداب وقد أصبح ذلك مثلا من الأمثال السائرة في مدائن الشام برمتها

أفرغ القدر القاسي كنانة غدره في أفئدة هذه العائلة المنكودة الحظ : وأبى ألا أن يموت روفائيل فارحي هو الآخر ويذهب ضحية التعصب الممقوت

مات هذا الرجل في سنة ١٨٤٠ أثر اضطرابات اثارتها تهمة باطلة من تهم القتل لغرض ديني وجهت اليه تجرع من جراء هذا الأمر هو وأبنه كأس المر حتى حثالته . وهكذا ختمت مأساة هذه العائلة المجيدة التي كانت علاقاتها التاريخية وثيقة العرى بحوادث فلسطين : وبحملة نابوليون الشهيرة



السير موسى مونتفيوري



السير موسى مونتوفيوري

فلنرجع الآن الى السير موسى مونيوفيوري الذي كان شهاباً ثاقباً في القرن التاسع عشر وماقام به من الاعمال الجليلة :

كان السير موسى مونتوفيوري في طليعة المبشرين والمتكهنين بىزوغ شمس الصهيونية: وكان أعظم رجل وقف حياته على خدمة انكلترا واليهودية . وقد كان ذكي الفؤاد . متوقد الذهن . ورعاً تقياً معتصما بأهداب إيمانه وعقيدته . بصيراً فى العواقب . مخلصاً كل الاخلاص للاسرة المالكة . مدافعاً عن شرف اسرائيل . مستبسلا في الذود عن حياض أبناء جنسه الذين رزحوا تحت أعباء الاضطهاد

انتقل هذا الرجل الكبير إلى جوار خالقه وهو يناهز مئة سنه بعد ما ضحى بستين سنة من حياته فى سبيل مصالح اليهود . وإعلاء شأنهم

زار هذا الرجل فلسطين . وطافها سبع مرات . ثم عرج على مصر وأقام فيها مراراً عديدة. وكان جوّاب إفاق. مولعاً بالسياحة جانحا اليها . ساح في كثير من البلدان الاوربية وخصوصا روسيا حيث تمادى به السخاء . وتمشى به الجود . فاسبغ الاءه ونعمه على

اليهود . ووزع عليهم أموالا طائلة . جاد وامعن في الجود والعطاء امعانا حاتمياً دون ان يحرم العناصر المنتمية الى العقائد الأخرى او يضن عليها بشيء . فجذبت هذه الاريحية الصادقة عطف العالم بحمايه واعجابه

ثم لقد اكتسب هذا السخي من هذه السياحات . ومن التبحر الواسع في سير العمل . وجس نبض الامم علما زاخرا راسخا واستبطن غوامض خفيه . فاعانه ذلك على الاضطلاع بجلائل الاعمال . وكان بعامل سجيته ومشاعره النبيلة داعياً صهيونيا كبيراً فكأنه على وفور استعداده ومواهبه انما خلقه الله في اليهود لنشر الدعوة فحسب . فانقادت له نفوسهم . وطافت متعاقدة من حوله قلوبهم . فليس هناك بقعة من البقاع اليهودية . وطئت ارضها قدماه إلا وكانت فيها ثورة فكرية اجتماعية . لا تخبو نارها . ولا تخمد أوارها وأخذ يفني حياته في سبيل تقويم أود اليهود . واصلاح اعوجاجهم ويدعوهم الى اعداد ذرائع الدفاع لساعة يصيح فيها النفير وما برح على هذه الحالة حتى يوم احتضاره

ولقد يحدو بنا الامر لانارة الاذهان في هذا المقام الى ان نذكر نبذا في بحث قيم ممتع . جليل القدر . كثير القيمة لبنحاس

ابن زيني جارجوسكي نشرته جريدة «دوار هايوم» في سنة ١٩٢٨ كشف لنا هذا البحث عن وجه الحقيقة التي لا مرية فيها. وأظهر ما كان مونتوفيوري مطبوعا عليه من دماثة الاخلاق. وحسن السجايا وسمو الادراك

مونتوفيوري وعلاقاته

بالبلاط البريطاني

ففي سنة ١٨١٦ اشتدت وطأة المرض على جورج الثالث ملك انكلترا . وكان الدوق اف كنوت قدغادر البلاد بعد تبديده ثروة طائلة . وحرمانه من الاقامة في القصر الملكي فأقام البرنس في مدينة بروكسيل . وفي سنة ١٨١٨ عقد زواجه على البرنسيس فان ليننجن وهو في الحادية والاربعين من عمره . فعقد عزيمته على اتخاذ قصر أمرباخ الذي هومن ممتلكات زوجته مسكناً له

ففي هذا القصر زار مونتوفيوري البرنس أوف كنوت . وتحدث اليه في موضوع مرض والده ملك انكلترا واستفحاله مشيراً في خلال كلامه الى أن مسألة تولى العرش يمكن أن توضع على بساط البحث في وقت قريب . وأسدى اليه النصح بان يعود الى لندن . فأبى البرنس العمل بهذه النصيحة زاعماً ان صحته منحرفة وان السفر قديضر بها . ولكن ذلك لم يثبط عزيمة مونتوفيوري ولم يثنه عما كان يتوخاه ويرمي اليه . فزار البرنسيس وباحثها في الامر مظهراً لها ان القوانين الدستورية ثابتة في احكامها لا تسمح

مطلقاً لاي برنس مولود في خارج البلاد البريطانية بأن يتبوأ العرش البريطاني . وان الملك ينتظر موته بين لحظة وأخرى . وان نجله جورج مريض ايضاً . وليس له ولد يخلفه وان البرنس ويليام لن يكون له ولد . فلا بد من عودة العرش في نهاية الامر الى قرينها الدوق ادوار الثالث وأولاده

ولما كانت هذه البرنسيس حاملا وقتئذ ادركت ما لهذه النصيحة من القيمة والاهمية فبذلت كل ما لديها من وسائل لاقناع زوجها بالعودة الى لندن ففازت بأمنيتها . وأقامت في سراي بوكنجهام حيث رزقت في اليوم التاسع عشر من شهر مايو سنة ١٨١٩ بنتاً وبعبارة اسمى فانها تمخضت عن هلال وضاء ما لبث ان استكمل وأصبح بدراً منيرا ساطعاً بهر انكلترا بسحر سنائه وحسن ضيائه ولم يكن هذا البدر سوى فيكتوريا الملكة العظيمة التي بلغت سعادة بريطانيا العظمى في عهدها الفرقدين وعظمتها السماكين شاء الطالع أن يتم ما كان قد تكهن به مونتوفيوري وتوقعه :

ففي سنة سنة ١٨٢٠ توفي جورج الثالث. وبعد انقضاء سبع سنين توفي جورج الرابع ثم لم يمض زمن قصير حتى توفي ويليام الرابع فاصبحت البرنسيس فيكتوريا كريمة الدوق أوف كنوت الوريثة الوحيدة للتاج البريطاني بدون منافس ولا معارض

عطف الملكه فكتوريا

على مونتوفيورى

لم يبرح من ذهن الملكة فكتوريا ذكر العمل الجليل الذى قام به مونتوفيوري . فأعربت عما كان يخالج شعورها من الامتنان له والعطف عليه . وسرعان ماغمرته بنعمائها. وشملته بالرعاية والاكرام ولمناسبة بلوغ مونتوفيوري السنة التاسعة والتسعين من عمره وجه اليه السير الفريد ماركوس من مدينة بوستون في الولايات المتحدة الاميريكية تسعة وتسعين خطاباً صادرة من تسعة وتسعين رجلا من أعاظم رجالات اميريكا وكبرائها وفي مقدمتهم الجنرال ارثور رئيس الجمهورية وقد أثنوا فيها عليه أحسن الثناء وأعربوا له عما تكنه عواطفهم نحوه من الأماني . وحدث أن أعيان اليهود في لندن عقدوا اجتماعا تناول بحثهم فيه تلك المفتريات والأكاذيب والتهم الباطلة التى توجه إلى اليهود عن قتل أطفال لأغراض دينية فأخذ مونتوفيوري يقص عليهم ماحدث له في فلسطين أثناء سياحته فيها فبينما كان ذات ليلة مضطجعاً في خيمته هب مذعوراً من رقاده

بين ضجيج وصخب . ودوي اطلاق عيارات نارية وقد أثار هذا الهياج صياح امرأة عربية ـ وعويلها زاعمة أن مونتوفيوري قتل ولداً من أولادها وأخفاه تحت سريره . فثارت بذلك ثائرة جماعة من الأهلين . وقد أوغر التعصب صدورهم.فتألبوا حوله يرومون اغتياله . ولكن الرجال المسلمين القائمين بخدمته تصدوا لاولئك المشاغبين وتمكنوا من تبديد شملهم بعد عناء شديد .وقد عمد بعد ذلك إلى ابلاغ خبر الحادث الوالي الذي اتخذ التدابير اللازمة لحمايته . وقد صد الله غائلة هؤلاء القتلة ورد كيدهم في نحرهم لان الصبي الذي اتهم مونتوفيوري بقتله وجد في اليوم التالي حياً سليما

وكان مونتوفيوري يلذله في شيخوخته أن يقص كل ماحدث له في عنفوان شبابه وريعان عمره من المشقات والمصاعب التي كان يقوم بتذليلها بفضل ماخصه الله به من الرزانة والحزم والصبر . وقد تذرع في ذلك الحين بالاقتصاد والقناعة . فكانت تلك المزايا الحميدة سبباً في حصوله بعد بضع سنين على مركز صراف التاج البريطاني . ولم يمر عليه زمن وجيز حتى ساعده الحظ وأثرى ثراء عظيما جدا به الى الانسحاب من ميدان الأعمال وهو في الأربعين من عمره ليقف بقية حياته وثروته على فلسطين اذ آل ايلاء ثابتاً أن يضحي بثروته الهائلة التي اجتناها . والمدة الباقية من حياته في

سبيل اقامة مأوى عظيم في فلسطين يلجأ اليه كل من يحل بهم عذاب الاضطهاد من اليهود

ولما بلغ مونتوفيوري السنة المئة من العمر أرسلت اليه الملكة فكتوريا برقية جاء فيها « ان الملكة تعرب له عن أدعيتها الصادقة وتباركه من صميم قلبها في مناسبة ذكرى مولده السعيده. وحياته الحافلة بالخدم الجليلة والأعمال المفيدة.وأضاف البرنس أورنسبورج الى نص هذه البرقية مايلي « اسمح لى ياجناب السير أن أضم دعائي الى الأدعية الكثيرة التي تتلقاها اليوم من انحاء العالم بأسره

ليس من شك في أنه مامن لذة تعادل لذة الافاضه بتلك الذكريات التاريخية الخاصة بهذا الرجل العظيم. ولكن الاسهاب قد يبعدنا عن موضوعنا فالخلاصة أن مونتوفيوري . كان محسنا كبيرا . وكان صهيونيا عظيما نبيل العواطف ومحباً للانسانية توالت رحلاته في فلسطين جاعلا نصب عينيه ضرورة انقاذ اليهود المضطهدين والذين جار عليهم الزمان وتمكينهم من استعمار بلاد أجدادهم وتجديدها مع احاطتهم بسياج من الضمانات السياسية اللازمة لمركزهم وحقوقهم

والحقيقة التي لامرية فيها اننا لو جلونا الامر من الوجهة العملية لوجدنا أن مونتوفيوري كان بدون جدال حجر الزاويه أو

القطب الذي تدور حوله أماني اليهود في ذاك العهد ولا سيما أولئك الذين كان عملهم نواة للحركة اليهودية التي نفخت فيها روح هرزل فما زالت تموى وتعظم على توالي الدهور وتعاقب العصور

****

لو أجلت نظرك في جريدة كانت تظهر في مدينة صفد في عددها المؤرخ في ٢٤ مايو سنة ١٨٣٩ لوجدت بين أعمدتها حديثاً فاه به مونتوفيوري . حديثاً ينساب رقة وظرفاً حديثاً كان ينبعث منه وميض ساطع من التفاؤل الذي يبشر بتطور عظيم في حياة اليهود وهذه خلاصته : بادرت جماعات يهودية من البورتغال والمانيا إلى زيارتنا . وقد أدلى اثنان من هؤلاء الزائرين بارائهما وهما الحاخام ابراهام شوشنة وصموئيل عبو وعرضا علينا اقتراحات في شأن الزراعة في اراضي فلسطين . فلاح لي من المعلومات التي استقيتها أن هذه الاقاليم وما يكتنفها من الارباض الواسعة الارجاء . ومن الرياض الزاهية الغناء . قابلة بنوع خاص للزراعة . وصالحة تماما لها وحسبنا دليلا ناهضاً على ذلك ماتراه في تلك المزارع من اشجار الزيتون الغاصة تلك الاراضي بها . وهي اشجار قدم بها العهد . وطال عليها الزمان . وقد هرمت وأصبحت تناهز الخمسماية من السنين . ومن الكروم الوافر انتاجها . ومن المراعي الكثير عديدها

ومن الينابيع الغزيرة مياهها الصافي زلالها. اللذيذ مذاقها . ومن أشجار التين والجوز واللوز والتوت . ومن المساحات الواسع فضاؤها . الشاسع مداها التي ليس من اليسير على النظر الحاد اكتنافها، والاحداق بها . وهي مساحات حافلة بمزارع الغلال والقمح والشعير .

أجل لم نر بداً من الانعكاف على العمل والدأب فيه والتشمير عن ساعد الجد لولوج هذا السبيل . أى سبيل الهدى والسعادة . ولا أتردد في القول انه إذا تسنى لي أن أزف بشرى نجاح مشروعي . وأصبت الهدف الذي أتوخاه . فليس من شك في أن ذلك سيكون الوسيلة المثلى التي أستطيع بها تمهيد طريق الاستعمار . وادخال جماعات عديدة في دائرة فلسطين من اخواننا المنكودين الذين غدر بهم الزمان . وهصرتهم كوارث الحدثان .

ثم إذا ظفرت بتحقيق هذا المشروع . فالأمر الذي أتمناه . والذي سيكون في طليعة ما أبغيه من المرامي هو أن أقترح على محمد على باشا الكبير وأتوسل اليه أن يؤجر لنا مئة أو مائتي قرية لمدى خمسين سنة في مقابل عشرة أو عشرين في المئة تدفع في الاسكندرية من قيمة الايجار تدريجياً . ويجب أن تكون هذه القرى حرة مجردة من كل مانع ومحذور . أي طليقة من قيود

الضرائب والاتاوة كل مدة الايجار . وللزارعين الحق فى بيع تلك الحاصلات فى أي بلد من بلدان العالم . وليس من حرج عليهم فى ذلك .

وليس ثمة ريب في أنني عند ما أفوز بنيل هذا الامتياز . أعود — بعون الله ومشيئته — إلى انكلترا . وهناك لن أتردد في العمل على انشاء شركة غرضها تحسين تلك الأراضي وارائدها إنماء زراعتها . وحض إخواننا المقيمين فى أوروبا . وتشجيعهم على الأوبة إلى فلسطين .

وكان مونتوفيورى يوالي تدليله ويبني قياسه ومنطقه على ما كان يراه من مغادرة البلاد ومن تيار الهجرة . وسيلها الجارف الذى كان لايزال يقذف بجماعات عديدة من أولئك المهاجرين إلى الولايات المتحدة وكندا التى لا مندوحة من اتخاذها مقراً لهم ووطناً .

وكان هذا الرجل راسخ الايمان . ثابت العقيدة . بأن هؤلاء المهاجرين ينهالون على الاقامة في أرض أجدادهم . ويؤثرونها على كل إقامة أخرى كما انه كان عاقد الأمل على أن يدخل فيها تدريجياً ألوفا وجموعا من أولئك الذين سيستمرئون بلامراء هذه الحياةالسعيدة . ويستعذبون وجودها . لأنهم سيعيشون أحراراً .

طليقين من كل رابطة أو قيد ليتسنى لهم والحالة هذه ملاحظة شرائعنا المقدسة وتطبيقها . إذ لا يستطيعون إلى إنفاذها والتمشي بها في البلاد الأجنبية سبيلا .

لذلك ما لبث السير مونتوفيوري أن اختمر هذا المشروع في ذهنه حتى بذل أقصى الجهد في سبيل تحقيقه . لا سيما لدى من هو أحب الناس اليه أي اللورد بالمرسون الذي كان وقتئذ متقلداً منصب رئيس الوزراء . وقد قطع هذا الرئيس على نفسه عهداً ثابتاً بمعاونته . وشد أزره للوصول الى تمكين اليهود من الاستعمار في فلسطين .

عطف محمد على باشا الكبير

على مونتوفيوري وقبول مشروعه

ففي شهر يونيو سنة ١٨٣٨ أبحر مونتوفيورى على باخرته مولياً وجهه شطر فلسطين مرة أخرى وقد رافقه في هذه الرحلة الدكتور ليفي. عاقداً عزيمته على أن يعرج على القطر المصرى ليحظى بشرف المثول لدى محمد علي باشا الكبير والي مصر. ويعرض مشروعه عليه. فألقت الباخرة مرساها في بوغاز الاسكندرية الضاحك في اليوم الثالث عشر من شهر يوليو حيث أجاز له محمد علي باشا مقابلته في اليوم التالي.

على أنك ترى تفاصيل هذا الأمر في الجريدة المشار اليها. وقد نشرها الدكتور ليفي في لندن سنة ١٨٩٠ بحذافيرها.

ذهب السير مونتوفيوري لمقابلة الكولونيل كامبل الذي كان وقتئذ قائماً بخدمة الباشا. فخرج هذا لمقابلته. فأعرب له مونتوفيوري عن رغبته في مقابلة محمد علي باشا والتحدث اليه. فلم ير وسيلة إلا الذهاب به الى بوغوص بك. والد بوغوص باشا نوبار الذي كان في سنة ١٩١٩ رئيساً للمجلس الوطني الأرمني في باريس أثناء المفاوضات التي كانت جارية لابرام عقد الصلح.

فضرب بوغوص بك موعداً لمقابلته في منزل نجله .

وهناك عرض مونتوفيوري عليه طلباته كتابياً ورجاه ابلاغها الى الباشا مع ايضاحاته الشفهيه .

كان بوغوص بك في ذلك العهد يشغل منصب ناظر التجارة. وما عتم أن أصغى الى حديث مونتوفيوري حتى أبرقت أسرته . وظهرت على فمه ابتسامة الرضا . فوعده بأن يقدمه لمحمد علي باشا. وكان قد سبق أن خاطبه في هذا الصدد . ولما حظي بمقابلة محمد علي باشا العظيم رأس الأسرة المالكة الجليلة العلوية استشف من خلال الحديث أن الباشا كان ملماً بكل تفاصيل المسألة . وعلى بينة تامة منها . وانه على استعداد لمجاراته في كل أفكاره . وتحبيذ غاياته ومراميه .

لا نتردد في الجزم بأن النتيجة العمليه لهذا اللقاء أسفرت عن تعهد محمد علي باشا بصفته حاكماً عاماً على سورية التي كانت ولاية فلسطين تابعة لها بالترخيص لليهود في شراء أية مساحة يستطيعون أن يجدوها في ربوع سوريه . ويرغب السلطان في أن يمنحها لهم بمجرد طلبهم . وقال يمكنكم والحالة هذه أن تنتخبوا حكاماً يقع اختياركم عليهم للاشراف على مقاطعات فلسطين بأسرها . وانني لا أدخر وسعاً في سبيل معاونتكم . وشد أزركم في انجاز هذا

المشروع الحميد المفيد .

لله در تلك المكارم الجليلة ويا حبذا ذلك العطف السني : فقد أظهر محمد علي باشا نحو مونتوفيوري عطفاً عالياً . تسامى هذا الشعور النبيل . وتجلت رفعته . فقد أصدر الى بوغوص بك أمراً بتأييد هذه التأكيدات والوعود كتابياً . فهذه الحقيقة مع مالها من عظيم الأهمية والأثر . لم تخف مغزاها على أحد . لأنها أظهرت — باديء ذي بدء — بوضوح وجلاء ، فكرة مونتوفيوري المنطوية على حل المسألة اليهودية بواسطة استعمار فلسطين . ووثوقه بمؤازرة الحكومة البريطانية من جهة . ثم الضمان المخول له بمقتضى الفرامانات الصادرة من الحكومة المصرية من جهة أخرى . وابانت في النهاية ما لهذا الأمير الجليل الذي أنشأ مصر . وكساها ثوباً قشيباً من الحضارة والعرفان — من الذكاء المفرط . وبعد النظر في الأمور . فأدرك مرمى هذه الاقتراحات . ووقف بازائها هذا الموقف الحميد .

أدرك محمد علي باشا — لأول وهلة — بثاقب فكره ما يجم من وراء هذا الاستعمار في فلسطين وسورية من التطور العملي . والتأثير المعنوي والنتائج العظيمة الفوائد التي لا تلبث بلاده أن يغمرها فيها غيث من الخيرات وتجتني منها ثمرة غزيرة البركات .

آب مونتوفيوري الى لندن وقلبه مفعم بالآمال والأماني ونفسه حائمة في عالم التصورات مما أحس من غبطة وحبور. ومن فاتحة عصر جديد يضيئه وميض وهاج من التفاؤل الذي سيبهر اليهود باشراقه في فلسطين. فانعكف في الحال على عمله. وطفق يجمع اشتات ما لديه من العناصر. وما ينهال عليه من المعلومات لكي يسهل عليه الحصول على الاستعمار الجدي المنشود.

كان مونتوفيورى غارقا في لجج أحلامه. منصرفا بكل ما أوتي من عزيمة إلى تحقيق انشاء تلك الربوع التي ستكون محط رحال اليهودية. وقطب مراميها فبينما هو كذلك إذ دعي للذهاب إلى الشرق ولكن هذه الدعوة كان رائدها في هذه المرة الدفاع عن شرف شعبه والذود عن حياض كرامته. ذلك الشعب الذي صوبت نحوه سهام الغدر والافك مؤامرة من أقذع المؤامرات شكلا وأحطها شأناً. عديمة النظير في شناعتها. حيكت أطرافها بأيد أثيمة كانت تلعب في الخفاء. ومن وراء الستار. رامية إلى اذلاله وسحقه. والقضاء عليه فاضطرته إلى السفر على جناح السرعة واهمال مشروعاته العظيمة إلى حين. فلنأت هنا بالايجاز على ذكر هذه الوقائع التي كان لها دوي عظيم في الآفاق.

في اليوم السابع من شهر فبراير سنة ١٨٤٠ اختفى قس

كاثوليكي فجأة من دمشق يدعي الأب توما . غاب هذا الرجل عن الوجود ولم يعلم أحد له أثراً . وكان قبل ذلك شوهد واقفاً بجوار حلاق يهودي . فحامت الشكوك حول هذا الحلاق . وسرعان ما زج في غيابات السجن لاتهامه بجريمة القتل والاخفاء . فأذيق من العذاب ألوانا . لحمله على الاعتراف بالحقيقة . فعمد هذا التعيس إلى وسيلة للافلات من شبح الموت الذى كان يحوم حوله . ويهدد حياته . فوجه هذه التهمة الشنعاء إلى أعيان الطائفة اليهودية وزعمائها في سورية . مشيراً إلى أن هؤلاء الأشخاص . هم الذين جنوا هذا الجرم وارتكبوا هذه الموبقة فاعتقل الشرطة عدداً ليس بقليل منهم . وساموهم صنوف الخسف . وأنواع العذاب . وأساؤا اليهم اساءة تنم عن قسوة هذا العصر وعقليته . قاصدين من تعذيبهم دفعهم إلى الاعتراف بجريمة كانوا بريئين منها كل البراءة .

وجه النداء إلى محمد علي باشا . وارتفعت صرخات الطائفة . متوسلة اليه أن يتدخل فى الأمر لوقف تيار تلك الفظائع التي تعيد إلى الذهن ذكريات مجالس التفتيش أو ديوان التحقيق وكبائر . والمآسي المفزعة التي كانت تقترف في القرون الوسطى في وضح

الضحى وعلى رؤوس الاشهاد . فأصدر محمد على باشا رجل العدل والإنصاف أمره الكريم باقامة محكمة تؤلف من قناصل الدول الأوربية لمباشرة تحقيق نزيه عادل يميط القناع عن وجه الحقيقة في هذه القضية المشؤومة .

الاعتداء على اليهود

وفي نفس هذه السنة جرى مثل هذه الفواجع المؤسية بل أشدها استفحالا وبشاعة في جزيرة رودس حيث سرت عدوى الاضطهاد . واخذت تلك الشرارات الكامنة في الرماد تستطير وطفق الأهلون يشددون النكير على اليهود ويسلقونهم بألسنة حداد . ويحملون عليهم حملات شعواء . ويرمونهم بتهم شوهاء . واذاع المرجفون ان هؤلاء اليهود قاموا بتدبير آثم مجرم . وذبحوا في سكون الليل احد الشبان اليونانيين . واستنزفوا دماءه عملا بالسنن والتقاليد التي جروا عليها . ووفاقاً لشعائر دينهم في الاحتفال الذي يقيمونه في عيد الفصح .

طغى طوفان البطش والاعتداء على احياء اليهود فكان طغيانه مريعاً مرعباً . وانفجر بركان الحقد والتعصب عليهم . فكان انفجاره هائلا مفزعا . وطفقت نفوس اهل هذه الجزيرة تجيش وتضطرب . واعصابهم تهتاج وتنبعث . وقواهم تثور ثوراناً مريعاً بلغ اقصى حد . فأوغلوا في تعذيب اليهود إيغالا بعيداً فاحشاً . وساموهم خسفاً مؤلماً فاضحاً . فملاصخب اليهود وارتفعت صيحاتهم

حتى بلغت آذان الباب العالي الذي فطن للأمر . وادرك انه لا بد من ان تكون هذه الاضطهادات تحمل في طياتها دسائس شائنة . رائدها التنكيل باليهود . والبطش بهم فأمر بعزل الباشا الحاكم على تلك الجزيرة واقصائه منها .

فهذا المد الزاخر . مد التعصب الجنسي الطامي قد غالى في اغراق اليهود مغالاة شديدة . واولئك لم يقفوا عند حد التعذيب فحسب . بل أمعنوا في السير . واستمروا في غلوائهم . وأطاعوا دواعي أغراضهم وأهوائهم . ودفعتهم هذه العوامل الى ارواء ظمائهم من دماء اليهود اذ كانوا يظنونهم ألد أعدائهم . فتحركت حاسات بني اسرائيل . واخذ الرأي العام ولا سيما في انكلترا وفرنسا يهب هبوب العاصفة الزعزع لا يعرف مستقرها . وانبرى اساطين السياسة لوضع حد لهذه المسألة المفزعة ومحوها .

كان لهذه الوقائع صدى هائل . ودمدمة مزعجة مخيفة في سنة ١٨٤٠ . وقد سمع لها دوي كدوي الانفجار الذي غمر اليهود بحممه الملتهبة في المانيا الغاشمة سنة ١٩٣٣ . واكتسحهم اكتساحاً خجل منه جبين الانسانية التي كانت هاجعة ومستغرقة في هجعتها حتى استفاقت اليوم استفاقتها الكبرى مذعورة واجفلت من تلك الفظائع ايما اجفال . ولكن لم يدر بخلد اولئك المفترين على الحق

والعدل ان اليهود استخلصوا من هذه الاحن والملمات زواجر وعظات دفعتهم الى تعزيز تضافرهم . وجمع كلمتهم للقيام باظهار الحقائق ساطعة كالشمس في رابعة النهار . سواء أكان ذلك في جزيرة رودس . او في دمشق . ودحض ما التي على رؤوسهم من وشايات . وما نسب اليهم من اوزار وموبقات .

نعم قد ابى الله إلا ان يرد كيد اولئك العتاة في صدورهم وينصر الحق على القوة الغاشمة . فلقد حصحص الحق وزهق الباطل . ان الباطل كان زهوقاً . واسفر حكم القضاة في هاتين القضيتين اللتين روعتا القضاء بتشعب فروعهما . وارتباك وقائعهما . عن الافراج عن اولئك الشهداء . واطلاق سراحهم . وبطلان تلك المزاعم المنحطة التي نمت جراثيمها الفتاكة في اذهان ذوي الأحقاد . ومثيري غبارها . مع اتخاذ التدابير الفعالة للحيطة . ودرء المساويء والشروز . والعمل على درس اطلالها . وطمس معالمها لكي لا يكون لها اوبة بعد ذلك نحو اليهودية البريئة .

فأمام هذا العدل . وتجاه هذا الانصاف لم ير الشعب اليهودي بداً من ان يرفع صوته عالياً إزاء العالم المتحضر . وامام مختلف الحكومات . طالباً منها الذود عن ذمار اليهود الذين اضر بهم اضطهاد اولئك الجبناء وغدرهم .

يجب ان لا يغرب عن البال ان اليهود الاوزبيين وان كانت قد بلغت منهم مؤثرات الحضارة الغربية مبلغا عظيما . وتوغل تيارها فيهم توغلا كبيراً . واقبلوا على كل شيء غربي غثا او سميناً . ونشأوا نشأة الغربيين اطوارا وتهذيباً إلا انهم لم تتلاش في نفوسهم روحهم الدينية . ولم تذهب منهم عصبية الايمان . ولا الحرارة اليهودية .

فهم من هذا النحو ما انفكوا معتصمين باهداب تقاليدهم وشعائرهم . ومستمسكين جهدهم واستطاعتهم بالمبادىء اليهودية القويمة . فهي عندهم من المجتمع روحه وغذاؤه . ومن العمران مادته الحيوية ومنهله العذب

بيد ان الالمان سلكوا مسلكا وعراً وفاتهم ان العالم اليهودي الذي لا نزال محور سياستهم قهره واعناته . وتجريده من كل شيء بكل وسيلة . والحيلولة بينه وبين سؤدده ونعيمه بكل حيلة . قد جاز عقبات جياداً . واجتاز ازمات شدادا وهو ماض في سيره الى الامام لا سبيل الى اعاقته بدسائس تلقى . واشراك تبث . واسياف تسل ولا حاجز يقدر على كفاهه ليسترد مجدا سالفا وعزاً آنفاً فهم يريدون ازدراده فلابد من ان يعترض ازدرادهم شجى ويسوء هضمهم فمثلهم مثل الباحث عن حتفه بظلفه . ولم يعلمون ان اليهود

جميعاً يتشاركون ميولا . ويتباثون عواطف . ويتعارفون على اختلاف السنتهم وجنسيتهم . وانهم يتألبون جموعامتراصة متماسكة لرد البلاء الشامل . ودرء الخطر الداهم وان الشرارة التي تستطير من اي مجمع من مجامع اليهود او ناد من انديتهم فما تزال في استطارتها ومسبحها في الفضاء حتى تجوب اقاصي العالم اليهودي . فتقع وقوع الرعد القاصف . لتحثهم على الاهبة . واعداد العدة

وهنا تتساءل النفوس . وتوجه سؤالها مرة أخرى الى اولي الحجى . وذوي النهى . واستجوابهم عما يجب ان نعمله لقاء هذه التعسفات وماذا ينبغي لنا ان نفعله لرد كوارثها وصيانة هذا الشعب من غوائلها وماهو السياج المنيع الذى نستطيع اقامته لوقايتنا من فتك بعض الشعوب الاخرى بنا . وافتئاتها علينا

فهنا فكرة الاعانة العتيقة من جانب المحسنين . ومحبي البشر . والنزعة الحديثة التي ترمي الى التبصر فى وجوه التدابير السياسية جرياً على قواعد العمل الانساني . هما فكرتان متعارضتان متنافيتان بطبيعة حالهما . ولا نجد الى التوفيق بينهما سبيلا

وقدادلى انصار هذين المذهبين ببراهينهم وحججهم فالمحبذون للنظرية الاولى الذين ظلوا لسوء الحظ متمسكين بتلابيبها حتى الآن يقولون ان الاضطهادات والمساوىء التي تنتاب اليهودية

مثلها مثل الظواهر الزمنية التي نستخلص منها بطريق الاستنتاج المنطقي ان الدفاع ينبغي ان يكون له أيضا بصبغة وقتية . وأما انصار النظرية الاخرى الذين بحثوا الحالة التي آلت اليها اليهودية وامعنوا في تمحيص حقائقها امعانا عميقاً فهم يتساءلون الآن عما اذا كانت هذه الازمات والضائقات التي تكتنف هذا الشعب هي في الواقع زمنية او هي سحابة صيف لا تلبث ان تنقشع . ام ان هذه الفتكات والحملات العنيفة الموجهة اليه ليست إلا اعراضاً ظاهرة تنم عن مركز اليهود العالمي المزعزع الاركان . المضطرب الدعائم . باعتبارهم شعباً لا أرض له ولا وطن

عقد مونتوفيوري العزيمة على الذهاب الى الشرق . وتأهب للسفر لقضاء المأمورية التي كان يتوخاها ولكن بين عشية وضحاها ثارت زوبعة من الاعتراض ارتجت لها اركان انكلترا وفرنسا وتعالت الاصوات بطلب الحصول على ترضيات ادبية ومادية من محمد علي باشا وضمانات وثيقة تكفل حفظ حياة اليهود الاجتماعية والاقتصادية لقاء ما عانوه من ضروب الاذلال والخسف اللذين الحقا بهم . والويلات التي حلت بهم في بعض البلدان التي كانت خاضعة لسلطة

قضائه

ادولف كروميو

وفي وسط هذه الانواء العاصفة . وخلال هذه النوائب. ذهب اودلف كروميو أحد دعاة اليهود الفرنسيين الاماجد الذي كان عهدئذ نائب رئيس المجمع الديني اليهودي في فرنسا الى انكلترا وذلك في سنة ١٨٤٠ للاشتراك في الاجتماع الذي عقده مونتوفيوري والمباحثات التي دارت فيه للبت في شأن المذابح التي أهرقت فيها دماء اليهود في دمشق ورودس. وقد رافق كروميو مونتوفيوري في تجواله في الشرق فكان له اكبر عون . وأشد ساعد بما أبداه من الحنكة والدربة السياسية . وما اظهره من البراعة . وبعد النظر في نصائحه وارشاداته التي مهدت له سبيل المصاعب وذللت اشد العقبات.

فبعد ما ولجا باب مصر . وحظيا بمقابلة مليكها ظهر لهما محمد علي باشا الكبير تحيط به المهابة والوقار وتلوح على محياه الكريم سيماء العدل والانصاف والنزاهة فقابلهما بالحفاوة والمجاملة وأعار حديثهما اذنا صاغية واقتنع بصحة دعواهما وسرعان ما غمرهما بعنايته وشملهما بعطفه فكان من نتائج هذا العطف العظيم أن اصدر السلطان عبد المجيد

في اليوم الثاني عشر من شهر رمضان في تلك السنة فرماناً قضى قضاء مبرما على كل هذه الترهات والاباطيل التي كان يروجها ذوو الاغراض . ودعاة السوء والتفريق . وأمر بالمحافظة على أرواح اليهود ومصالحهم في ربوع الشام وفلسطين .

كان كروميو يهودياً بارعاً . وهو وان لم يكن صهيونياً بالمعنى الذي نفهمه نحن الآن . فاننا يحدو بنا الانصاف الى القول بان هذا الرجل كان له ادراك واسع دقيق بعظمة بنى اسرائيل ، وله سام رقيق بجمال فلسطين . وقد كانت رحلته مع السير مونتوفيوري من أشد البواعث على تعزيز مشاعره نحو الصهيونية القومية . ومضاعفة اهتمامه بها وأرجح دليل على ما قدمناه هذا النداء الذي وجهه الى يهود الغرب نقتضب منه هنا بعض عبارات يستشف منها القارىء ما انطوى عليه من علو المبنى وسمو المغزى

« ففي مدة اقامتي في مصر وفي أثناء اضطلاعي بتلك المهمة التي كانت تحمل في حواشيها انعطافاً حاراً من جانب الفرنسيين نحو اخوانهم الشرقيين . هاجتني عاطفة الشفقة وعرتني هزة من الرحمة لرؤية أولئك التعساء الذين استمالوا نظري هنالك . وهم الفلول الباقية من هذا الشعب الذي تقلص ظل مجده وجملته الاقدار تحت رحمة الامم الاخرى وموطئاً لها . وبعد ما كان هذا

سطوة شديدة وشوكة عظيمة في هذه الاقطار . فتقوض صرح حماسته وانهار ركن نشاطه . هذا النشاط الذي يضاعف في قلب المرء قوة الايمان بالله عز وجل ويذكره بأنه من صنعه العجيب .

فالعلوم والثقافة التي هي المواد الحيوية . والاثداء التي ترضع منها قوانا العقلية والادبية قد نضبت نضوباً تاما في الاسكندرية . وولت غرر أيامها . وطمست معالم معاهدها . وأصبحت أثراً بعد عين في تلك المدينة الزاهية التي اخرج قضاة اليهود وأطباؤهم منها تهذيباً ساميا . أضاءوا به العقول . فازدهرت ازدهاراً عظيما كان فخر المدنية . ودرة تاجها . وغدت معقلا تشتعل فيه نار العلوم والمعارف . ومنبثق نور تنبعث منه أشعة الحكمة الوهاجة الى كل ناحية من نواحي الارض . وكان لواء الحضارة فيها خفاقا يحمله رواد الاصلاح وزعماؤه فظلت ردحاً من الزمان مشرقة الشموس يانعة الثمار . وارفة الظلال . فسادت الحرية العقلية . ووضعت القواعد واستنبطت الاحكام

فالشرق هو مهبط الوحي . ومهد الدين الذي يربطنا بروابط وثيقة العرى متينة الاواصر . ولم نتردد في الجزم بانه عما قريب ستضطرم نار العقيدة والايمان في مصر والاسكندرية . وتمتد الى سوريا واورشليم . فيتململ الشرق في هجعته الطويلة ويستيقظ من

سباته العميق . ويخرج من الحلك الداجي الذي تقادم به العهد . وطالت عليه الاحقاب والدهور

لا جدال في أن كروميو اصبح من ذاك العهد ملازماً للسير مونتوفيوري . تابعاً له كظله ومعاونا وفياً له في كل أعماله . وقد آبا الى بلادهما مغتبطي النفس . سعيدي الحظ . فرحين بما وصلا اليه من تحطيم اغلال الاسر التى ناء باثقالها شهداء رودس ودمشق هؤلاء الذين كادوا يذهبون فريسة التحامل الجنسي وضحية التعصب الديني . جذلين بما قطعه محمد على باشا الاكبر والسلطان عبد المجيد على أنفسهما من العهود الصريحة بالمحافظة على كيان اليهود في الشرق طرا . وضمان سلامة ارواحهم وممتلكاتهم فيه

فعند إياب هذين المصلحين الى وطنهما هرع الاهلون من اليهود الى لقائهما . وقابلوهما وسط أعاصير من الهتاف والتصفيق بحماسة لم يعهد لها مثيل . فكانت عودة ما اسعدها من عودة . نعم كان لهذه العودة الميمونة يومها الخالد الباهي فارتدت المدينة ثوبها اللامع الزاهي بما أقيم من الزينات . ونشر من أعلام الترحيب . وقد اولمت الولائم وأدبت المآدب وامست الالسنة لا تلهج إلا بذكر مونتوفيوري . وأصبحت مفاخره حديث منتديات القوم واسمارها ورسمه زينة دورهم وبهجتها وسمعته أبعد منالا من السماك الاعزل

وقد رأى مونتوفيوري انه بعد اصلاح ذات البين بالتى هي أحسن . والقضاء على هذه الفجائع المحزنة قضاء لا تقوم لها بعده قائمة . يستطيع أن يوالى عمله توصلا لانجاز خطته التى ترمي الى استعمار اليهود بعض أنحاء سوريا . وربوع فلسطين . وفاقاً لنص القواعد الاساسية التي دونها محمد علي باشا الكبير في صميم الترخيص الذي منحه اياه ووعد بانفاذه ولكن لحدثان ما اكفهر جو السياسة واكتنفه غسق قاتم من المشاكل المعقدة الخطرة على السلام فكان ذلك باعثاً حمل مونتوفيوري على التريث في الامر . وتحين الفرص الملائمة التى ضنت بسنوحها في المدة الباقية من حياته . وكان الخلاف الذي شجر في سنة ١٨٣٩ اثر منازعات طال عهدها بين تركيا ومصر من أقوى البواعث على جمود حركة النشاط الذي كان يبديه مونتوفيوري حتى هجم هجمته الاخيرة .

فتوحات البطل المغوار ابراهيم

في سوريا ووقف مشروع مونتوفيوزي

ولقد كللت هامة محمد على باشا بالظفر وكان النصر المبين حليفه وطوع بنانه في الحرب التى اضطرمت لظاها بينه وبين تركيا. وهو الذي سير جيشه من مصر وكان بقيادة ابنه البطل المقدام ابراهيم باشا. وكان هذا المقدام من مشاهير الابطال. ووافقاً حق الوقوف على قدرة أوربا وشدة بأسها. وقوة مراسها فنظم جيشاً قوياً. ودربه تدريباً على الطراز الغربي وجهزه بمعدات الاسلحة الفتاكه فدخل فلسطين غازياً ظافراً. وحصر قلعة عكا المشهورة التى كانت من أمنع القلاع وأقواها فأحدق بها براً. وحصرها الاسطول المصري بحراً. وما برح جنود البطل ابراهيم يوالون هجماتهم حتى استولوا عليها عنوة وواصل فتوحاته في البلاد السورية حتى دخل دمشق. وكان الجيش التركي قد احتشد في جهات حمص وحماه. وكثر عدده وأعد عدته للقتال فزحف اليه البطل ابراهيم من دمشق. ودارت هناك رحى معركة هائلة

أسفرت عن انتصار الجيش المصري . وتبديد شمل الجيش التركي ثم تقدم ابراهيم باشا بجيشه الى منطقة حلب . فقاتل الجيش التركي الذي كان قد احتشد هناك . وضربه ضربة عنيفة قطعت أوصاله ومزقت شمله تمزيقا

وتلا ذلك توغل جيش محمد على باشا بقيادة البطل المغوار ابراهيم فى بلاد الاناضول فسار فيها والنصر معقود بالويته يفتح البلد تلو البلد حتى أصبح على أبواب الاستانه حيث جرت معركة قونية المشهورة التي فتك فيها بالقوات التركية فتكا ذريعا وأسر كثيراً من كبار قوادها ومن بينهم الصدر الاعظم .

وبعد تلك المعركة أصبحت أبواب الاستانة مفتوحة أمامه لولا تعرض السياسة الدولية له وقدوم الجيش الروسي لسد تلك الابواب

معركة نصيبين الكبرى

كان من نتائج فعل السياسة الدولية أن الجيش المصري الظافر انسحب من الاناضول الى الاقطار السورية التي وطد مركزه فيها ولكن السياسة الدولية بقيت تعمل عملها فدفعت سلطان تركيا الى حشد قوات جديدة وتسييرها لمقاتلة الجيش المصري ومحاولة إخراجه من تلك الاقطار. وقد تقدمت تلك القوات نحو الحدود السورية . وتقدم الجيش المصري بقيادة البطل ابراهيم باشا لمقابلتها فوقعت معركة « نصيبين » التي كانت من أشد المعارك هولا . وقد أظهر فيها ابرهيم باشا وأركان حربه من براعة القيادة وحسن التدبير ما مكنهم في بضع ساعات من القضاء على جيش عرمرم. عبثوا بخطط قواده ومزقوا صفوفه شر ممزق

هكذا انتهت تلك الحرب الطاحنة التي لعبت فيها السياسة دوراً من أغرب الادوار في التاريخ. فعدت الغالب مغلوبا . والمغلوب غالبا . وبعد ما بقيت الاقطار السورية بضع سنوات في قبضة محمد على باشا الكبير الذي اضطر الى تركها بفعل السياسة الدولية بعد ما استقر له عرش مصر له ولا عقابه

راع النصر الذي أحرزه محمد علي باشا الكبير انكلترا وباقي الدول الاوربية روعا كبيراً وهالت ارباب النظر عقباه هولا عظيما فرأت انه لا مندوحة من التدخل الدولي لتدارك الامر قبل استفحاله تفاديا من تفكيك اجزاء السلطنة العثمانية .وانحلال عراها انحلالا لا مشاحة في أن يؤدي حتما الى تعقيد العلائق الدولية وارباكها وربما يكون ايضاً حجرا عثرة في سبيل السلام بينما كانت فرنسا ظهيرة جزلة لهذا الظفر . نازعة الى تعضيد مصالح محمد علي باشا . ومتحفزة للأخذ بناصره

وقد ثار الرأي العام ثائرته الكبرى في بريطانيا العظمى . واستصرخ الحكومة . واستحثها على ترك هذا الجمود. وبسط كل مالديها من قوة ونفوذ وشوكة للتأثير في المسألة الشرقية . صونا للمصالح الجمة التي للانكليز والاوربيين في اسيا الصغرى . ولا سيما أنها مصالح تتطلب تعزيز سطوة السلطان . وتوطيد دعائم عرشه ليظل حاكما آمرا ذا مهابة عظيمة . ومشرفا اشرافا كلياً على سوريا. والمقاطعات الاخرى التي هي المحور الذي يدور حوله حركات الامبراطورية الحربيه

ثم أعقب هذا الحادث حادث آخر لا يقل عنه شأنا . وهو اضطراب الحالة الداخلية في سورية ولبنان واقدام الدروز . وفريق

من السوريين واللبنانيين على شق عصا الطاعة . فاغتنمت الدول الاربع إنكلترا وروسيا والنمسا وبروسيا الفرصة السانحة وارسلت الى محمد علي باشا انذاراً نهائيا طلبت فيه

أولا المبادرة الى الاعتراف بسيادة السلطان عبد المجيد اعترافا صريحا

ثانيا رد الاسطول العثماني الى الباب العالي

ثالثا جلاء الجنود المصرية عن الارضي السورية وبلاد العرب وربوع فلسطين بدون تريث ولا توان وقد اعدت هذه الدول العدة وحصرت سفنها الحربية الموانئ السورية وأحاطت الجنود بها احاطة الاكمام بالتمر أو الهالة بالقمر وهاجم الاميرال البريطاني السير روبرت ستوبفور قلعة عكا مهاجمة صادقة . تلك القلعة التي فعل البطل الكبير جايم فارحي افعالا هائلة في الدفاع عنها والذياد عن ذمارها . تلك القلعة العظيمة التي كانت عقبة في سبيل غزوات نابوليون ومطامحه الكبرى . واستولى عليها هذا القائد البحري . بدون عناء ولا مشقة . وسلمها بعدئذ الى السلطنة العثمانية . ولم تمر برهة وجيزة من الزمان حتى أرغمت حامية يافا على التسليم . وفي اليوم التاسع من شهر نوفمبر سنة ١٨٤٠ كانت كل القوات الفلسطينية وأهالي البلاد جميعهم مطأطئي الرؤوس . ومنصاعين

لأوامر الباب العالي بعد ما أقسموا له يمين الطاعة والوفاء

فقد محمد علي باشا الكبير سيادته واشرافه وسيطرته في سوريا وفلسطين وتقوضت أركان سلطته في تلك الأرجاء تقويضاً وحل محلها حكام أوفدهم السلطان من الاستانة . ومنحهم سلطة الحكم بعد أن ولاهم ثقته . ولكن ما لبث هؤلاء الحكام أن وثبوا حاملين معاول الهدم والتخريب . فطفقوا يهدمون ويخربون ويدمرون كل ما شيده محمد علي باشا من الأعمال الجليلة ففككوا أجزاءها . ونثروا حلقاتها . وتركوها شذر مذر

سحقاً لهذا الزمن الغاشم فقد أصابت هذه الضربة كبد المشروعات التى كان يكد مونتوفيوري في انجازها . فصارت تها . وقطعت أوصالها تقطيعاً

على انه من الخطأ أن يتوهم القارىء أن هذا الانقلاب أوهن جلد مونتوفيوري . أو أضعف شيئاً من روحه الجوابة . وآماله المتقدة بذار الايمان بارجاع اليهود الى حظيرتهم . فما ابعد هذا عن الواقع . فلا وأيم الله فلا جلائل الأمور ولا أهوال الخطوب كانت قادرة على انهاك قواه . وتثبيط عزائمه انما الأمر الذي حار فيه أولو النهى هو : هل كان هؤلاء اليهود متأهبين تأهباً ثابتاً جدياً ؟ أ كانوا واقفين حقيقة على الحالة التى تحيط بهم وقوفاً بيناً

صحيحاً . وهل هم يفطنون الى ما في دخائل هذه الحالة من مزايا وحرج ، وفوائد وعقبات ؟ وهل اجمعوا اجماعاً صادقاً على ولوج هذا الباب بدون احجام ولا تردد حتى يبلغوا مناهم . وينالوا مبتغاهم وهل لديهم نظام ثابت تقوم عليه أعمالهم ويمكنهم من الاضطلاع بمشروع خطير كهذا . واسع المدى . مترامي الأطراف ؟ وهل كان في مقدور الشرق والغرب القيام بالمعاونة الأدبية والمادية اللازمة . واعطاء كل ما يطلب اليهم في سبيل تحقيق العمل العظيم الذي يتناول هذا الاستعمار

فهذه الاسئلة التي يتسائل المرء نفسه بها ليست من المسائل السطحية البسيطة التي يمكن الاجابة عنها على الفور من غير روية . بل هي من المسائل الاجتماعية المعضلة البعيدة الغور التي ليس من السهل تقرير أمرها . وتقدير سيرها ومصيرها بالدقة من حيث خطورتها ومداها . وقد بحث الباحثون الملمون بطبائع اليهود ونزعاتهم حق الالمام في هذه المسائل واستقصوها من جميع وجوهها وانبرى من بينهم اللورد شافسبوزي وأدلى برأيه في هذا الموضوع ونشر كلماته الخالدة في جريدة التيمس التي هي صحيفة من اكبر الصحف الانكليزية في اليوم السابع عشر من شهر أغسطس سنة ١٨٤٠ . ومفادها —

« ان الاقتراح الذي يتناول اعادة الشعب اليهودي الى وطن
« أبائه وأجداده وحمايته في كنف خمس من الدول ليس اقتراحا
« يستشف من خلاله عبارات نظرية . بل هو موضوع جدي
« خطير جدير بالاعتبار

وقد ظهرت وثيقه وزارية مؤرخة في ٢١ يوليو سنة ١٨٤٠ تتضمن ما يأتي

أولا ما هو مبلغ اختلاج عواطف اليهود ومداه نحو العودة المحتملة الى فلسطين

ثانيا هل هم يمتلكون رؤوس اموال كافية ؟ وهل لديهم الوسائل المثلى . والذرائع الفضلى لانهاض هذا المشروع والاخذ بناصره ؟ وهل يجنحون اليه بمحض ارادتهم والهامهم ؟ وهل هم مسوقون بسليقتهم الى الانضواء تحت نظام يهودي عام : أفلا يتبرمون اذا طلب اليهم ان يصحبوا أموالهم لتوظيفها هنالك . وانفاقها في سبيل اصلاح الاراضي واستثمارها في فلسطين على ان تكون حياتهم مأمونة الجوانب . وبمنجاة من عوامل الاغتصاب والارهاق وكم يقتضي لتلك الاهبة من الوقت لكي يتسنى لهم الذهاب اليها ؟ أيستطيعون المعيشة تحت سيطرة فلسطين الحالية (أي حكم ذاك العهد) ويتخذون لهم منها كنفاً ومتى ؟ او يرومون

حمايتهم في كنف الحكومات الاوربية

لا نستطيع التهكن بالشيء ولا الرجم بالغيب فكل الذي نعلمه من هذا الأمر هو أن جريدة من أمهات الجرائد اليهودية نشرت بتاريخ ١٠ سبتمبر سنة ١٨٤٠ بين أعمدتها مقالا وجهت فيه انتقاداً شديداً لهذا المشروع وحذرت النشء اليهودي من الوقوع في شراك تلك النداءات الوهمية . ولكن بالرغم من تلك الاعتراضات لم يتردد شباننا فى التهافت والاقبال على هذا المشروع إقبالا شديداً حتى ان نفراً من ساسة الاسرائيليين وغير الاسرائيليين أعاروا هذه الفكرة أذناصاغية وغدت موضوع أحاديثهم واهتمامهم

عرضت شروط الصلح على محمد علي باشا الكبير فأبت نفسه الأبية أن يمهرها بامضائه وردها في اليوم الخامس من شهر سبتمبر سنة ١٨٤٠ ولكن تألبت الدول عليه فاضطر الى قبولها . وما برحت أن أبرمت معاهدة أخرى تنزل فيها عما له من السيادة والسلطة في سوريا على شرط أن يكون الحكم في مصر حقاً متوارثاً لذريته وأعقابه

وكان في مقدور اليهود عهدئذ أن يصلوا الى الغاية التي كانوا ينشدونها ولا سيما ان جو السياسة كان يعزز تفاؤلهم بالنجاح كما ان هذا المشروع قد صادف هوى وعطفاً في أفئدة بعض عظماء الرجال ومعظمهم من الانكليز غير انه كان يعوزهم النظام الكفيل

بتحقيق ما يعهد اليهم فيه . وقد نشر اللورد سالسبوري أيضاً في جريدته يوم ١٩ نوفمبر سنة ١٨٤٠ ما كان يخالج فؤاده وشعوره من هذا النحو . ونوه به قائلا :

« من ذا الذي كان يجول بخلده ان هذه المسألة ستكون يوماً »
« من الايام مثار البحث في جريدة من أعظم الجرائد شأناً وأعزها »
« مادة واكثرها انتشاراً . وترينا أمراً واقعاً . وهو أن عين »
« الخالق ترمقها . وعنايته تحيط بها » .

إذ لا يغرب عن الاذهان أن الحملات القاذفة . والوشايات الاثيمة الذميمة التي كان السفلة يمطرون اليهود بها في وضح الضحى وعلى مرأى من الناس في دمشق ورودس كانت باعثاً قوياً على اعادة طرح هذه المسألة على بساط البحث . وتعاقد الايدى على التعاون وتقارض شد الأزر في سبيل تقويم اودهم وإصلاح شأنهم

ولا يبرحن عن الذهن ان الجهد الجهيد الذى كان يبذله مونتوفيوري لمصلحة أبناء جنسه في كل نجح من الانجاح التي كانت أعناق اليهود مطوقة فيها باطواق من الجور لحمد الأنفاس والحفاوة الكريمة . والترحيب العظيم اللذين قابله بهما محمد على باشا والباب العالي وموافقتهما على الاستعمار الزراعي الذي ستقوم اليهودية

به في فلسطين . كل هذا أثار وجدان بعض الطوائف والجمعيات غربية كانت أم شرقية . وجعل اليهود يجتلون من خلال هذه الحركة الميمونة وميضاً فياضاً بالآمال . وتفاؤلا سعيداً يبشرهم بدنو سؤددهم . ورفاهيتهم

ومن الحق الذي لا يماري فيه أن دم مونتوفيوري كان يتدفق قوة ونشاطاً . وكان لا يخطو خطوة إلا وهو يحمل على منكبيه أعظم لواء عرفته اليهودية سائراً به سيراً حثيثاً نحو معقل الغاية العليا . وطفقت مؤثراته النياضة . تنبث انبثاثا سريعاً . بل تتدفق على الصهيونية . وتطمو على كل رقعة من رقاعها . فاذن لا غرابة في ذلك ان قام بدك أسوار جمود العالم اليهودي دكا وبتحطيم سلاسل خموله تحطيما . وهكذا ساقه في طريق العمل . وبدد غياهب ضلالاته الكبرى . ومزاعمه الباطلة . واخذ يمهد له مهيعاً مفضياً الى التجديد الصحيح . والارتقاء السليم . وأراه في اليقظة غير ما كان يراه من أضغاث الاحلام في الهجعة . فهب من رقدته تواقا متعطشاً لاستعادة ماضي شأنه . وغرر سالف أيامه فتحركت مشاعر الغرب . واقام وزناً سياسياً لنهضته . واعتبر الفرق بين بارحته ويومه . وكراه ويقظته . بخلاف مافعلت بعض الأمم المتعصبة التي أخذت تتجهم في وجه العالم اليهودي الناهض المستيقظ

تستبيح لنفسها مناهضته وتسمم عواطفه . وقد أحاطت به إحاطة السوار بالمعصم وسدت عليه المذاهب . وأخذت تثخن فيه وهي شاكية السلاح . وهو ضعيف أعزل . وطفقت تنفث في زهرة الحضارة اليانعة سما زعافاً . هذه الزهرة التي أخذت تنفتح عن أكامها . ويتضوع اريجها في اقطاب العالم قاطبة فزأرت اليهودية زأرة مادت بها جوانب اوربا من اقصاها الي أقصاها محتمدة حنقاً ومشتعلة غضباً . وانقلبت هجعة القرون استيقاظاً . فاستيقظت وهبت كالريح الهوجاء تكافح الاهوال في سبيل بقائها

ومتى أخذنا نعتبر ما قد استطاعه هذا الشعب من تشييد المعالي وبلوغ ذروات المجد فيما مضى . امنا الخطل بقولنا اننا نستبين خلال هذا الغليان الهائل فيه. تجدداً حقيقياً صحيحاً رائعاً . ولا غرابة في ذلك ان عاد يستفيد من عزه الغابر . ومجده السالف . وهذا تاريخه المجيد شاهد . وحضارته البديعة خالدة . من حقب بعيدة العهد . وعصور مترامية في القدم

ظل مونتوفيوري حتى الممات حريصاً علي شعاره . ومبدئه . وايمانه . وقد جاب أفاق فلسطين سبع مرات . وطاف أركانها المقدسة ركنا ركناً . كاد في خلالها يشرف على الهلاك . ويرشف كأس الحمام .

كانت أرض اجداده قطب افكاره حتى ان احد المؤرخين الذين قاموا بتدوين تفاصيل حياته قال في سياق كلامه : فاه مونتوفيوري وهو في حشرجة النزع بعبارات خالدة مأثورة لا يمحوها تعاقب الجديدين ولا كرور الملوين وهي:

ولئن كان امل هذا الرجل ضئيلا بمغادرة يهود العالم بلادهم التي يعيشون فيها . وعودتهم الي حظيرة أجدادهم . الا ان ذلك لا يمنعهم ان تكون فلسطين في حوزتهم في مستقبل الايام وبذلك تعود فلسطين اليهودية كما كانت في غابر الازمان . وهو أمر لا يحتمل الجدال فلابد من انقاذه . ولا حيدة عنه .

كان هذا الرجل يريد أن تكون نزعات فلسطين قائمة على قواعد التبصر والحكمة من حيث الاعتبار الديني . والسياسي . والاقتصادي . والأدبي . ومن حيث اعتبار ماهية حركاتها القومية و لأطوار التي اجتازتها . والغايات التي اتخذتها أهدافا لها . وكان يريد أن تكون صحيحة سليمة . منزهة عن الشائبة والنقص . وأن تكون منبتا من منابت الحضارة المدنية . ومنشأ من مناشي العمران القويم . ولا تكون عرضة لدواعي الاجتياح . ولا مستقراً للبغي والحيف حتى تأمن تخبطها في الدجنات والعثار التي كانت تكتنفها من قبل . وكان يريد انقاذها من براثن الذين يرومون ازدرادها .

وينيرها بمصابيح العلم والعرفان وتعميم اساليب فوائدها . ويذلل كل صعب لتوالي صعودها بمعراج الارتقاء . هذا هو حجر الزاوية في توجيه جهوده الي إعادة اليهود الى فلسطين

تواترت تلك النوازل التى لم تبرح الجروح منها دامية . ولم تقتصر عند ذاك الحد فحسب . بل أخذت تجر وراءها رزايا أشد وحشية وفظاعة . منها حادثة مورتيره المؤسية التي وقعت في مدينة بولونيا وسنأتي على ذكرها بعد . وهي حادثة خطيرة استفزت أقطاب الغرب وساستهم من فرنسيين وانكليز واستحثتهم على السعي وراء الاصلاح متذرعين بخير الذرائع للوصول اليه.فأخذوا يطيرون إلى أنحاء العالم قاطبة خطبهم المعربة عن تحرير هذا الشعب المضطهد . وينشرون دعاياتهم . ولم يكن أمرهم مقصوراً على الاصلاح الديني فحسب . بل تناول الاصلاح السياسي إذ كان مرادهم حقاً انتشال اليهودية من وهدة انحطاطها. وانقاذها من مهاوي المهالك المفتوحة أمامها. في انكلترا انبرى للدفاع اللورد بالمرستون واللورد ابردين واللورد سندايس . واللورد شافسبوري. واللورد جلادستون . واللورد بيكونسفلد(دزرائيلي) وغيرهم .وفي فرنسا خاض هذا المعمعان لازارليفي الذي أخرج كتاباً . فذاً . قيما موسوما (باصلاح اليهود) وموريس هيس واضع كتاب (مهمة إسرائيل

في التاريخ) وارنست لاهاران السكرتير الخاص لنابوليون الثالث الذي وجه إلى اليهود نداءه المشهور . والبيو كوهين عضو المجمع العلمي المركزي في فرنسا. وشارل نتر مؤسس جمعية (ميكفيه اسرائيل) وبرنار لازار وغيرهم أما في مصر فما برحت تلك الحماسة الملتهبة تفور فوراناً بركانياً هائلا . وذلك أثر الجهود التي بذلها مونتوفيوري وكروميولدى محمد على باشا الكبير والسلطان عبد الحميد

حقاً قد اقتبس اليهود من هذه الرزايا والبلايا طائفة من أبلغ الدروس والعظات . وبقى معظم ذكريات المساويء والمآثم التي اقترفها أولئك العسفة الظلمة الذين جمعوا بين ضروب الفساد والحطة حياً في زوايا أدمغتهم . والواح ذاكرتهم وتغلغل في أعماق أنفسهم . وانتقشت في أذهانهم حتى غدا مرئي الآثار المحسوسة في جميع ما يأتونه من الحركات والاعمال ونذكر على سبيل المثال من تلك المساويء حادثة واحدة فاجعة يتبرأ منها العدل وتعافها السياسة الرشيدة . وهي حادثة مورتيره التي وقعت في سنة ١٨٦٠ وجاءت ضغثاً على إبالة . فطفح بها الكيل وبلغ السيل الزبى : كانت جوارفها غاشيه ماحقه ومن أقوى البواعث على نشوء حافة يهودية عامة . متماسكة الوحدة المعنوية . وثيقة العرى الأدبية . الفريدة المثال . وإيقاظ الصيونية من رقدتها . وكان لها دوي عظيم تجاوبت اصداؤه في الشرق والغرب نقتضب منها جوهر الموضوع

اختفاء غلام يهودي

كانت في مدينة بولونيا اسرة يهودية من الأسر العريقة . الوديعة . المتصمة بآداب التقوى ومبادىء الاستقامة . مؤلفة من زوجين . رزقا غلاماً لطيفاً خفيف الروح . ذكي الفؤاد . تبدو على جبهته مخائل النجابة والفطنة . افرغ والداه في تربيته مالديهما من الموارد الأدبية والتهذيبية الى ان قرب السنوات الست فأخذت اعضاؤه تشتد . وقواه العقلية تنمو وتترعرع وكانت تعني بخدمته خادمة من تلك المدينة عناية لم يعهد لها مثيل . لشدة افتتانها به ولغرض في نفسها . وكان هذان الوالدان محبوبين كثيراً من اهل المدينة الذين كانوا يحترمونهما احتراماً عظيماً لما فطرا عليه من العواطف السامية النبيلة لكل من لاذ بهما والاخلاص الطاهر الشريف لكل من جاورهما . وخطب ودهما . فكانا ناعمي البال . . هادىء البلبال . لا يحسبان لصروف الزمان حسابا . ولا الطوارىء الحدثان امراً وبينما هما في بحبوحة الأمن ونعيمه . دهمتهما ليلة ليلاء . تكتنفها سحب كثيفة دهماء . منذرة بهبوب عاصفة هوجاء . فدخلا إلى مضجعهما . يرتعدان فرقاً وهلعاً . وقد اخذ منهما الرعب كل مأخذ

ثم تغلب النعاس على جفونهما . وبينهما ابنهما . وفلذة كبدهما . سياجه عطفهما . وحصنه حنوهما . فاستغرقا في النوم حتى نهاية الهزيع الأول من الليل . وإذا زأرة هزت دعائم الحجرة . زأرتها تلك الأم البائسة . زأرة اللبؤة الفاقدة لشبلها فبحثت عن ابنها فلم تجده فاستدعت الخادمة فلم يجبها أحد فهب الأب مذعوراً من رقاده . وأخذ كزوجته يسكب الدمع مدراراً . ويضرب أخماساً لأسداس . كان ذلك نتيجة مؤامرة خفية . أثيمة . حاك اطرافها نفر من موظفي الأدارة العامة افترصوا فرصة هذا الظلام الدامس فى تلك الليلة التي هى من أشد الليالي حلكا . فانسلوا إلى المنزل إنسلال الارقم تحت الازاهر . بايعاز من الخادمة المجرمة واختطفوا الغلام بمهارة غريبة. ذلك أنه منذ سنتين مضت مرض هذا الغلام مرضا شديداً حار نطس الأطباء فى شفائه . وكاد يذهب بحياته لولا أن تداركته خادمته على مايزعمون . واغرته بالاقلاع عن عقيدته . وتغيير دينه . فقبض الشرطة على تلك الخادمة . ولدى استجوابها . لم يلبث ان برح الخفاء . وانجلى المستور . واسفر التحقيق عن افضائها الصحيح . واعترافها الصريح بأنها عمدت الصبي . ورشت ماء المعمودية على رأسه . فأصبح بذلك معتقداً بالدين المسيحى اعتقاداً راسخا . لايعرف ديناً سواه . فاستعطف

هذان الوالدان ذوي السلطة . وتوسلا اليهم . ولكن لاحياة لمن تنادي . فلا عويلهما . ولا انسكاب دمعهما كانا بقادرين على تحريك عواطف هؤلاء القوم حتى للسماح لهما بمشاهدة ولدهما .

ربما خالجك الشك في تصديق هذا لأنه ليس مما تستسيغه العقول بحيث لايمكنك تتصور أن يكون . ولكن من أشد بواعث الأسى ومثيرات الحزن والألم أنه قد كان

شاعت هذه الحادثة وذاعت . وهاج العالم اليهودى . وماج . فاشتعل حنقا وبأساً . وغلت مراجل هياجه غلياناً هائلا . متململا من شدة الآمه وبرحائه . ورنت أصداؤه في كل رقعة من رقاعه حتى وصلت إلى آذان نيافة البابا فتوسط قناصل الدول وطلبوا شفاعة الفاتيكان . وتدخله في هذا الأمر . فكان ذلك جهداً باطلا وأملا ضائعاً . إذ قد سبق السيف العذل . فلقد قرعوا الباب تلو الباب . ولكنهم وجدوها مغلقة دون النجح أيما إغلاق ولما أبى الفاتيكان الاصاخة لأقوالهم . نأوا بجانبهم . وضربوا بهذه المسألة عرض الحائط . فقفلوا راجعين يتعثرون بأذيال الخجل

عزت على مونتوفيورى هذه الخيبة . وشق عليه حبوط المسعى . فذهب مع عقيلته إلى روما وطلب شفاعة البابا . فحظي بشرف المثول . ولاقى مجاملة سامية من قبل الفاتيكان . ولكنهاغير

مجدية . فقد اجابه البابا أن الحل الوحيد لهذه المسألة هو التريث والتجلد حتى يبلغ الغلام سن الثامنة عشرة. فيكون اذ ذاك راشداً طليقاً من كل قيد. ويستطيع أن يختار بمحض إرادته والهامه الدين الذي يصطفيه . ويريده فكانت النتيجة المحتومة أن عاد هو الآخر أدراجه بخفي حنين

ومن الثابت أن سنن العالم وتقاليده إنما هي الآفة التي كانت وما برحت تنخر في عظمه . ولم ينفك التعصب من العصور والحقب القديمة أغاب صفة . وأبرز صورة في الآفاق قاطبة. فامام هذا الأمر الواقع لم تر اليهودية مندوحة من أن تتماسك. وتتعاضد وبدأت أصوات الشبان اليهود المتمشية فيهم روح الحرية والاباء تتعالى وتشتد قوة وبأساً . تجوب البلاد. وتخترق الآفاق وما كاد يصل النصف الأخير من القرن التاسع عشر حتى توغلت تلك العواطف في قرارات صدورهم . وأنشأوا شتى الجمعيات وكانت في طليعتها الحلقة الاسرائيلية العامة . المشرقة الوهاجة فنشأت نشوءاً وطيداً. ثم تلتها في سنة ١٨٨٢ الجمعية المعروفة (بجمعية عشاق صهيون) «هوفيفيه سيون». ثم الحركة الدريفوسيه سنة ١٨٩٤ التي نبتت منها ومن الحوادث التي أورى البرنس بسمارك أوارها جذور الصهيونية . ثم أعقب ذلك ظهور رجل القطب الفرد

هرزل بسلطانه النفساني الهائل . وروحه الإجتماعية الكبرى النزاعة الى الوحدة الخالدة . والتوائق المتين . وما برح يوقظ اليهود . ويثيرهم بتعاليمه . حتى غدت نفوسهم متحمسة بنشوة الانفعال . متحزفة للوثوب على هؤلاء العسفة العتاة الذين أضمروا لليهودية الناهضة ونصبوا لها مكايد الغدر لخنقها وليدة في مهدها

وليس من المغالاة أن نقول ان هذا الرجل حقاً هو الذي استفز النهضة القومية الصهيونية وهو أبو ما في اليهودية اليوم من ثورة عصبية جنسية فأنشأ يعمل ويكد ثابت الجنان . رابط الجأش متوخياً وسائل الترقية وذرائع التنشئة على سنن التدرج . رافعاً لواءها الخفاق على رأسها فهز أعماقها وحرك عروقها ودفعها الى اجتياز هذا الدور الحاسم دور التمخض الذي لا بد منه ولا منتدح عنه . فازدادت رابطة الوحدة المعنوية وثوقاً . وعروة التضافر الادبي احكاماً ومتانة

دزرائيلي أو اللورد بيكونسفلد

ما من أحد يجهل ما لمسألة قناة السويس من الاهمية الكبرى والشأن العظيم . وتأثيرها في السياسة المصرية والانكليزية حيث قام النابغة فرديناندلسبس بعمله العظيم ليقرب طريق الهند والشرق ويظهر أن انكلترا خفي عليها لأول وهلة ادراك القيمة الجوهرية لهذا الطريق . والفوائد العظيمة التي تعود عليها منه وهو ما فتيء إلى الآن . ولن يبرح قائماً بدوره الحيوي من الوجهتين التجارية والسياسية . فنجم من هذا الشطط ان انكلترا ضربت بهذا المشروع عرض الحائط تاركة مقاليد أموره في قبضة الحكومتين المصرية والفرنسية

وقد تأسست لتحقيق هذا المشروع واخراجه الى حيز العمل شركة عظيمة في سنة ١٨٥٨ وأصدرت أسهماً كثيرة العدد فتح لتوزيعها اكتتاب عام نالت منه فرنسا القسط الأكبر

بيد انه لما تولى بيكونسفلد رياسة الوزارة وقبض على دفة السياسة وأعنة الأحكام . أدرك بثاقب فكره ما لهذا المشروع من الثمرات الجمة . الدانية القطوف . والفوائد العظيمه التي ستجنيها انكلترا

اذا نالت قصب السبق في هذا المضمار . مضمار المباراة بينها وبين فرنسا . فأخذ يشحذ غرار أفكاره . حتى اهتدى الي الذريعة الفضلى والطريقة المثلى . وهى الاستيلاء على معظم الاسهم التي بها تتمكن الامبراطورية بلا مشاحة من بسط سيادتها على هذه القناة واستعمال نفوذها فيها

صحيح أن هذه المسألة قد تلاشى بعض الشيء من قيمتها بعد احتلال بريطانيا العظمى أراضي فلسطين حيث تستطيع الآن مجابهة ما يعترض سبيلها من العقبات والطوارىء . ودرء غوائلها بتمهيد الطريق من خليج العقبة في البحر الاحمر . غير أن هذا الطريق كان بعيد المنال . يتعذر اختراق سياجه . حينما كانت تلك الارجاء في حوزة العثمانيين وتحت سيطرتهم

وقد ذكر السير هنري لبسي في كتابه الموسوم (بستين سنة في فيافي الصحراء) انه فى خريف عام ١٨٧٥ كان هنري أوبنهام من جهابذة الكتاب الافذاذ . وصاحب جريدة الديلي نيوز الكبرى متجولا فى فرنسا ثم انتقل بعدها الى مصر . وبينما كان يجوب أنحاءها وصل الى علمه ما آلت اليه مالية مصر من الضعف والانحطاط . وما عقده الخديوي اسماعيل باشا من العزيمة على بيع كل ما ملكت يداه من الاسهم التى خص بها في مسألة القناة . فلم

يكد هذا النبأ يتصل به حتى قفل راجعاً على أجنحة الطير. ونفطن هذا الأمر على أحد أصدقائه فريدريك جرينوود رئيس تحرير جريدة « بال مال غازيت » وهذا لم يتوان برهة في نقل الخبر الى اللورد دربي وزير خارجية انكلترا عهدئذ. وما لبث هذا الخبر أن قرع آذان بيكونسفلد (دزرائيلي). فشمر عن ساعد الجد وأسرع إلى فتح باب المفاوضات مع الحكومة المصرية في هذا الصدد لأنه أيقن كل الايقان بأن الخديوى عقد العزيمة على بيع نصيبه من الأسهم بيعاً كاملا بمبلغ اربعة ملايين من الجنيهات على شرط دفع المبلغ كله نقداً فاغتنمت نقابة فرنسية الفرصة وتمكنت في غضون ذلك من الدخول في المفاوضات. وكادت تعقد الصفقة وتفلت من بين يدى انكلترا لولا أن قام جرنوود وأثار عاصفة من الانتقاد والتأنيب في جريدته. واستحث الحكومة على مصارعة منافستها فرنسا والقضاء على مساعيها. على أن تحقيق هذا المشروع فى ظروف عصيبة كهذه لم يكن من الهنات الهينات. بل كان يعد من المغامرات الجريئة التى قلما يقدم أحد على التوغل فيها مهما تكن مهارته ومقدرته العقلية ومواهبه الغريزية لاسيما وأن العقبات التى قامت فى سبيله كانت من أشق العقبات واصعبها تذليلا. اذ كان في طلائعها البرلمان المعارض ولذلك اجتنب القوم مجابهته تفادياً من اثارة مناقشات

عامة تزعزع أركان هذا المشروع وتقضي عليه قضاء مبرماً. وفوق ذلك يقتضي على الذين يقومون بأمره أن يخطوا خطوات الجبابرة للوصول بسرعة البرق الى انجازه . اذ أن جسامة المبلغ ودفعه نقداً دفعة واحدة مما يجعلهم يجفلون من تلك المغامرة أيما اجفال. ولكن هذه المصاعب التى أحاطت بيكونسفلد واعترضت مساعيه لم تكن لتثبط عزيمته الصادقة . وكانما بعثت فيه روحاً جديدة من الحزم والنشاط لان هذا المشروع ليس في الواقع من المشاريع التى تحمل في ثناياها مصالح مادية فحسب . بل هو القطب الذى ستدور عليه الحركة الحيوية البريطانية . والعامل الاكبر الذى سيكون له تأثير عميق في عالمي التجارة والسياسة اللذين يلتقي عندهما اعظم مطامع انكلترا ومراميها . فأوفد دزرائيلي اللورد روتن سكرتيره الخاص الى المثري العظيم الذائع الشهرة البارون دى روتشلد لعرض هذه المسألة عليه . ولكن اعترضت سبيله عقبات اخرى فقام بعصاته السحرية وذك اركانها دكا . ولم تمض ثمانية ايام حتى وكانت الصفقة قد عقدت . وانتقلت تلك الاسهم إلى خزائن الحكومة البريطانية

وقد احتفلت الحكومة المصرية بافتتاح هذه القناة احتفالا عديم المثال في سنة ١٨٦٩ . وقد دعي ملوك الغرب لمشاهدة هذه

الدرة النفيسة . أو الخريدة الثمينة التي انارت بضوئها اقصى طرق البحار . بل لاجتلاء جمال هذا المفرق الذي هو من أعظم مفارق الكرة الارضية وفي طليعتهم الامبراطورة أوجيني امبراطورة فرنسا . زوجة نابوليون الثالث وفرنسوا جوزف الاول امبراطور النمسا والمجر . وغليوم الاول ملك بروسيا والامير عبد القادر وغيره من الامراء ومنذ ذلك الحين لا تزال هذه القناة في تقدم ونجاح وباتت السفن التجارية والحربية تمخر عباب البحار تجتاز طريق هذه القناة وطفقت التجارة تمتد ناشرة وفر البضائع في كل بقعة من بقاع الهند والبلدان النائية . وفي كل قطر من أقطار المسكونة

لا مشاحة في إن هذا المد . اى مد النعم والخيرات الذي اخذ يطمو على انكلترا من ذلك العهد ويغمرها غمراً جزيلا . كان هذا الرجل محركا له . فهو الذي فتح لها كنوز سليمان . والتي بين يديها مفاتيح تلك القناة الساحرة . تلك القناة التي غيرت وجه السياسة العالمية بأسرها ووضع على رأسها ذلك التاج الوهاج الذي انحنى هام الهند له . فهذا العمل الذي جعل بريطانيا العظمى الحاكمة الامرة مالياً وعسكرياً عليها بلا منافس ولا معارض كان اول عامل في توسيع دائرة سياستها التي امتدت جذورها خلال الحرب

الكبرى امتداداً هائلا . وتفرعت منها فكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين . وهي فكرة نمت بعد ذلك نمواً سريعاً حتى أصبحت الآن شجرة يانعة الثمار وارفة الظلال يتظلل فيئها عدد عظيم من الاسرائيليين

كان غلاة الصهيونية . والدوائر المنتمية اليها ينحون على بيكونسفلد بالآئمة: ويطعنون في سياسته مر الطعن. ويستنكرون موقفه ازائهم شديد الاستنكار. حيث كان في مقدوره . وفي يده كل طلاسم السحر التى كانت تجعله قادراً على كل شيء . وتجعل الامبراطورية منقادة لأوامره . أن ينهض بالشعب اليهودي الى مستوى أعلى . ويصعد به الى ذروة الرقي . دون أن ينبس أحد ببنت شفة . ويسوقه الى وطنه القومي قبل هذا الوقت بقرن من الزمان . بدلا من ابطائه واعاقة سيره الى الآن . ولكن كل من أراد تحليل منازع هذا الرجل المتشعبة وسجاياه تحليلا نفسانياً بسيكولوجياً لمعرفة اتجاهات أمياله ازاء المسيحية . لوجد ان دينه الجديد لم يثنه عن اظهار ما فطر عليه من الحنان والعطف الطبيعيين ولم يغير فيه غريزة الميل الفطرى المتحدر اليه ارثاً من آبائه واجداده . بل ما انفك هذا الحب خالداً وظلت جذوره الى أن وافته منيته متاصلة في أعماق قلبه تأصلا قوياً. لا تستطيع تقلبات الدهر الى استئصالها سبيلا

مولده ونشأته

ولد بنيامين دزرائيلى في اليوم الحادي والعشرين من شهر
ديسمبر سنة ١٨٠٤ في مدينة لندن . واحتفل بختانه بعد سبعة أيام
من ميلاده . أي في اليوم السادس والعشرين من شهر تبيط من
السنة الموسوية . بحسب مذهب سيدنا ابراهيم عليه السلام . وقد
أخرج والده اسحق دزرائيلي نفائس من الكتب الموشاة بدرر
البلاغة وسحر البيان منها الكتاب الموسوم «بالعبقرية اليهودية»
أما أمه مريم فكان أبوها سليمان بازيفي من مدينة فرونه . من
المقاطعات التابعة لايطاليا . وقد اعتنق ابو دزرائيلي الديانة المسيحية
في اليوم الحادي والثلاثين من شهر يوليو سنة ١٨١٧ لاسباب ما
برحت منضوية تحت أجنحة الخفاء الى يومنا هذا

ففي ابان مثار الاضطهادات الدينية . وفي مهد اضطرابات
مجالس التفتيش . أي في منتصف القرن الخامس عشر طردت
الارومة المتحدرة منها اسرة دزرائيلي من اسبانيا فهامت على
وجهها . ولما لم تجد بلداً تأوى اليه الا ايطاليا أتت اليها ولاذت
بحمايتها . فمكثت فيها حقبتين كاملتين . ثم جمع بنيامين دزرائيلي جد

الوزير بكونسفلد حقائبه . ورحل الى انكلترا . واتخذها ملجأ له . فاستقرت به النوى . وزرق أولاداً ومن عقبهم ولد بنيامين الوزير . فتشربوا جميعاً بمبادئه وتغلغلت في نفوسهم أصول تعاليمه . وحب العودة الى أرضهم المقدسة . لذلك لم ندهش اذا رأينا هذا الرجل جادا في ترقيـة الشعب الذي تسلسـل من أجـداده وانتقل دمهم الطاهر في عروقه . وفي كل دقائق أعصابه وبالرغم من اعتناق المسيحية التي كان يجلها ويحترمها كان باذلا روحه ومهجته في سبيل تعزيز قوة انكلترا وترسيخ قدمها في تلك الأصقاع . لتحقيق مطامع اليهود ومراميهم عند ما تسنح له الفرصة بذلك . ومن الغريب أن هذا الرجل كان جامعاً اشارات الانكليز المميزة الى عادات اليهود . وتاليدهم جمعاً وثيقاً . وقد صرح الريس سوكولو غير مرة أن دزرائيلي هو الرجل الذي يمثل حركة الصهيونيه تمثيلا حقيقياً

قد وقعت غلطة مطبعية في فصل سابق وهي «يقول المرحوم ناحوم سوكولو» ولكن صحتها الرئيس ناحوم سوكولو لأن هذا الرجل هو على قيد الحياة وحي يرزق حتى الآن

فاذا أراد الانسان سبر غور عواطف بكونسفلد وجس نبض نزعاته وأمياله لمعرفة ما إذا كان هذا الرجل بقي يتغذى خفية

بلبان عقيدته الاولى . واذا كان اتخذ المسيحية ذريعة توصلا لاكتساب المعالي . وتسنم ذرى المجد . وتحقيق المطامح الكبرى التي كان يصبو اليها وهو في ريعان شبابه فعليه بمطالعة تاريخ حياته فهو المرجع الوحيد الذي لا يواري . ولا يداجي . وهو بمأمن من الروح الحزبية والاغراض الدينية . فالحوادث التي تخللت حياته . أبانت لنا أن روح هذا الرجل كانت تحوم دائماً حول اليهود . وتفيض بالعطف عليهم . وكانت الاوتار الحساسة الكامنة أبداً في مزاجه وطبيعته تهتز لهم اهتزازا شديدا . وكان يرقب حركاتهم . وسكناتهم في غدوه . ورواحه الا أن ذلك ما كان ليمنعه من تأدية فرائضه الدينية المسيحية التي كان يزاولها بكل خشوع واخلاص

كان هذا الرجل نموذجاً من أبرز النماذج الخلقية الراقية للجنس البشري . وكان أكبر مثال حي . شاهد على عظمة السلالة التي هو متحدر منها . وعلى التفاني والمثابرة في العمل مهما تفاقم الخطب واستفحلت النوازل وهاتان الصفتان المميزتان كانتا من الاسباب التي ساعدته على أن ينال مركزا . أبعد منالا من مراكز سلفائه وغدا قوة هائلة منبثة في جميع أنحاء انكلترا . لا يعرف مستقرها يقيمها ويقعدها في لحظة . يدفعها الى الامام اذا رأى فتورا في عزمها .

ويحرك فيها النشاط والاقدام اذا لاحظ قصورا في حزمها .
ذلك تراث خالد تركه له ذلك الشعب المشتت في أفجاج العالم منذ
تسع عشرة حقبة من حقب الدهر الاليمة . لم يكن فيها امناً على
حياته . لا في يومه ولا في غده . وكانت مهاوي التهلكة مفتوحة
دائماً تحت أقدامه . والمولى ينقذه منها بأعاجيب مدهشة لم تأت
في الاحلام المضطربة الجريئة

عهده

كان دزرائيلي عصاميا . لم يرث شيئاً بتاتا من والده . لا لقب من القاب الشرف . التي يتباهي بها النبلاء والاسر العريقة . ولا مال لتوسيع دائرة مطامحه الكبيرة . وكانت الصعاب التي اعترضت سبيله تزداد يوما فيوما . لا لموبقة اقترفها . ولا لذنب جناه . بل لكونه تحدى البشرية . وخالف أوضاع المجتمع بمجاهرته على رؤوس الاشهاد . بانه نازل من ارومة يهوديه .. بيد أنه بالرغم من استهدافه لهذه العواصف كان ثابتا لا يهزه هبوبها . ولا ينحني عنقه ابان اشتدادها وكان الاهلون على اختلاف طبقاتهم ونزعاتهم . والبلاط الملكي . وأرباب المناصب العليا على اختلاف مذاهبهم . يحيطونه بالاجلال ولا يلهجون الا بذكره . وحمده لما جلب على بلادهم من خير ونعماء . اذ من الثابت الذى لا يمارى فيه أنه لم يصل الي الزعامة العاليه في حزب المحافظين والبرلمان الا بشق الانفس . وبعد ما ذاق الامرين وكان مطبوعا على حب المصلحة العامه. بل على شعور أنبل وأشرف . الا وهو الشعور بالواجب الكبير فى ابتغاء المعالي والمطامح لكي يتثني له وضع دفة السيادة العالمية بأسرها في قبضة الامبراطورية البريطانية

عقيدته وإيمانه

لا أحد ينكر أن هذا الرجل كان سياجا منيعاً لليهود . وكان يتذرع دواما في دفاعه عنهم بذرائع وادلة دينية قوية دامغة حتى أنه صرح في احدى خطبه الرنانة موجها عباراته الى المسيحيين لتبريرأو اصر العصبية التى تربط اليهود بهم قائلا : أين هي المسيحية الحقيقية التى تنتمون اليها . وأين مكانها اذا كنتم تنكرون اليهودية فاليهودي هو حتما رجل مفعم بالايمان. ومعتصم بأهداب الدين . جانح بكل قواه الى تعزيز أسس الكنيسة المسيحية . لا الى العمل على دك أركانها وتقويض دعائمها . أليس حقيقيا أن الكنيسة المسيحية كانت أول من سعى في تنوير أذهان العامة واخراجهم من دياجي الغباوة بنشر تعاليم تاريخ اليهود . اليس في الواقع أن الكنيسة . رومانية كانت او بروتستانيـة هي التي أذاعت هذا التاريخ في كل رقعة من رقاع الارض حتى جابت شهرته آفاق العالم بأسره ؟ أما كنتم في الايام المقدسة تلقون على الشعوب ما كان يفعله ابطال اليهود من الاعمال المجيدة . وما كانوا يبذلونه من التفاني في غرار أيام مجدهم التالد . وعزمهم الاثيل ؟ ففي ايام الآحاد . وايام الاعياد

المقدسة التي تحتفلون بها وتتلون صلواتكم فيها حيث تفيض عواطفكم الدينية شكراً وحمداً للمولى عز وجل اما كنتم تجدون تلك التعبيرات الفياضة حاضرة في اذهانكم . هذه التعبيرات البليغة الشعرية المستمدة من المناهل اليهودية العذبة التي كانت تساعدكم على بسط ما يخالج حاساتكم ويكنه شعوركم فعليكم اذن ايها المسيحيون ان تقيموا وزناً لكل هذه الامور . وان تقسطوا بينكم وبين اليهود . فاذا قمتم بذلك تكونون عملتم عملاً صالحاً وسلكتم سواء السبيل

اقسم سوكولوف انه اعظم الاقسام بأن آذانه لم تتشنف مدى حياته باستماع مثل هذا التعبير البليغ ولا بمثل هذه النبرات الرخيمة التي تخترق الفؤاد وتهز الوجدان

ظلت تلك المنازع اليهودية خالدة في فؤاد دزرائيلي . ومرسومة على صفحات قلبه ، والواح ذاكرته شاخصة للعيان ، وبارزة بروزاً محسوساً في كل مؤلفاته وفي كل احاديثه ، وفكاهاته في مجلس النواب ولم تكن اشد العوامل ، واقوى المؤثرات بقادرة على دفعه الى انكار الرابطة العصبية التي تربطه بالسلالات التي هو متحدر منها

وقد قرأنا كتاباً قيماً في مجلة العالمين بتاريخ ١٥ يوليو سنة

١٨٧٠ مدبجاً بقلم الكاتب النحرير « لاكور » قارن فيها بين دزائيلي وهنري هين ، هذا الشاعر الذي هو من فحول الشعراء ومصاقع الخطباء

أراد هذا الكاتب أن يكون للمقارنة بين هذين العبقريين سبيل . وأن تكون مقارنه شريفة . سامية . هما خطان متوازيان لايتعدى أحدهما الآخر . من حيث العقل وقياسه . والمرامي ومداها . والفؤاد وذكاؤه والعارضة وشدتها . والذهن وحدته . والخاطر وسرعته وكثيرا ما كانا يخوضان غمار بعض النظريات الاجتماعية . ويتوغلان في أعماقها . ويخرجان حاملين ما كان في أحشائها من شديد الزواجر . وبليغ العظات . الا أن هوة سحيقة كانت تفرق بين الحياة العملية المريرة المضطربة التيقضاها هذا الشاعر المنكود . والآلام القاسية التي عاناها ، وبين حياة دزرائيلي الباسمة التي وان كانت تكتنفها في بعض الظروف سحب حالكة ، فانها نهضت به في نهاية الامر الى أعلى ذروة من ذرى المجد التي قلما اعتلاها أحد غيره في الامبراطورية البريطانية

أظهرت الحدة والنشاط الذين كان يبديهما ما لليهودي المهاجر من قوة الارادة ، والحزم ، والمقدرة على اقتحام أشد الاهوال ، ومن رباطة الجأش ، في جهاده في سبيل رقي البلد الذي

يلوذ به، واسعاده بقدر قوة ذكائه وأعماله ، واستطاعة مواهبه وقوته ولقد قال غلادستون في ماقاله اسنادا الى مافاه به دزرائيلي :

« هنيئاً للبلاد التي يعامل فيها اليهود باللين . فلا مندوحه »
« من أن يكون مصيرها آيلا الى السؤدد واليمن والاقبال »

استطاع دزرائيلي بدهائه وحنكته أن يضيء جبين انكلترا ويضيف الى تاجها درة أخرى من الدراري الساطعة التي لاتقل قيمتها عن سابقاتها. واستطاع أن يضع في قبضة يدها جزيرة قبرص. تلك الجزيرة الباسمة المزدهرة . التي تتجلى كالعروس في وسط البحار وتترنح تجاه الشواطيء السورية تيهاً وعجباً.وذلك بلا قتال ولا نضال ودون أن يهرق في سبيل احتلالها قطرة من دماء الرجال

ومن أطوار هذا الرجل أن وجدانياته . وكل عواطفه كانت تنزع دواماً الى الشرق . وتصبو اليه . وكان في هجمته يتغنى بحسن جماله . ويشيد بذكر مجده . كان الشرق مثله الاعلى . وغرضه الأسمى . يريد رفع مستواه الأدبي . والاجتماعي . والسياسي . وذلك لتوفير أسباب العمران المادي . والاقتصادي . واستجلاب الرخاء والنعيم لليهود . وكل الجنس السامي بأسره . ولكن قسوة الظروف التي أحاطت بمشروعه لعدم نضوجه النضوج الكافي . كانت باعثاً قويا على حبوطه حبوطاً وقتياً

كان هذا الرجل على نقيض أقرانه الذين جحدوا عقيدتهم وإيمانهم . كان على نقيض هؤلاء الملحدين الذين كانوا وصمة عار في جبين الدين والمجتمع . كان يتحدى أولئك الذين كانوا يغشون منشأهم وأصلهم بغشاء كثيف من الرياء الديني . والنفاق الاجتماعي حتى اذا فاجأه أحد بسؤاله عن أصل نشأته . كان يجيبه على الفور بدون مواراة . ولا مداجاة أنه منحدر من أرومة نبيلة طاهرة . ومن عروق شريفة نقية على خلاف بعض الطبقات الارستقراطية المعاصرة التى توارثت عصبيتها من بعض السلالات الهمجية التى كانت في غابر الأزمان هائمة على وجهها لا تملك شروى نقير . ولا جمل بعير

—()—

الفيلسوف الكبير ماكس نوردو

واهتمامه بالمسألة اليهودية

مات هذا الفيلسوف اليهودي صاحب الشهرة العالمية وصاحب الكتاب المشهور الموسوم بالاكاذيب المقررة ونحن لا نستطيع أن نضرب صفحاً عن أعماله التي لم تجب شهرتها آفاق أوربا الوسطى وحدها فحسب بل جابت آفاق القارة الاوربية جميعها فاغفال التعليق على هذا الحدث يستلزم اغفال التأثير البليغ الذي قدر لفلسفته أن تصادفه في طور من اعظم الأطوار التي شاهدها العالم بأسره

نشأ ماكس نوردو في امبراطورية « هابسبورج » التي صارت الآن في ذمة التاريخ. ونشر طلائع آرائه الجامحة في «فينا» حيث يقوم العرش الامبراطوري وأتيح له أن تتقبل هي وما بعدها من الطبقات المستنيرة بشيء من الموافقة والاستحسان اللذين يمكن أن تحظى بهما تعاليم جديدة جريئة . ولكن صراحة الفيلسوف وامعانه في تسفيه النظم الاجتماعية وأسس الاصطلاحات العمرانية السائدة في عصره بفضل صوابيتها النسبية أو بفضل

غفلة الناس عن عيوبها وكثرة اعتبارهم لها جعل مقامه في الامبراطورية المزدوجة — أو المختلطة على التعبير الاصح — غير مستحب بل غير ممكن اذا نظرنا الى المهمة التى أخذ على عاتقه مختاراً أو غير مختار أن يقوم بها لان الحكومة النمسوية صادرت مؤلفاته ووقفت تحول دون انتشار آرائه وتعاليمه بحجة أنها تتعرض للنظام الامبراطوري تعرضاً ينطوى على الجرأة الخارقة ثم بحجة ما ينجم عنها من التأثيرات الغير المرغوب فيها من الهيئات المسيطرة

وفي الحق ان المعول الذي كانت تحمله أيدي هذا الجبار كان معولا خطراً على نظم المملكة الهابسبورية التى كانت تقوم على تماسك غير طبيعي . وتنهض على خليط من الشعوب المتنافرة المتناجزة . تلك الشعوب التى اظهرت الحرب العظمى وهن ارتباطها وأسفرت عن انحلال ما بينها من الاواصر المفتعلة ورجوعها الى عناصرها الاصلية في بولونيا والتشيكوسلوفاك ويوغوسلافيا ورومانيا . وايطاليا

لقي ماكس نوردو هذه المعاملة في موطنه فلم يطق عليها صبراً . وهاجر الى حيث يتمكن في أوربا الغربية من اطلاق الحرية لارائه وكتاباته في أوساط تعجب به ويلقى منها كل حفاوة وترحاب . وصادف طريد النمسا في فرنسا راحة تقرب مما صادفه

الشاعر الفنانى المتهكم « هيني » طريد المانيا من قبله . فقضى شطراً كبيراً من حياته في النشر والتأليف حتى وقعت الحرب العالمية الاخيرة التي شاءت الاقدار أن تسفر فيما أسفرت عن موطن قومي يهودى .

واِنما خصصنا الوطن القومي لليهود بالذكر في معرض الكلام عن نتائج الحرب العظمى لارتباط هذه النتيجة بحياة الفيلسوف فقد شغله الوطن القومي اليهودي في أخريات أيامه وأخذت القضية اليهودية حيزاً واسعاً من مشاغله الاخيرة ولقد نذكر ان بعض الصحف الاوربية ذكرت بدهشة غريبة اهتمام هذا الفيلسوف الكبير بالمسألة اليهودية لمجرد انه قد انحدر من سلالة صهيونية . ونهوضه في هذا الجيل الى الذود عن حياض فلسطين ونشاطه في سبيل الاكتتاب للجموع اليهودية المتحدرة من شرق أوربا الى الاراضي المقدسة مستعيناً على ذلك بما اوتيه من بلاغة في الكتابة وفصاحة في اللسان

هكذا قضى ماكس نوردو عمره وهكذا عاش ايامه الأخيرة ولا بد أن يكون قد اغمض جفنيه الاغماضة الابدية على رضى وسرور . اذ انه شاهد بنفسه كيف دالت دولة الهابسبورجيين

وكيف انحلت الامبراطورية المختلطة وكيف صرعت الجامعة والوطنية الالمانية تحت ضربات العالم الذى اجمع تقريباً على مناوأتهما بل انه لا بد ان يكون قد سمع وهو طريح الفراش يعالج سكرات الموت ما ابداه اليهود من النشاط البديع فى سبيل استعمار فلسطين

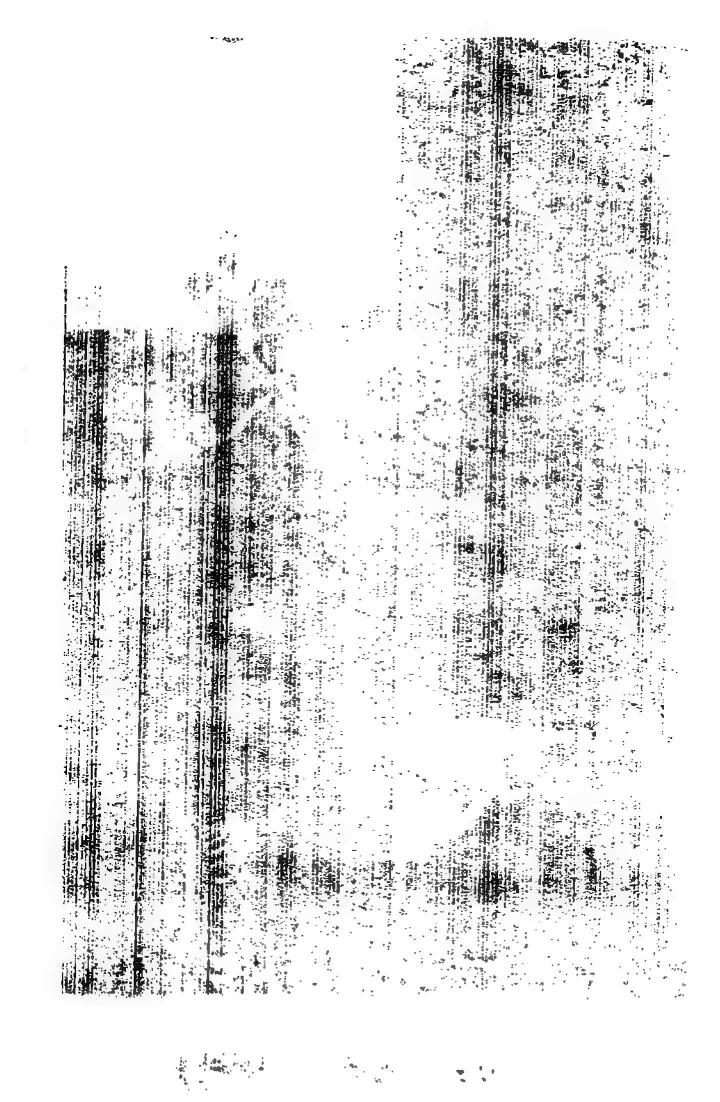
تل أبيب وموقعه الجغرافي

من العبث أن تطلق للقلم العنان هنا للافاضة في وصف تل أبيب فما من أحد يجهل موقع هذه المدينة البديعة وما وصلت اليه من التقدم العظيم . وحسن الرواء . فقد استحالت تلك المنطقة الجرداء الى جنات تجري من تحتها الأنهار . فكل من جاب آفاق هذه الانحاء منذ ثلاثين عاما وعاد اليها في أيامنا هذه يقف مشاهداً وقد أخذته الدهشة وتولاه الذهول . فكأن عصاة موسى السحرية قلبتها رأساً على عقب . وصيرتها جوهرة من الجواهر التي جعلت أنوار فلسطين أشد سطوعا . وأبهى سناء

ثم ان منظر هذه المدينة المطلة على البحر لهو من أبدع المناظر التي تسحر الألباب . وتأخذ بمجامع القلوب . وهي زاخرة بالبضائع على اختلاف أنواعها . وأسواقها فياضة بالحركة . غاصة بالاهلين المتباينة أجناسهم . والمفعمة نفوسهم بالنشاط العملي . الذى لا يعتريه كلال . ولا ملال . ولقد قامت هذه المدينة على آكام من الرمال المتاخمة لميناء يافا . أنشأها عدد ضئيل من اولئك الرجال البواسل الذين لا ينيف عددهم على الستين رجلا . وكانوا لا يملكون



﴿ المجاهد الكبير حايم ويزمن ﴾



من رأس المال سوى اربعة آلاف من الجنيهات . وقد بنوها على مسطح يبلغ ١٤٠٠٠٠ متر مربع

اعد نظراً ايها الزائر . ودع نفسك تتشبع من مهابتها . واجتذاب سحرها . تجد امامك اجمل المناظر وأبهاها . تجد تلك المناظر الطبيعية التى تثير مكامن وجدان الشعراء والروائيين. تجد تلك الاماكن الحسناء الفسيحة الارجاء . تحيط بها رياض غناء . وغياض فيحاء. تحاكى العقود في تنسيقها وترصيعها تتجلي امامك بكسائها الزمردي الباهر التى تستهوي الخواطر . وتسترعي النواظر

وفي سنة ١٩١٠ كان الذين يقيمون فيها لا يزيد عددهم على الخمسماية والخمسين نفساً . وفي نهاية سنة ١٩١٣ وصل عددهم الى ٩٨٠ وفى سنة ١٩١٩ الي ٢٨٦٢ وفي اول سنة ١٩٢٢ الي ٥٥٠٠ وفي نهاية السنة نفسها الى ١٢٨٠٠ وفي سنة ١٩٢٣ الى ١٦٥٠٠ وفي ديسمبر سنة ١٩٢٤ الى ٢٧٠٠٠

اما عدد المنازل فيها فقد بلغ في ١٩١٠ نحو ماية منزل . وفي سنة ١٩١٤ نحو ٢٠٠ وزاد في سنة ١٩٢٠ الى ٣٠٠ وفي سنة ١٩٢١ الى ٦٠٠ وفي سنة ١٩٢٢ الى ١٥٠٠ وفي سنة ١٩٢٤ الى ٢٠٠٠ هذا عدا الاكواخ الخشبية والخيام العديدة التى يأوي اليها الذين لم يجدوا مساكن معدة لسكناهم . فالمساحة التى يشغلها هؤلاء

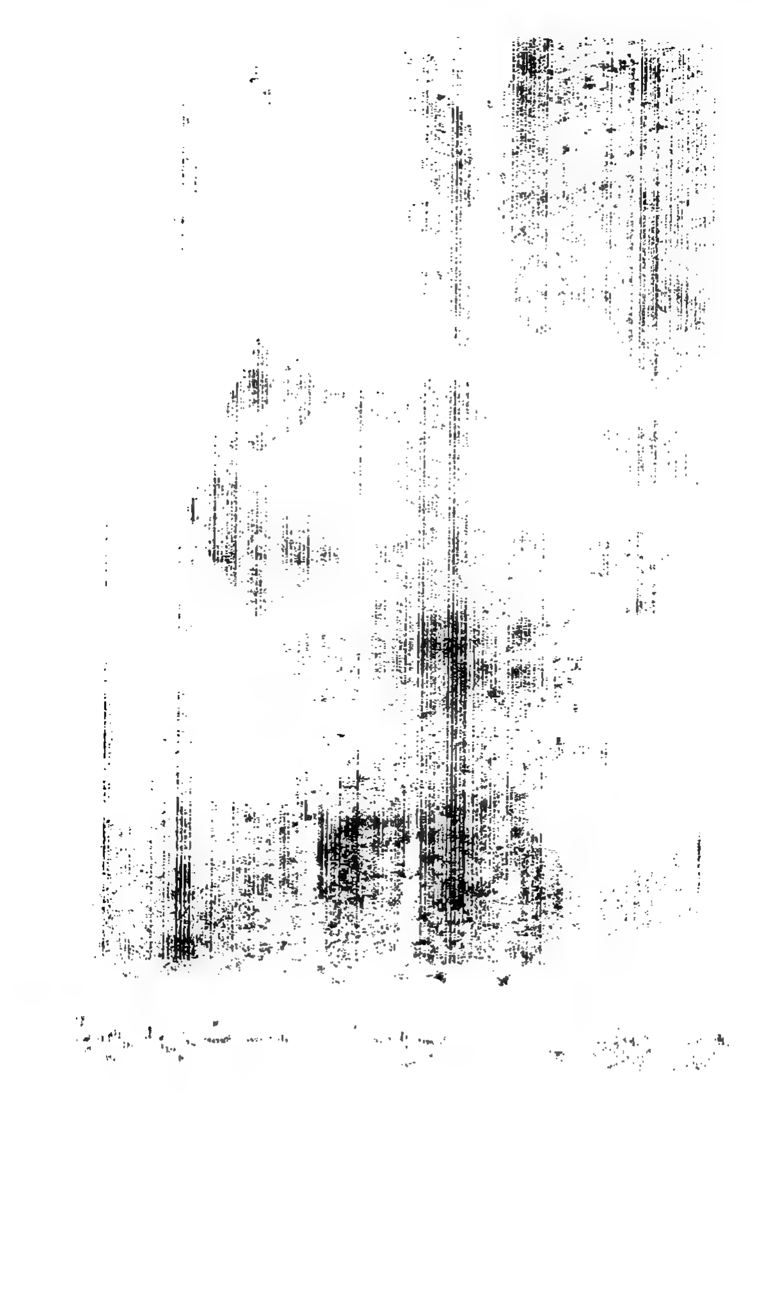
الأهلون جميعهم ما برحت تمتد وتتسع حتى بلغ مسطحها في سنة ١٩٢٤ نحو ٦٠٠ هكتار فاذا أدمجنا في هذا العدد المهاجرين الذين نزلوا في هذه الأنحاء في سنة ١٩٢٥ وجدنا مجموعاً يربى على ٣٥٠٠٠ نسمة تغلغل في احشاء هذه المدينة . واستقر في جسمها . بيد أننا لو تجولنا في أنحائها في هذه الايام لرأينا بوناً شاسعاً بين سنة ١٩٢٥ وسنة ١٩٣٣ اذ نجد عدداً لا يقل عن ثمانين الف نسمة عدا المباني التي أقيمت فيها على اكمل طراز هندسي حديث

وهنا ترى الزيادة من الارقام التالية ففي سنة ١٩١٩ أي في أوائل الهجرة كان عدد اليهود في فلسطين ٥٥٠٠٠ أي ٩ في المئة من مجموع السكان . ثم تكاثر عددهم . ففي سنة ١٩٢٢ بلغ ٨٤٠٠٠ وفى اول يناير سنة ١٩٢٥ بلغ ١٠٤٤٦٨ وكان مجموع السكان على اختلاف اجناسهم . وعقائدهم ٨٠٨٤٦٦ فكان عدد اليهود فيه بنسبة ١٣ في المئة . وفي شهر يوليو سنة ١٩٢٥ بلغ عددهم ١٢٠٤٦٦ ومجموع السكان ٨٢٨٥٢٠ ولما تولى السر هربرت صموئيل السلطة وجد بعد الاحصاء الدقيق ان كل واحد من اليهود يقابله عشرة من العرب وعند ما خلفه بلومر كان كل واحد من اليهود يقابله ٦ من العرب

ولكن اذا أمعن أحد المدققين النظر في هذا الاحصاء رأى



السير هربرت صموئيل المندوب السامي في فلسطين سابقاً



أن توالي هذه الهجرة يتضاءل أمام مواليد العرب . فقد بلغ المواليد عند العرب ١٣٠٠ مولود في الشهر الواحد وعند اليهود ١٩٠ فاذا راعينا هذه النسبة السحيقة رأينا ان المواليد عند العرب تزيد عددها على الهجرة اليهودية زيادة محسوسة . وقد ابان « اميرى » انه في غضون ثلاث سنوات أي في سني ١٩٢٠ و١٩٢١ و١٩٢٢ حجب طوفان المواليد العربية الهجرة اليهودية وغمرها تماماً هذا فضلا عن الهجرة العربية التى تؤم البلاد من كل حدب وصوب

على ان ثلث المهاجرين الذين ولجوا فلسطين هم من بولونيا والثلث الآخر من اوكرانيا وروسيا والباقون من الاروم التى تسلسل منها اليهود من بلاد مختلفة

والحقيقة التي لا مرية فيها هي ان المهاجرين الذين نزحوا من آسيا وافريقيا . اي من ايران والفرات ومراكش وافغانستان قد تفوقوا على غيرهم لأنهم الفوا امزجة العرب . ودرجوا على طبائعهم . وعرفوا لغتهم . ولكنهم لم يكونوا على خبرة بالحياة اليهودية في فلسطين ولا سيما نظام التعاون المتعارف لديهم ولذلك وقفوا واجمين لدى مشاهدتهم وجه الحقيقة القاسية

وهذا جدول يدل على منشأ المهاجرين الذين اموا فلسطين

من ابريل سنة ١٩٢٢ الى ١٩٢٥ وهو : من النمسا ١٢٣ مهاجراً . ومن الولايات المتحدة ٨٩٨ ومن انكلترا ٧٨ ومن الارجنتين ٣١ ومن العراق ١٠٨٠ ومن ايطاليا ٩٧ ومن أفريقيا (عدا مصر ومراكش) ٣٨ ومن أفغانستان ٥١ ومن المجر ١٠٥٣ ومن بلغاريا ١٠٥٣ ومن البرازيل ٦ ومن بخاري ٩٠ ومن جورجيا ٥٧ ومن المانيا ٥٢٧ ومن ونسنج ٥ ومن هولانده ١٢٩ ومن الهند ٨٤ ومن يوغوسلافيا ٨٤ ومن اليونان ٧٤ ومن ليتوانيا ١٦٥٧ ومن ليتونيا ٢٧٥ ومن مصر ٢٧٥ ومن مراكش ١٩٤ ومن المكسيك ٥٦ ومن سوريا ولبنان ١٣٨ ومن بولونيا ١٣٩٤٠ ومن ايران ٦٠٣ ومن تشيكوسلوفاكيا ١١٦ ومن فرنسا ٦٥ ومن كندا ٧ ومن كردستان ٣٩ ومن القوقاز ٧٦ ومن روسيا ١٤٨٤ ومن رومانيا ٦٨١٤ ومن سويسرا ١٢ ومن اليمن ٩٤٨ ومن تركيا ٩٤٦ وذلك مع عودة ١٦٤ مهاجراً من بلدان مختلفة سنة ١٩٢٣ الى ابريل سنة ١٩٢٥ .

ولا يغربن عن الاذهان أن ٢٦٠٨٥ هم من الاشكنازيم المتسلين من أصل الماني . وبولوني وروسي وأكراني و٣٠٧٢ سفارديم متحدرين من أرومة يهودية اسبانية .

شبان من اليهود المهاجرين

تجفيف المستنقعات

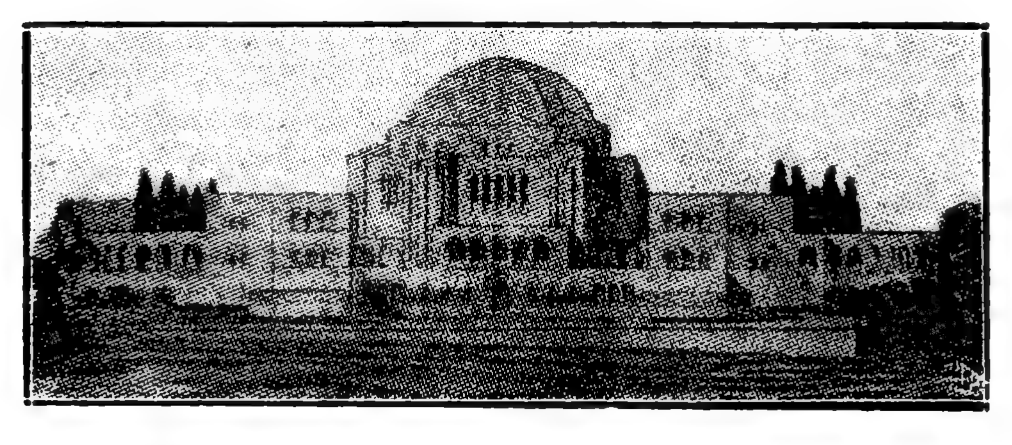
الجامعة العبرية

قد احتفل بافتتاح الجامعة العبرية في غرة ابريل سنة ١٩٢٥ وتولى رياسة هذه الحفلة اللورد بلفور نفسه . فكان لها مظهر من المهابةوالعظمة . والوقار . ولسنا نغالي اذا قلنا أن هذه الحفلة لم تكن حادثاً فلسطينياً فحسب بل حادثاً عالمياً جمع عظماء الرجال الافذاذ . ومندوبين من جميع الجامعات . وبعض الفلاسفة والعلماء والاعلام وفطاحل الكتاب . وأقطاب المحررين . وممثلى معظم حكومات اوروبا . والولايات المتحدة . وهذه الحفلة لا يزال ذكرها ماثلا في أذهانهم فلا ريب أن شهرة هذه الجامعة.ومانالت من الاعجاب كانا من البواعث على تقديرماأنجبهالهام الصهيونيةمن التقدم الادبي والرقي المعنوي اللذين وصل اليهماالوطن القومي اليهودي حق قدره

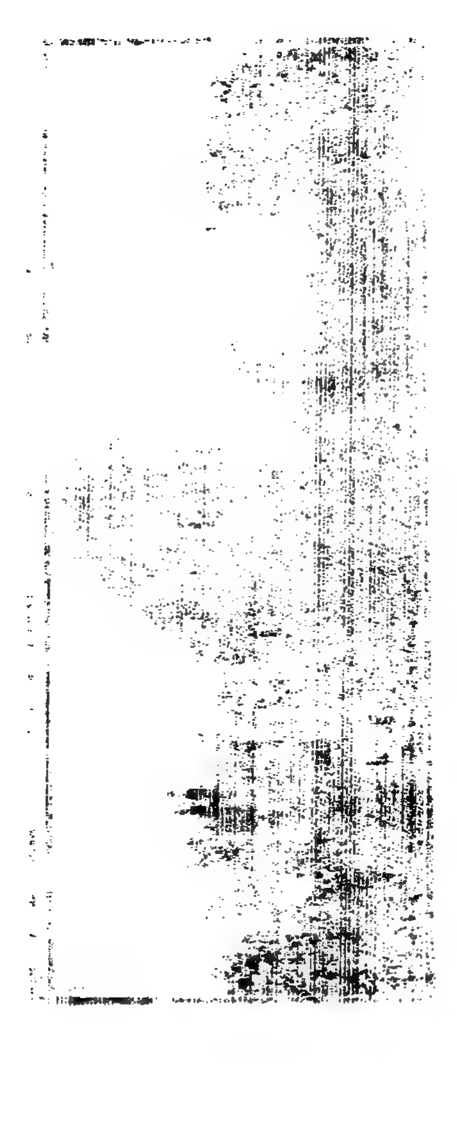
حايم ويزمن والبير انشتين وعهدهما

ففي سنة ١٩٢١ أنشأ ويزمن الذي هو من أكبر غلاة الصهيونيين ودعاتهم وانشتين العالم الطبيعي ذو الشهرة الجوابة في امريكا معهداً يضم لفيفاً من الاطباء . وهي فكرة ترمي الى التعاون على انشاء قسم طبي في أورشليم . وقد افتتح اكتتاب لهذا الغرض ثم عقدا بعد ذلك العزيمة ووطنا النفس على اقامة معهد كبير في فلسطين خاص بدرس جراثيم الامراض . وقد عهد الى الاستاذ « فيدور » في ادارة القسم الخاص بعلم الكيمياء . فسار هذا المعهد سيراً حثيثاً نحو معقل الغاية العليا وأصدر عدة نشرات فنية فالتحق عدد عظيم بهذين المعهدين وانهال الطلبة عليهما زرافات ووحداناً من كل حدب وصوب

وفي سنة ١٩٢٥ ألفت لجان عديدة في أورشليم ولندن وباريس الغرض منها التعاون على انشاء قسم خاص بالفنون والصحف وأخذت الصحف من ذلك العهد تنشر مقالات انشائية أدبية وتثير دعايات حماسية باللغة العبرية . كما أخذت تفيض في الابحاث الخاصة بالعاديات والتاريخ . وعلم التربية . مدبجة بأقلام



الجامعه العبرية



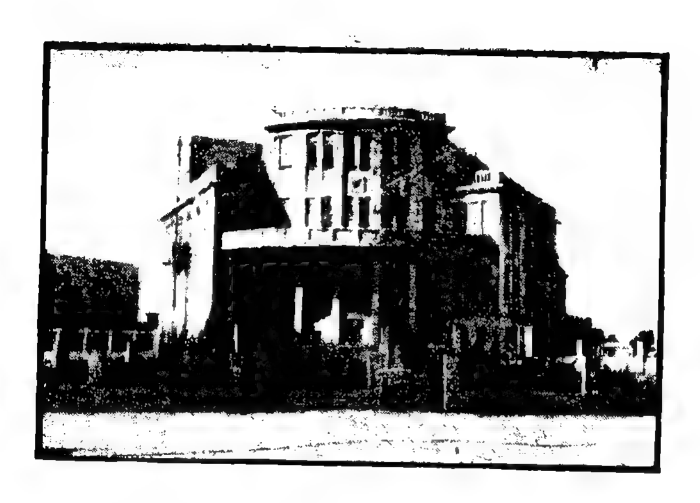
بعض فطاحل الكتاب الذين أصغوا الى صوت ضميرهم. وحضروا الى فلسطين لتفريغ كنوز معارفهم. وفى ٢ أبريل سنة ١٩٢٥ وضع الحجر الاول في أساس معهد « بلفور - انشتين » . وهو معهد خاص بالرياضيات والطبيعيات

على أن فكرة انشاء هذه الجامعة ظلت تتمخض في ذهن هرزل العالم العظيم والفيلسوف الجليل « مكس نوردو » والمجاهد الكبير . والجواب الشهير . « حايم وزمن » الذي هو قطب الحركة القائمة الآن في فلسطين ردحاً من الزمان . وبدأ اختمارها في سنة ١٩٠٢ ومنذ ذلك العهد أخذت تنمو وتشتد . وظلوا متمسكين بها عاملين لها حتى دخلت في حيز العمل . وغدت شكلا بارزاً ملموساً

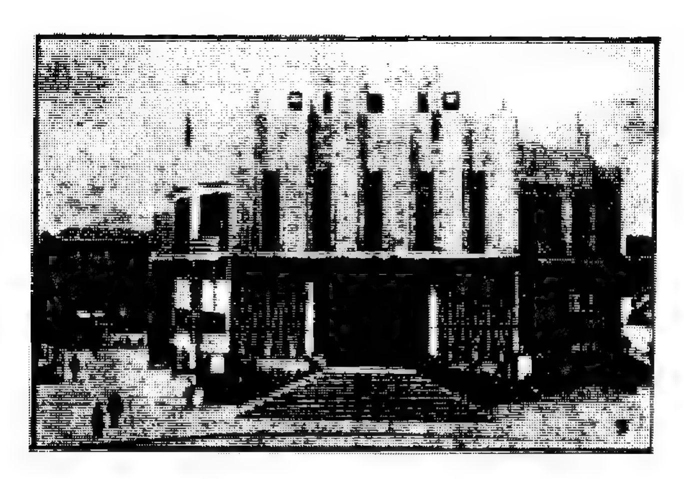
ففي سنة ١٩٠٢ كان هذا المعهد عقبة كأداء في سبيل الطلبة اليهود المتخرجين من مختلف الجامعات الاوروبية . وفي سنة ١٩٠٣ وفد عليه ٧٠٠٠ طالب من الروسيين الاجانب . وقد احس الطلبة باحتياجهم الى جامعة تضمهم بين جوانحها . وكان وزمن في هذه الآونة قابضاً على أزمة الحزب الصهيوني الديموقراطي وقائماً بتنظيمه فأطلع هرزل على هذا المشروع اى انشاء جامعة يهودية تتناول أقسام العلوم كلها فأخذ وزمن يعد المعدة لذلك ويؤهب

الأهبة ويكافح كفاح الابطال في سبيل تحقيق هذه الغاية . ولم يترك الفرصة تفلت من يده فأسرع الى نشر كتابه الموسوم « ب الجامعة العبرية » وطيره الى أفاق اوروبا فتناوله جميع الاساتذة واقطاب العلوم والمعارف من اسرائيليين وغير اسرائيليين . وعشرة الاف من الطلبة اليهود . ثم جاب وبزمن بعد ذلك ارجاء اميريكا وجال في كل فج من افجاجها وطفق يستحث اليهود على الجهاد في هذا السبيل ويستنهض هممهم . ويفعم قلوبهم حماسة ونشاطاً ويحضهم على الانهاض بهذه الحركة الميمونة . فأصدرت المؤتمرات التي عقدت خصيصاً لبلوغ هذا المأرب قراراتها ووافقت في سنة ١٩١٤ على تأليف لجنة دولية للبت في شؤون تلك الجامعة برئاسة البارون جمس دى روتشلد . ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن اذ لم يكد هذا المشروع يبرز من مكامنه حتى دارت رحى الحرب العظمى . وهاجت الدنيا وماجت وزلزلت الارض زلزالا عنيفاً فقصفت الرعود . ودوت المدافع وسقطت الصواعق . ودكت ما شيدته الحضارة من الوف السنين دكا

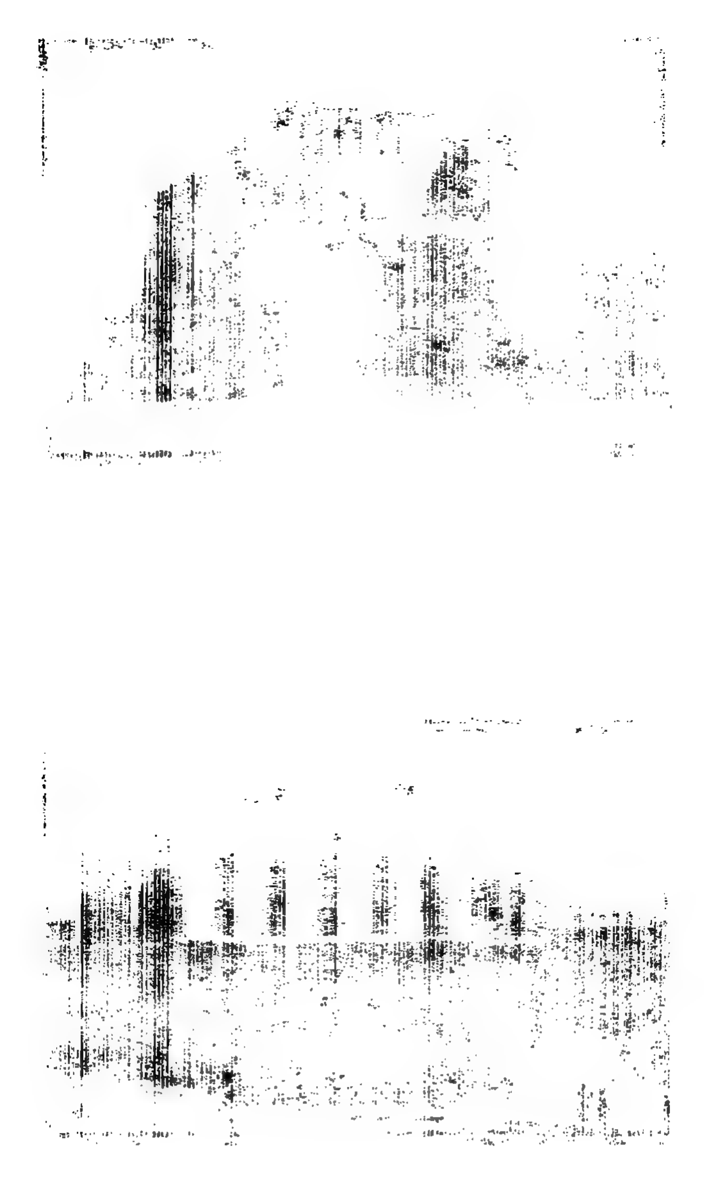
ولكن عندما وضعت الحرب اوزارها . ولم يكد فجر يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩١٨ ينبثق حتى وضع أول حجر اساسي للجامعة العبرية . وفي سنة ١٩٢٥ كان العالم العلامة والقبس الوضاء البير



المجلس البلدي



دار التمثيل (الاوبرا)



انشتين الذي ظهر في العالم حاملا نظريته النسبية الهائلة قد القى أول محاضرة في أورشليم هزت أركان القاعة التي أمها أساطين العلم، ونوابغ الخطباء.

«وفي اول ابريل أذاع رسالة اشار فيها الى ان الجامعة هي المكان الذي تتجلى فيها النفس البشرية بأجلى مظاهرها. وتعبر عما تكنه تعبيراً بليغاً صحيحاً. ولما كان العلم والبحث يعترفان بأن معقل الغاية الكبرى هو الوصول الى الحقيقة كان بديهياً ان المعاهد التى تنهض للسير في سبيل خدمة العلم ستكون عاملا من العوامل التي تربط الامم والافراد ربطاً محكماً وثيقاً ولكن يا للاسف الشديد فان جامعات اوربا ليست في الحقيقة سوى مراجل تغلي فيها الوطنية المتطرفة غلياناً آكلا. ويسود التعصب الاعمى فيها كل الاشياء الخارجة عن دائرة الامة والسلالة وكل الاشياء التى تكون مبصومة بطابع فردى مختلف

«على ان اول من تألم من هذه الاحكام الجائرة هم اليهود لا لكونها مجحفة بما ينزعون اليه من حرية الاشتراك في الدراسة أو في اقتباس العلم والمعرفة فحسب. بل لسبب علمائهم. وعدم تحركهم فى دائرة محصورة من القومية. واني لمناسبة جامعتنا الوليدة أود ان اعرب عما يخالج فؤادي من الاماني واضرع الى

الله ان تكون جامعتنا حرة طليقة من كل قيود التعصب والمفاسد وأن يحرص المعلمون والطلبة على صوت الضمير مع الاضطلاع بما يملي عليهم واجب شعبهم . وتوثيق عرى اتحادهم بروابط الانسانية السامية .

فالمعاهد القائمة بالاعمال المفيدة الآن هي :

اولا . معهد المباحث الطبية المعروف بالمعهد الميكروبيولوجي المختص بعلم معرفة جراثيم الامراض . والحمى الصفراء وهو آخذ الآن بالقاء محاضرات تامة تتعلق بالوسائل الصحية

ثانياً .معهد الدروس العبرية والشرقية

ثالثاً . المعهد الخاص باللغة العربيه وعلم الادب والانشاء والبيان . وقد القيت فيه سلسلة من المحاضرات العلمية المفيدة . من نخبة العلماء الذين جاءوا من الخارج ومن مصابيح العلم المقيمين باورشليم ثم اكتتاب لمعهد الخاص بدراسة اليهود واللغات ...

—0—



المهندسخانة



دار الكتب أو الكتبخانة العبرية

اما الكتبخانة او دار الكتب الخاصة بالجامعة فحدث عنها ولا حرج لانها اخذت تخطو خطوات الجبابرة اثر دعايات نشطة متوالية اثارها دعاة هذه النهضة في الاوساط الراقية والطبقات المتنورة لحض العالم اليهودى على مد يد السخاء لها واتحافها بالكتب العلمية الغالية

ففى سنة ١٩٢٠ كان عدد المجلدات فيها يبلغ زهاء الثلاثين الف مجلد . وفي سنة ١٩٢٣ ٦٦٠٠٠ وفي سنة ١٩٢٥ تدفق عليها سيل من الكتب أربى عددها على مئة الف مجلد . وأما الآن وقد مضت ثماني سنوات فليس من شك في أن الكتبخانة أصبحت تضارع وتنازع أكبر كتبخانة في العالم ان لم يكن تفوقت عليها .

على أن كثيرا من المجموعات هي من المخلفات التى أوصى بها أصحابها من قبل مفارقتهم الحياة . عدا ما قدمته الحكومات المختلفة . من المؤلفات العزيزة النادرة الوجود

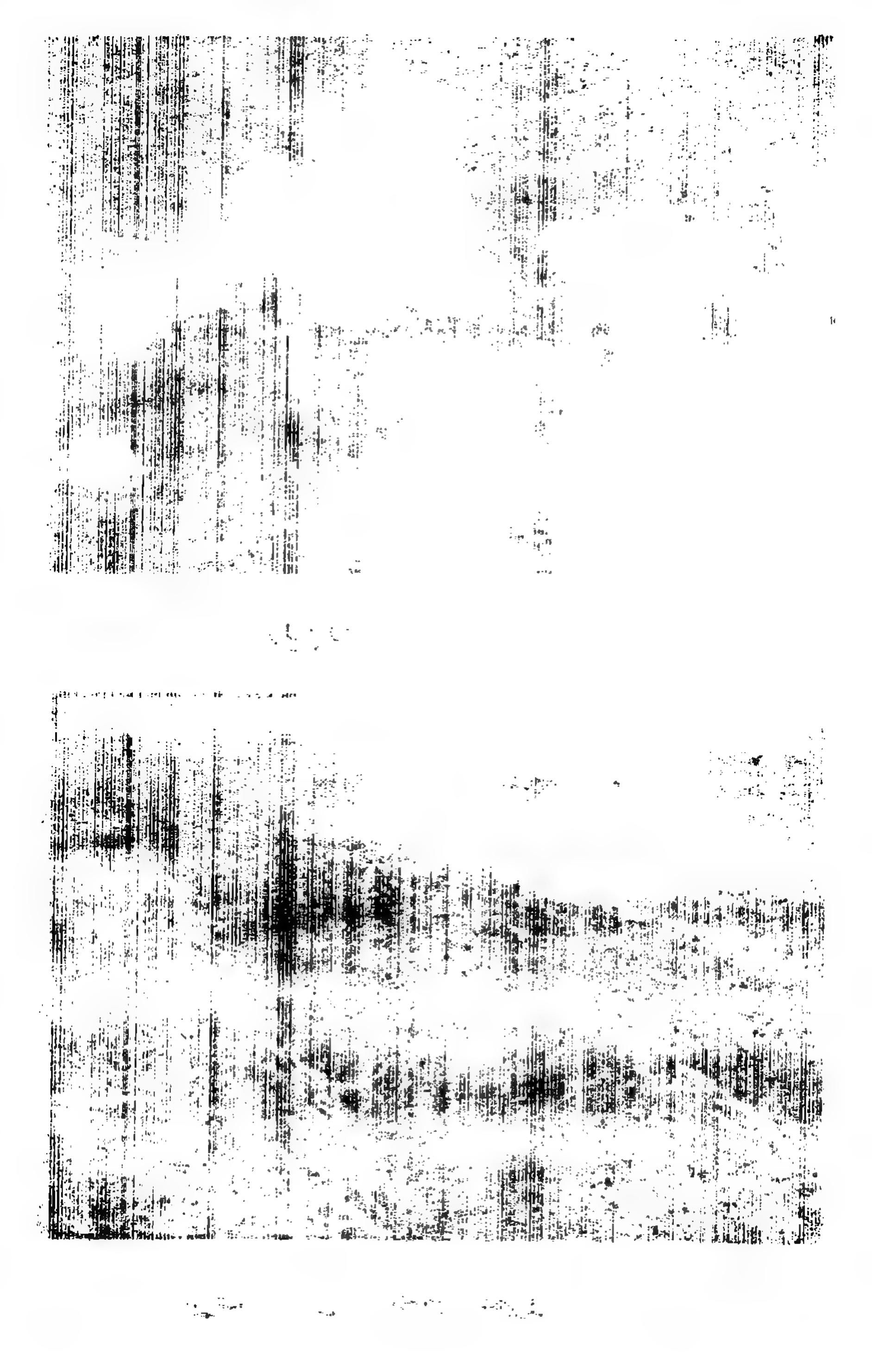
فاللغة العامة المنتشرة في فلسطين هي اللغة العبرية . وكان يخيل في بدء انتشار هذه اللغة وإحيائها أن هذا أمر عسير . ومن

المستحيل تحقيقه بيد أن الشيء الذي كان يبدو وهما وخيالا أصبح أمراً شاخصاً فعالا والعلوم الخاصة بالادب العبري والانشاء العالي والبيان أصبحت في فلسطين مناهل عذبة فياضة يستقي منها العلماء لارواء أوامهم . وأما الصحافة العبرية فقد رفعت هامتها بالاقلام السيالة والمقالات الرنانة والفصول التي يكتبها محررون من أقطاب الثقافة . وقد تطور علما البيان والعروض أيما تطور . وأخذا يسيران جنباً الى جنب مع النهضة العبرية الحديثة.

ولو نظرنا الى تلك المدن من الوجهة الصحية قبل الهجرة لوجدناها في حالة تعافها النفوس الابيـة وتمجها الذوق السليم من حيث المستنقعات ورزاياها . ولسعات البعوض وبلاياها . هـذا البعوض القاتل الحامل في أجوافه جراثيم شتى الامراض . والضارب أطنابه في تلك البلاد . أما اذا افضنا في ذكر الامراض الاخرى القتالة . والحميات المختلفة الفتاكة. كالحمى الصفراوية والملاريا . والسل والحمى المتقطعة والرمد الصديدى وغيرها من الحميات والامراض التي كانت تفتك بالسكان فتكا ذريعاً . وتحصدهم بمنجل الموت حصداً مريعاً . فيقف القلم واجماً واجفاً لا يتحرك لهول تلك الوفيات والوفيات الاخرى الناجمة من الحمى النفاسية التي كانت نساء فلسطين يستهدفن لها أثر ألم المخاض : تلك الحمى الخبيثة التي كانت تقصف

مشروع روتنبرج لتوليد الكهرباء المائية

حرث الأرض واصلاحها بالطرق الفنية الحديثة



غصونهن اليانعة في ريعان الشباب . دون مسعف ولا معين . وانى يأتيهن الاسعاف والوسائل الصحية كانت في ذاك العهد معدومة الأثر . والاطباء والحواضر والممرضات المتعلمات كانوا اندر من الدبان الازرق

نعم قد اسبغ الله على فلسطين نعمة من اكبر النعم التي عرفها الاهلون . نعمة لا ينكرها الا كل مكابر . ومداج . ومموار . وناكر للمعروف . أو سيء النية . نعم اغدق الله عليها نعمة الهجرة التى أحيت تلك الارجاء وأنهضتها . بعد ما كانت عليلة سقيمة يسمع الناس انينها . ولكن أبت الارادة الآلهية أن تتركها تقاسي عذاب الموت . فارسل اليها الطبيب المداوي الذي أخذ يعالجها بالوسائل التى تعد من أعاجيب العصر والزمان . ويلقحها بمصل الحياة ويغذيها بما ينعشها . ويقومها . وينهضها حتي أبلت من دائها القتال ابلالا . فعمد بعد ذلك اليهود . المهاجرون الى انشاء المدارس . والمعاهد والمستشفيات واستقدام الاساتذة والمعلمين . والاطباء والممرضات والقوابل وارباب الفنون والصنائع والمهندسين والرياضيين والكيميائيين . والادباء والصحافيين وتعميم الوسائل الصحية والمناهج العلمية ونشر الآراء الاجتماعية . فارتفع بذلك

مركزها الادبي والاقتصادي ارتفاعاً شاهقاً وزاد غناها وكثر عدد حسادها

فما من أحد يجهل أنه لم يكن لليهود في وقت ابتداء الحرب غير ٤٤ مستعمرة تبلغ مساحتها ٨٧٨٠٠ فدان فأصبح لهم اليوم ١٢٠ مستعمرة تبلغ مساحتها ٢٥٠ الف فدان أو أكبر من عشر الاراضي المنزرعة

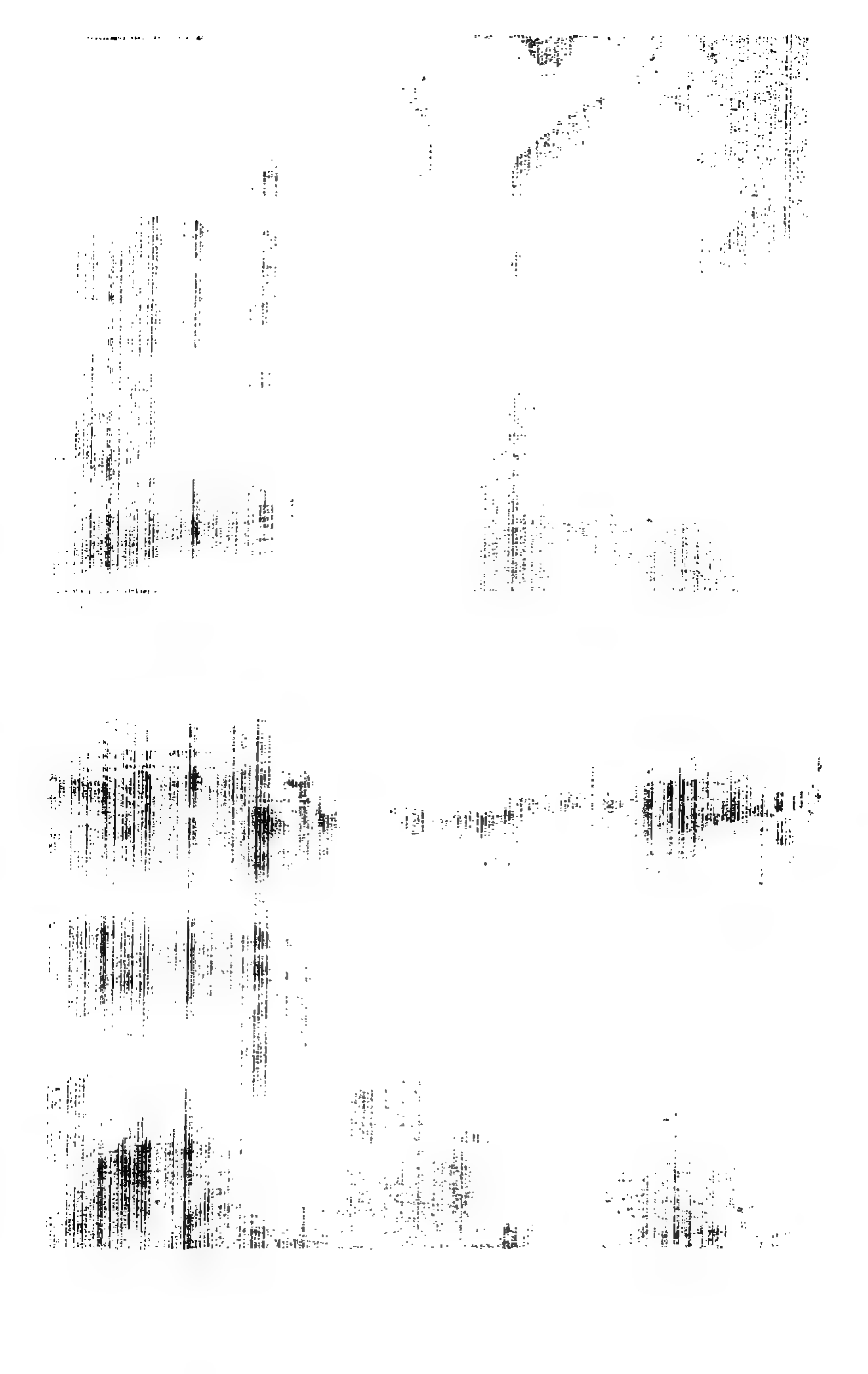
أما المستعمرات القديمة فقامت بأموال البارون دي روتشلد أو الهيئات اليهودية الاستعمارية . أما المستعمرات الحديثة فتقوم على اموال الصهيونيين

وكانت الصناعة قبل الحرب تكاد تكون منعدمة فغدت اليوم في فلسطين مئات المصانع للطوب . والزيت والدقيق والصابون . والاسمنت . والاثاث . والكبريت . والاقمشة . والاحذيه وغيرها من الحاجيات . وقد جففوا مساحات واسعة كانت يوما ما مستنقعات تتصاعد منها الجراثيم التي كانت تفتك بالعباد فتكا ذريعاً . وغرسوا خمسة ملايين شجرة . وزرعوا الوف من أشجار اليوكابتس . والصنوبر . والكروم . والبرتقال

ونجح مشروع روتنبرج نجاحا عظيما وهو مشروع توليد الكهرباء المائية من أعالي نهر الاردن واليرموك . ووصلت الكهرباء لعمان وتل

حديقة مدرسة الأولاد الشرقيين

شارع روتشلد بتل أبيب



أبيب . وحيفا . وطبريا

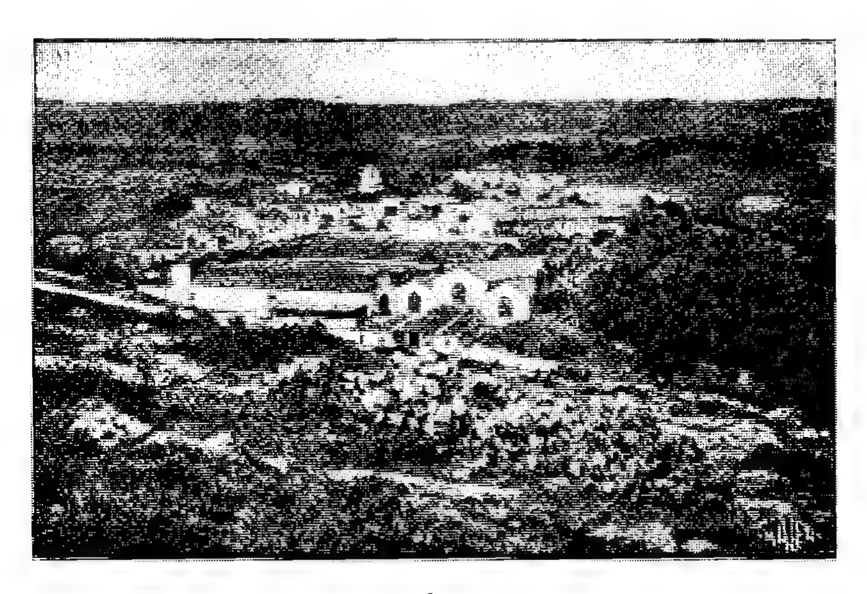
وهكذا أثرت تلك البلاد اثراء عظيما بعد ما كانت تكتنفها الفاقة المريعة . وأيسرت بعد العسر ايساراً . فارتفعت قيمة أراضيها بعد ما كانت قفراء ماحلة جرداء . ينعق فيها البوم . واستحالت بعد ذلك الى حدائق فيحاء . تزيل ما في القلوب من محن ووجوم . يسمع من فوق أدواحها تغاريد البلابل ونغمات الطيور . وحبذا لو كان المنكرون . والمكابرون يعودون الى الحق . ويقدرون تلك الاعمال البديعة التي قام بها اليهود والجهود التي بذلوها من قواهم . والدماء التي استنزفوها من أجسامهم والاموال التي أنفقوها من اقتصادهم . والابتكارات التي أخرجوها من أذهانهم حق قدرها . وهي أعمال خليقة . وأيم الحق بان توضع في مصاف المعجزات . وجديرة بأن تعد من أعظم المفاخر التي تترنح لها الانسانية اعجاباً وافتخاراً في هذا العصر . عصر الغرائب والعجائب

وانا نأتي فيما يلي على بعض الارقام التي تبين صادرات فلسطين ووارداتها في بعض السنوات والتقدير بالجنيه

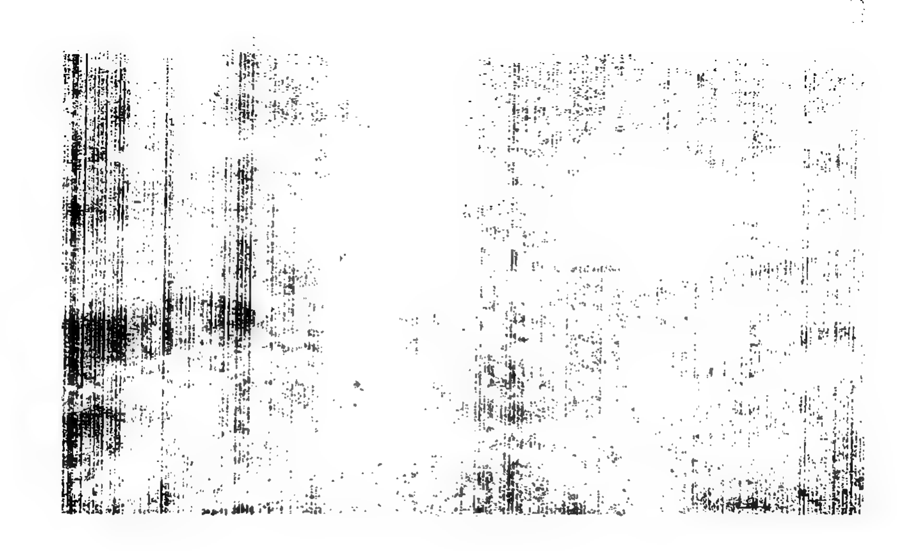
الصادرات والواردات

في مدى ست سنوات

السنة	الصادرات	الواردات
١٩٢٢	١٠٧٠١٧١	٥٤٧١٦٦٧
١٩٢٣	١١٤١٢٤٣	٤٨٢٥١٨٥
١٩٢٤	١٢٠٠٨١٢	٥٢٦٦٣٩٤
١٩٢٥	١٢٩٧٥٥٩	٧٣٣٨٤٩١
١٩٢٦	١٣٠٨٣٤٣	٦٥٩٤٠٩٨
١٩٢٧	١٨٩٩٧٥٩	٦١٨٤٤٥٤



حقل الكروم
والأفنية لحفظ عصير العنب



ميناء حيفا . وموقعها الجغرافى

افتتحت الحكومة الفلسطينية هذا المرفأ في يوم ٣١ اكتوبر سنة ١٩٣٣ وقد تمخضت هذه الفكرة في ذهن بريطانيا من عهد احتلالها تلك البلاد . ففي سنة ١٩٢٢ عهدت الى السير فريدريك بالمر في درس المشروع الخاص ببنائها . فقبل بما وكل اليه . وشرع في القيام به . فأخذ يجوب شواطيء فلسطين من أقصاها الى أقصاها حتى وقف على دقائقها وأوصافها. وفي شهر يونيو سنة ١٩٢٣ قدم تقريراً مستفيضاً تناول جميع مباحثه وتنقيبه . ولكنه ظل هاجعاً في مرقده سبع سنوات كاملة . وما لبث أن استيقظ من تلك الهجعة الطويلة حتى هبت حيفا . وكلها حماسة ونشاط فباشرت أعمالها الجدية التي كانت في طليعتها عمليات المساحة . ثم أعقبتها بالتصميمات البنائية . وكان البدء بها في شهر ابريل سنة ١٩٢٩ والانتهاء منها في شهر أغسطس سنة ١٩٣٣ وقد بلغ ما أنفق على تلك المباني وملحقاتها ١٫٢٥٠٫٠٠٠ جنيه انكليزي

عرفنا الآن فكرة انشائها . فلا بأس من أن نسرد بعض تفاصيل تتناول أوصافها . وموقعها الجغرافي . والثمرة التي تجنيها

فلسطين من حركة نشاطها

لا يفوتنكم أن مدينة حيفا قائمة في المنطقة الجنوبية من خليج عكا . وكان جبل الكرمل قبل مخاضها بهذا الوليد . قائماً بحراسة الحوض الذي كانت ترسو السفن فيه . باسطاً حمايته من المنطقة الجنوبية . الى المنطقة الجنوبية الغربية . بحيث أنه إذا امتد النظر الى الطرف الغربي من هذا الجبل . يراه مرتفعاً ارتفاعا سريعاً . يناهز الف قدم . ويرى المدينة . والسكة الحديدية . والرصيف كلها واقعة في السفح الشمالي من الجبل الذي يميل نحو المرفأ ميلا طفيفاً . ثم يرى الصخور الواقية ممتدة في الصف الأول على طول ميل ونصف ميل . ثم تعقبها صخور أخرى وضعت خصيصاً لمد طول الرصيف القديم . ووقاية مروره . فالجزء الأكبر من الحوض يبلغ عمقه ٣٧ قدما والجزء الأصغر ٣١ قدما . وقد وضع بهذا الترتيب الهندسي الدقيق لكي يتسنى للسفن التي تبلغ حمولتها ٣٠,٠٠٠ طن أن تأوي اليه بدون مشقة ولا عناء .

وأما مخازن البترول فانها تستطيع توزيعه بواسطة الانابيب الممتدة من بلاد العراق . وقد قدر كفاءة نشاط هذه الأنابيب باثنين مليون طن

أبان المندوب السامي الذي رأس تلك الحفلة أن انكلترا

أخذت على عهدتها الانتداب في فلسطين من خمس عشرة سنة . وما انفكت قائمة به بروح النزاهة والعدل . تقسط بين العرب واليهود والمسيحيين لا تفضل فريقاً منهم على الآخر . ولا تغبن أحداً منهم لمصلحة الآخر . ولا سيما بين العرب واليهود فانها جعلتهما متعادلتين في كفتي ميزان . والانتداب يحتم عليها المساعدة على إنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين كما يحتم عليها احترام حقوق الاهلين غير الاسرائيليين. فأمامها الآن اصلاحات عظيمة لا مندوحة من إدخالها . ولكن سلطة القانون واستتباب الأمن يجب أن يسودا كل شيء ويهمنا على كل شيء

لهذا ليس من الغرابة في شيء أن نرى هذا المرفأ سيكون له شأن عظيم في الملاحة الدولية . وقد استنفدت الصحف اليهودية في فلسطين مداد المحابر في الافاضة . في وصف مميزاته وفوائده . والحركة التجارية . والاقتصادية التي هو قطبها ومحورها . وفيما سيعود على فلسطين من المزايا التي تعمها والخيرات التي تغمرها

دارت الحقب دورتها القاسية . وقضى الله سبحانه وتعالى أن يحقق في النهاية أماني النبي موسى . ودزرائيلي . وموتتوفيوري . وهرزل وغيرهم فلعمر الحق أن هؤلاء الأقطاب قد أوجدهم الخالق ليكونوا نبراساً ساطعاً تهتدي اليهودية بنوره . ولأن تبأ

للزمان العاتي وسحقاً له . فقد أفرغ في أعناقهم جعبة خياناته تعساً لهذا الدهر الذي أخنى عليهم . وأذرى بهم قبل أن ينالوا بغيتهم . وهم في الحياة يقظون فشاء الله أن تتحقق أمنيتهم وهم في دار الخلود وفي أعماق الأبدية هاجعون

هنيئاً لتلك القبور التي ضمت في أحشائها تلك العظام الخالدة التي ترفرف أرواحها حول مضاجعها . وظلت تلك الأرواح وفية دائبة في السهر عليها ترقب انهاضها من كراها الطويل وسباتها العميق

وكأنما يخيل الى أن كل من زار تلك القباب ولحودها : واخترق ببصره أعماقها وبطونها . وسمع ما ينطق في أجوافها لرأى تلك العظام قد اشتبكت بعروقها فتحركت . وسمع كل ذرة من ذراتها التحمت مع بعضها فتكلمت . ونطقت باسم الواحد الصمد ترتل صلواة الشكر ترتيلا . وتسبح خالقها تسبيحاً . وتبتهل اليه أن يمهد لهذا الشعب سبيل التوفيق والوئام والتصافي بينه وبين العرب والمسيحيين ليتعاطفوا ويتآزروا . ويسيروا جنباً الى جنب حتى يلجوا محجة الهدى والصواب . أجل أن هذا التآلف وهذا التساند يكونان بلا ريب من الوسائل الرشيدة والمناهج القويمة . للسير الى الأمام سيراً مضطرداً . والاشتراك في العمل اشتراكاً نزيهاً رشيداً صالحاً يكون بمأمن من الوقوع في فخاخ الدسائس

وشراك المكايد . ويقترن بتبادل حسن الثقة وتماقد الأيدي على التعاون . وتقارض شد الأزر . وطرح المزاعم الباطلة . تلك المزاعم التي يعافها الدين . وتمجها الحضارة . تلك المزاعم التي يزكونها هؤلاء المخاتلون النمامون المنطوية جوانحهم على الحفائظ والاضغان الذين دأبهم دواماً القضاء على نشاط اليهود . والتشهير بهم والطعن عليهم . ونشوب الاضطرابات وشبوب الفتن . وإيقاد نار الثورات

وتوجد أسباب وجيهة تحمل على الاعتقاد أن التشاحن والتطاحن كانا السبب الأكبر في إبطاء تقدم فلسطين . ولا يلقى القوم إلا حظاً مشؤوماً وجداً عاثراً اذا ظلت الفتنة قائمة . والبلاد هدفاً لويلاتها وأضرارها

واني لأقسم لئن تمسك المسلمون واليهود والمسيحيون بهذه المباديء السامية.ووعوا مغزاها وفقهوا مرماها ليكونوا في الحياة من أسعد الناس حظاً وفي المجتمع من أسمى القوم مكاناً

لم يعد خافياً أن الاضطرابات التي يضرمها أولو الأغراض ويورون اوارها ليس من شأنها أن تجدي أهل فلسطين على اختلاف نحلهم نفعاً . وأن تعود عليهم بطائل. فالشرق مثل الغرب له فضائل وحسنات . وشرور . وسيئات بيد أن الغرب حجب أفق الشرق طيلة الف سنة . فأمست فلسطين متخبطة معه في مهاوي الانحطاط

أما اليوم وقد انضوى، ذلك الحجاب . وتغلغلت فيها المؤثرات العلمية . والاجتماعية الواردة من كل صوب أبعد متغلغل . وهبت ريح الحياة ثانية بوفود هؤلاء الأقوام وأخذت تستيقظ وتنهض فلا مندوحة لهذه الأمزجة من التطور تطوراً لا يتنافى وروح العصر والبيئة . وذلك بالضرورة لما هو حادث من الطوارىء ذات الفواعل والعوامل والمؤثرات .

ولما كانت الطبقات الراقية المتنورة من المسلمين والمسيحيين على اعتقاد حسن في الأعمال والغايات . وكانوا يقدرون ما لذلك من الشأن والقيمة حق قدره . ، يرغبون في التصافي . والتصافح موجهين ارادتهم نحو غاية الاصلاح الاجتماعي والاقتصادي فلا شك في أنهم ينهجون مناهج الارتقاء والتقدم ويعملون على تكوين عصبة واحدة تكون متماسكة الاطراف . مشدودة الأركان لكي تتمتع البلاد بمزايا النظم السياسية الحديثة . كالمجالس النيابية والاستزادة من السلطة التنفيذية . والاشتراك في وضع قوانين البلاد . وتوسيع مجال الأعمال حتى يتسنى لهم القيام بالخدم المدنية وغيرها . وبالاجمال ليسهل لهم الاضطلاع بالاصلاح اللازم في أفق الحياة الفلسطينية على المناهج القويمة ليكون من وراء ذلك . جميع النعيم والخير للعباد . والعز والسعادة للبلاد

العرب واليهود
وضرورة تبادل حسن الثقة

اختلفت أراء المفكرين وتضاربت. وأفاضت قرائح الاجتماعيين والاقتصاديين وتناقضت . وحار ذوو الحجى في إيجاد ما يرشدهم الى كشف الغوامض التي تكتنف مسألة فلسطين . وإظهار مكنوناتها والوصول الي معرفة ما اذا كانت الهجرة اليهودية جلبت الرخاء والسؤدد الى تلك البلاد . أم هي على نقيض ذلك فاذا كان الجواب إيجابياً . فهل يظل هذا الرخاء سائداً اذا استمرت تلك الهجرة في سيرها سيرا متواصلا

هذان مذهبان اختلف الخبراء في تأويل أحاجيهما اختلافا ظاهراً . وذهبوا في تفسيرهما مذاهب شتى . فمنهم من نبذ هذا وأنكره . ودعم نظريته بأن البلاد قد أشبعت أيما اشباع . وغصت بالعرب والمهاجرين . فطفحت وامتلأت أحشاؤها فتخمت . ومنهم من حبذ ذلك وأقره . وقال ان فلسطين لا تزال واسعة الارجاء شاسعة الفضاء . فيها أراض قاحلة جرداء . فاذا أتيح للعامل اصلاحها

وحرثها وزرعها . أصبحت وافرة الزرع . عظيمة الإنتاج

فكل ناقد خبير . وممحص قدير . نزيه عن الغرض . بعيد عن المحاباة . أقام في فلسطين ردحا من الزمن . لا ينتسب الى اليهود ولا ينتمي الى العرب . لا يسعه الا أن يؤيد نظرية هؤلاء الاخيرين تأييداً منطقيا ثابتا ـ لاسيما وأن أراضي فلسطين لم يكن لها ماتقول كلمتها الاخيرة التي ستكون فصل الخطاب . فاذا نظرنا الى ما قام به اليهود من الاعمال التي تكاد تعد من أعمال السحر والاعاجيب وما بذلوه من الجهود الجبارة التي فاقت حدود ادراك البشر في تلك الصحارى العاتية القاحلة حكمنا بان الهجرة اليهودية كانت سبباً لأبلال فلسطين من تلك الادواء المزمنة الاليمة التي كانت تنخر عظمها . وكادت تقضي عليها . وأنه كلما تدفقت الهجرة على فلسطين . كلما زادت الايدي العاملة النشيطة فيها . وارتفع مستواها الادبي والاقتصادي والاجتماعي الذي سيجعلها من أرقى البلدان ترتع في بحبوحة العز والرفاهية

ولكي يستجلي الانسان تلك الحقائق ويقيم لها وزنا يستسيغه العقل ويقبله المنطق والصواب فما عليه إلا ان يعبر نهر الاردن ويسرح الطرف في تلك الصحارى الجرداء التي ضربت الفاقة فيها اطنابها ثم يطوي فيافيها . ويجوب قفارها حتى يصل الى حاضرتها

مدينة عمان . فهناك يقف أمام حجة دامغة مفحمة وهي جمود العمل الناتج من عدم النشاط . وضآلة اليد العاملة . ونضوب موارد الثروات في حين انه اذا زادت تلك الأيدي . وتزودت بالمال اللازم وتسلحت بالآلات الزراعية الحديثة . وقام أصحاب الأرض بالعمل الصالح الذي تسوده قوة الارادة والمثابرة . والسير به على مناهج زراعية فنية . فلا غرو إذ ذاك اذا تدفقت خيراتها تدفقاً غزيراً . واتسعت مرافق الحياة اتساعاً عظيما . ولا بدع أيضاً اذا أضحى أهلوها في رغد من العيش رافلين في حلل العز والسعادة

لا جدال في أن أراضي فلسطين كانت أسوأ حالا . وأشد بؤساً . وأكثر انحطاطاً . وأعظم عقما وأشد إجدابا قبل ان تغمرها تلك الهجرة . فقد بذل هؤلاء اللاجئون اليها دماؤهم . وأنفقوا اموالهم . وكل عزيز لديهم في مضاعفة خصبتها . وتحسين معدنها . وانماء أثمارها حتى وصلت الى هذا الازدهار البديع الباهر الذي يضارع أعظم مزارع الغرب وبساتينه

هنا سؤال يصعب الاجابة عليه . هل تنوى الحكومة الفلسطينية ان تضع حداً لهذه الهجرة لاتتخطاه . فاذا كان الجواب في هذا الصدد سلبياً فما هو الحد الأقصى الذي تخطه لها . فالحكم هنا سيكون مبتسراً . ومبنياً على الحدث والتخمين . ولا سيما ان

هذا الأمر موقوف على ظروف الأحوال . ومجرى الحوادث . وتطورات الزمان . غير ان العقيدة الثابته الراسخة في اذهان العرب هي سيادة الحكم . فانهم ليسوا بمشفقين من الهجرة . وليسوا بجازعين من اختلاف أشكالها وضروبها . فهم لا يحفلون بشيء من هذا ولا يكترثون له بل هم مشفقون من قوة نشاط الحركة التى تبديها تلك الهجرة . قلقون من ان يتغلب هذا النشاط على السيادة التى يتمتعون بها من سالف العصور تمتع الأسياد من اصحاب الاقطاعات فى الزمن التالد . بيد ان هذه المخاوف خيالية وقتيه . وهواجس وهمية قامت في مخيلتهم . إذ بين المخاوف وبين الحقيقة هوة سحيقة لا يدرك مداها . اوليس ادل على صحة ما قدمناه من الرجوع الى الاحصاءات الرسميه . فنحن اذا روينا قليلا وجدنا ان عدد اليهود يكاد يبلغ مائتى الف نسمه اما العرب فقد بلغ عددهم ثمانمائة الف نسمه ان لم يكن اكثر . فاذن مهما تدفق سيل الهجرة على فلسطين فمن المحال ان هذا السيل يجرف الأغلبيه . ويؤدي الى جعل الأقليه اغلبيه . ولا سيما اذا نظرنا الى كثرة النسل لدى العرب . وهذا الاخلاف الهائل الذي ليس له مثيل في العالم برمته

فهذا التقدم السريع . والنشاط العملي العظيم في الشؤون

التجارية . والوجوه الاقتصادية . والاعمال الزراعية.والابتكارات الفكرية . وفي كل مناحي الأعمال . جعل هؤلاء الاقوام يخشون عقباه ويشفقون من نتائجه ولم يدر في خلدهم انه اذا كان بلفور ابتكر فكرة الوطن القومي اليهودي . فهذا ليس معناه مملكة يهودية . كما كانت غايات الرجل العظيم هرزل ومراميه فالمملكة اليهودية شيء . والوطن القومي اليهودى شيء آخر. فقد توطد في نفسية العرب ان اليهود ما انفكوا معتصمين بأهداب ما رسمه هرزل وان هذه الغاية هي مثلهم الاعلى . ومقصدهم الاسمى وكأنما هذه الفكرة قد تغلغلت في لحمهم ودمهم وعروقهم وفي اعماق قلوبهم . بيد ان الامر ليس كما يتكهنون. فهم واقفون الآن ازاء مسألة تجلت فيها حاساتهم بأجلى مظاهرها . هي مسألة السيادة والحكم التي لا تتصادم فيها المصالح المادية بل تنفعل فيها العصبية القومية انفعالا مخيفاً بالرغم من مزاعم الماديين . ولم تكن العواطف والوجدانيات في كل زمان ومكان محركات شديدة للشهوات والاهواء فحسب بل كانت كالبراكين تقذف حممها على الامم والشعوب وتدفعهم الى التطاحن والتناحر.فلم تكن انفجارات في السياسة العالمية الا وهي مصدرها.ولم تأت نكبة من نكبات الحروب الا كانت مثيرة غبارها . فهى عواطف وجدانية نفسانية بسيكولوجية لها

خطورتها وانفعالاتها . اذ ليس بمستور بعد أن ما يكون في الانسان من الاستعداد النفساني الفطري انما هو ما يتحدر اليه بالوراثة من آبائه وأجداده . وينقل اليه من متواصل الارحام . وتسلسل الانساب . ولا مذكور أمر للبيئه مهما كانت فواعلها شديدة . فالانسان هو ابن الوراثة ذلك الواقع لا مراء فيه . لا ابن البيئة ولا ابن الوسط الذي ينشأ فيه . فهذا المزاج المعنوي الذي عند العرب . والعاطفه النبيلة المتأصلة في نفوسهم يدرك اليهود سموهما وإباءهما كل الادراك ويسرفون في الحرص على مكانتهما العزيزة كل الاسراف

الغازي مصطفى باشا كمال

واليهود في تركيا

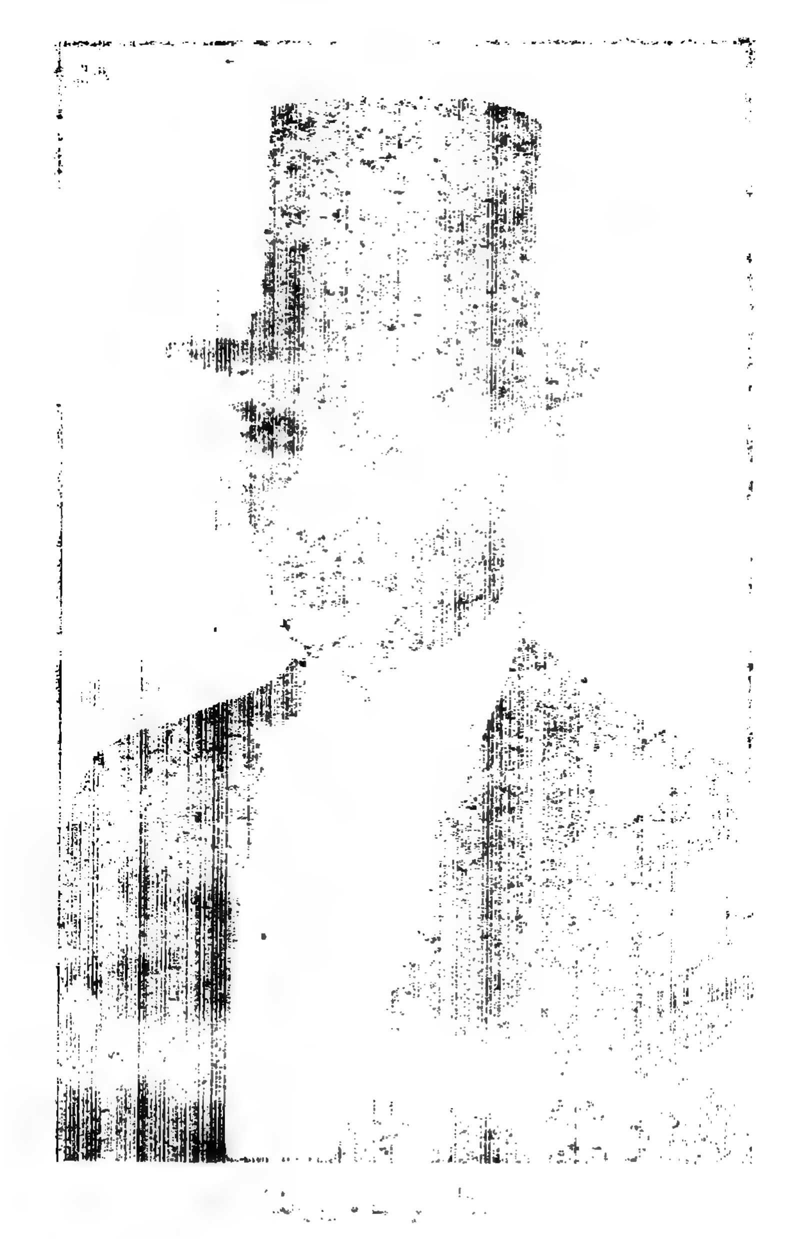
ولقد عاش اليهود في تركيا حقبا عديدة من الدهر منذ مجالس التفتيش في اسبانيا حتى الآن وغالوا في المحافظة على عواطف الاتراك ومنزلتهم كل المغالاة . فأخذت أواصر الأخاء والالفة بينهم وبين اخوانهم المسلمين تزداد وثوقاً . وها أنه قد تجلى بعض مظاهرها في هذه الايام العصيبة حيث أظهر نابغة تركيا . وبطلها العظيم الغازى مصطفى باشا كمال شيئا غير قليل من النخوة . والمروءة . وسمو العواطف . وسعة الصدر نحو البعض من علماء اليهود الذين نبذتهم المانيا . وفتح لهم باب تركيا . على مصراعيه واستقبلهم بكل ما جمله الله من حسن الكياسة . ونبل الغرائز التي اشتهرت بالرفق واللين . والعطف الانساني . واستعان بهم هذا المصلح الكبير لتنظيم الجامعة التركية على الاساليب العلمية العصرية . وقبل مشروع العالم الشهير فيليب سوارتس الذى يرمي الى انشاء معقل عظيم للعلوم فيها واستدعي ماينيف عن اربعين أستاذا من هؤلاء اليهود

لتوسيع نطاق أقسام تلك الجامعة من بينهم الاقتصادى ذو الشهرة الجوابة الاستاذ « ريك » الذي كان له مكانة عظيمة في كلية ماربورج . والشائع الآن في الدوائر السياسية العالية بامريكا . وانكلترا . وفرنسا أن الكوارث التي حاقت باليهود في المانيا هزت جوارح ذلك المقدام الكبير مصطفى باشا كمال النبيلة عطفا وحنانا نحوهم وأرجت اليه بالسماح لعدد كثير منهم بالدخول في تركيا والانتشار في جميع أنحائها

على أن هذا القدر العظيم من المكارم التي أبداها نحو اليهود كان غريزيا في نفس مصطفى باشا كمال الطامحة دواما الى الاستزادة من السمو والرفعة . ولانسهب في ما قام به هذا المصلح الذي قلما أن يأتي الزمان بمثله . من عظيم الاعمال . بل نكتفي بالتلميح الى ما كان بينه وبين صاحب الفضيلة حاخام مصر الاكبر الحالي حاييم ناحوم أفندي عند ما تعين في الاستانة بأغلبية مطلقة واحلاله محل الحاخام الاكبر موشيه هلليمي الذي مات شهيد جهاده وتفانيه في سبيل خدمة أمته وأبناء جنسه



الغازی مصطفی باشا کمال



صاحب الفضيلة

حاخام مصر الاكبر حاييم ناحوم أفندي

وعلاقاته الدولية والسياسية

من غريب الاتفاق أن انتخاب ناحوم أفندي كان حدوثه في وقت هبوط العاصفة العنيفة التي اضطربت لها أعصاب تركيا. وهزت أركان النظم التي كانت سائدة فيها هزاً أفضى الى خلع السلطان عبد الحميد وإنزاله عن عرشه. وادخال تركيا في دور انتقال فجائي قلب الاحوال رأساً على عقب. الامر الذى دفع اليهود الى تنصيب رئيس ديني. متشبع بالمبادىء والنظريات الحديثة العهد. يجري في أعماله على أساليب لا تتنافي مع ذلك التحول والانتقال. بل تلائم مقتضيات هذا الاصلاح حسب مجرى التطور والارتقاء

كان في طلائع اعمال ناحوم افندي الجليلة ريثما تبوأ السلطة الروحية انه جاهد مع المسيو ستراوس ومرجانتو سفيري الولايات المتحدة جهاد الابطال في القضاء على الجواز الاحمر الذي وضع خصيصا لتحديد المهاجرة في تركيا فكانت نتيجة ما أظهره من

الترفع عن التعصب . ومن صدق العاطفة الوطنية . وعدم الانقياد الى هوى النفس أن سمت مكانته وارتفعت منزلته في أعين مصطفى باشا كمال . والوزراء وغيرهم من ذوي الحل والعقد . وأخذت جميع أعماله تكلل بالنجاح والفوز . ومنها الحصول على الترخيص باتمام مباني المهندسخانة الاسرائيلية بمدينة حيفا ورفع القيود التى كانت عقبة كأداء في سبيل المعاملات المتعلقة بالشؤون العقارية بين الاسرائيلين والاجانب . ثم أوفدته الحكومة التركية لما لها من الثقة الغالية به عقب عقد الهدنة الى مدينة الهاي للقيام بتمثيل تركيا فيها . وقد ناطت به معالجة القضية التركية ليتولى الدفاع عن مصالحها الحيوية . ولما كانت هذه المسألة الخطيرة تستدعي قسطا كبيرا من العناية . ومدة غير وجيزة من الزمان لتوجيه كل جهوده نحوها . استقال من منصبه . ومكث في مدينة الهاي أكثر من اثنى عشر شهرا أفرغ فيها ما كان في جعبة قريحته من حذق ومهارة . وروية . واقناع للوصول الى تضييق هوة الخلاف . والتشاد . ووقاية تركيا . وحفظها من الوقوع بين مخالب الحلفاء . وكان من جراء ذلك أن أزال سوء التفاهم . ومهد الطريق لتسهيل المفاوضات التى قامت عليها دعائم السلام . ثم غادر هذه المدينة . وقدم باريس حيث وكلت اليه سفارة تركيا تمثيل الحكومة التركية في مؤتمر لوزان .

وجري بينه وبين المسيو بوانكاريه رئيس الجمهورية الفرنسية أحاديث شتى . وتعرف بالرجلين العظيمين المسيو بين ليفيه والمسيو بريان

ولئن صحت عزيمة تركيا بعد انجازه هذه المهمة على تعيينه وزيرا مفوضا في واشنطون . وكان على وشك السفر اليها لاستلام مقاليد الامور . الا أنه تنازل عن هذا المنصب السامي لقضاء بعض شؤون مهمة تتعلق بنقابة الاستعمار الاسرائيلية في انقرة

آب هذا السياسي المحنك . والخطيب المصقع الى الاستانة . وما كاد يطيء قدمه هذه الحاضرة الكريمة حتى توافد الناس على جانبي الطريق . وغصت الشوارع بالاهالي . فاخترق الطريق بين الهتاف والتصفيق ونشرت صحف تركيا المقال تلو المقال وطفقت تصف مناقبه ومآثره . وتطنب في مدحه ايما أطناب . وتسجل له الثناء على تفانيه في سبيل نهضة تركيا . وقد لقبوه عهدئذ « بمنقذ الجنسية التركية » . ولما كان هذا الجهاد عظيما والعناء الذي تحمله في سبيل هذا العمل شديداً كان طبيعياً أن تجنح نفسه الى الراحة لاستجماع شتات قواه . ولكن ارادة المولى تعالت على كل شيء . وسادت كل شيء . فقد أبى الله سبحانه وتعالى الا أن يتسنم زعامة السلطة الروحية الاسرائيلية في مصر . فترك ميدان السياسة بعد ما خاض

غمارها زمنا طويلا . وآثر العودة الى الحياة الروحية المفعمة بالتقوى والايمان . وقبل هذه الرياسة لابحث عن أقوم المناهج . وأفضل الذرائع التي تنهض بالطائفة الى الرقي المنشود

عطف هذا الحبر الفهامة على مصر . ولبي نداءها فأغاثها وحقق . رجاءها . وبلغها مأربها ومنتهاها

جمع هذا العالم بين العلم والعمل . فلا تجد ما يساوي فضله . وبلاغته . وخطابته . وثاقب فكره وقوة ملكته . سوى علو مبدئه . وبعد همته . وسعة اطلاعه . فهو أحد الذين قلما جاد بهم الدهر . وهو واسطة عقد المصلحين المجددين في هذا العصر . وقد أكسبته معارفه وسعة رويته مقاماً رفيعاً في مستوى أعاظم رجال الحكومة المصرية على تعدد نزعاتهم واتصالا وثيقاً بالوزراء ورؤساء الاديان وأرباب المناصب العالية على اختلاف نحلهم . ونال حظوة عظيمة في أعين مليكها العزيز المحبوب

مولده ونشأته

ولد الحاخام ناحوم افندي في قرية مغنيسيا بالقرب من أزمير في آسيا الصغرى سنة ١٨٧٥ . وقد أنجبت الانسانية هذا المولود ليكون مشكاة تهتدي الامة الاسرائيلية بهديه . وتسترشد بارشاده وكان مندفعاً الى العلم اندفاعا فطرياً . فأكب عليه ارضاء لنزعاته الغريزية . ولايجاد صلة بين العلم والدين سعيا لتطهير الضمائر من ادران المعاصي والموبقات . والسرائر من اثام الشطط والسفسطات

ولعل العامل الاكبر الذي حدا به الى ولوج هذا الباب شدة ولعه باقتباس حقائق التوراة وكشف القناع عن مكنوناتها فانتظم في سلك الحاخامين الذين يتلقون دروسهم في الجامعة المعدة خصيصاً لذلك . وهي البيئة التي تكمل فيها التربية اللاهوتية العاليه على أصح القواعد وأقوم المناهج تأهيلا للطالب الى الخوض في مجاهل التلمود وتمكيناً من العثور على مكامن التوراة وخباياها . وإبراز كنوزها وحل رموزها . وقد ظل في تلك الجامعة حتى احرز قصب السبق ونال القدح المعلى

بيد أن جذوة العلم كانت تزداد فيه تسعراً واضطراما كلما

كان يزداد توغلا فيها وانكبابا عليها

دأب في هذا العمل بهمة لايعتورها كلال ولا ملال لم يتوان لحظة واحدة في أداء ما فرض عليه . بل ما فتيء مستطردا هذا الكفاح العلمي مدة تنيف على خمس سنوات تجلى فيها ذكاؤه ونبوغه . وأربت نتائج جهوده على جميع أقرانه فانتخب استاذا في مدرسة الحاخامين في الاستانة وقد تولى فيها درس التلمود وآداب اللغة الفرنسية تحت إشراف مدير المدرسة العالم العلامة ابراهيم دنون

وقد اتفق بعد تبوئه هذا المنصب ان عرضت على بعض كبار المفكرين من اليهود معضلة من المعضلات التي حار أولو النهي في إيجاد حل لها . تضاربت فيها الاراء . واختلفت وجوه النظر في من يكون أهلا لرفع القناع عنها . والتثبت منها . وهي هل العشيرة التي نزحت الي بلاد الحبشة في عهد الملك سليمان لا تزال باقية على قيد الحياة . أو انقرضت سلالتها وانطمست معالمها وهل اذا كانت حية ترزق لا تزال على سالف عهدها متمسكة بتقاليدها القومية . ومبادئها الدينية . أم اندمجت في العناصر الاخرى اذعانا لحكم ناموس الجهاد الطبيعي وتنازع البقاء اندماجا حولها عن تلك التقاليد والمباديء . وما هي الذريعة الفضلى التي تمكنهم من الوصول الى هذه الضالة المنشودة . ومن ذا الذي يجرؤ على هذه المغامرة . ويقدم

على هذا الامر . ودون الوصول اليه موارد الردى . والموت الزؤام فدرست الجمعية اليهوديه هذا الموضوع . ووفته حقه من البحث والتنقيب . فلم تر شخصا اكفأ . واجرأ من هذا الشاب الباسل ناحوم افندي فأولته ثقتها . وعهدت اليه في القيام بتلك المهمة . فلبى دعوتها دون أن يبدي شيئا ينم عن تهيب . أو يدل على احجام . بل كان ما أبداه يشف عن الارتياح والجذل . وعاهد الله والناس على أن يقوم بها خير قيام . غير حافل بالصعاب ولا مكترث للاخطار التي يحتمل أن تكتنفه في سبيله

—()—

الحاخام ناحوم وملك الحبشة

سافر هذا الرجل فريداً . وحيداً لا نصير له يؤازره ولا معين له يشاطره المشقة والم النوى سوى عناية الله . ودعاء اقاربه وذويه وما تزود به من خطابات التوصية الموجهة من الدول العظمى الى وكلائها السياسيين لدى النجاشي ملك الحبشة تمهيداً لطريقه وتحقيقاً لهذه الغاية الشريفة . فقطع مراحل شاسعة حتى القى عصا التسيار في تلك الاقطار النائية . فلما بلغ حاضرة المملكة بادر الى ابلاغ النجاشي الغاية التي جاء لأجلها . والتمس منه أن يتفضل بالسماح له بمقابلة جلالته . فأجاب الملك طلبه . واستدعاه اليه . فلما مثل بين يديه أكرم وفادته . وأحسن استقباله . وقد أدهش النجاشي بطلاقة لسانه ودرر بيانه . وبرهن على قوة جنانه . واقتداره في اللغة الحبشيه . وأخذ يسرد له بالتفصيل آيات من التوراة . وبعض شذرات من علمي التاريخ واللاهوت دلت النجاشي على سعة إطلاعه وطول باعه . وظل يروي ما وقع في عهد الملك سليمان من الحوادث التي كان لها عميق الأثر . واعظم وقع في النفوس حتى افضى به القول الى ذكر ما كان من حسن الاواصر ومتانة العلائق

التي ارتبط بها اليهود والاحباش في ايام حكم ذلك الملك الحكيم والملكة سابا ارتباطاً وثيق العرى . سجله التاريخ . وخلدته آيات التوراة

فلما سمع الملك منه هذه الحقائق التي احيا بذكراها ذلك العهد المجيد التي سطعت فيه شموس العدل وافلت نجوم الطغيان . ذلك العهد الذي كان بنو اسرائيل يرتدون حلل العظمة والمجد . ويتحلون بحلي الحكمة والكمال امر حجابه ان يميطوا الحجاب الذي كان متوارياً خلفه ليجتلي محياهذا العبقري الذي شرح هذه الآيات البينات ولعل هذا الخروج عن العادات القديمة . والتقاليد العتيقة كان حادثا غريبا جذب اليه الأنظار . وأثار عواصف الدهش والاعجاب في جميع الاقطار الحبشية بدليل ما اظهره من العطف الزائد على هذا العالم فانه انعم عليه بوسام من اسمى وسامات الشرف وأدب له مأدبة شائقة جمعت جمهوراً كبيرا من امراء الاسرة المالكه . وأرباب المناصب العالية . وذوي السلطة في البلاط الملكي ووكلاء الدول السياسيين . وقد أجلسه الملك الى يمين الملكة . وهو اسمى شرف قلما ناله انسان في المملكة الحبشية واصدر اوامره الى حكام المقاطعات باحاطته بكل عناية وحفاوة وتزويده بالمعلومات متى طلب اليهم ذلك وعين لخدمته كوكبة من الفرسان ترافقه وتحرسه

في غدواته وروحاته. واستمر الحال على هذا المنوال مدة من الزمان تسنى له في غضونها إنشاء بعض معاهد إسرائيلية اتسع نطاق التعليم فيها. وبلغت شأوا عظيما

وبعد أن انجز هذا العمل قدم تقريراً وافياً عما فعله وأتمه في هذا الصدد نشرته جمعية الاتحاد الاسرائيلية في حينه. وفي غضون ذلك تلقى نبأ برقياً صادرا من الاستانة ينبئه بتعيينه حاخاما اكبر باغلبية مطلقة واحلاله محل الحاخام موشيه هاليمي الذي مات شهيد العلم مجاهدا في سبيل الأمة

نعم قد حدا بنا المقام الى سرد مناقب الحاخام الاكبر ناحوم افندي بسبب علاقته الشريفة بتركيا العزيزة وتفانيه في خدمتها الى إن جاء مصر. وما أقامه من النظام البديع الساحر لاعلاء شأن الطائفة الاسرائيلية فمن حقكم علينا أن نصف مناقب رئيسها الجليل حضرة صاحب السعادة يوسف اصلان قطاوي باشا فرع شجرة المجد الاثيل. وحضرة ابرامينو منشي وكيلها

صاحب السعادة

يوسف أصلان قطاوي باشا

وابراميتو منشى

لم استطع أن أنقل من صفات هذين العظيمين صورة صادقة . أو قريبة من الصدق . واني أعترف بعجزي عنه . لان الاستعداد للشعور أعظم من المقدرة على الوصف . ولان الالفاظ مهما زادت في التعبير فهي بلا مشاحة أضيق نطاقا من العواطف التي تثيرها فى نفوسنا طهارة الافعال ونزاهة الاعمال

هما اثنان . هما الدعامتان الحاملتان أعباء العمل وعنائه . أو قل أنهما المحور الذي تدور عليه حركة الطائفة برمتها . فهو يوسف الذي اهلته كفاءته لان يكون وزيرا في ظل مليكنا العزيز المحبوب ذي الجلالة احمد فؤاد الاول . وأراد حسن الطالع أن يكون خليفاً لجده يوسف الصديق الذي كان وزيرا في مصر في عهد الفراعنة ولكنه تنحى عن هذا المنصب السامي واعتزل عمله فاستنكفت رقة عواطفه استهداف المجد لنفسه وضحى به ارضاء لما كان يحتم عليه الواجب

من ادخال الاصلاح العلمي والأدبي الفعال الذي يرمي الى تقويم اود الطائفة واعوجاجها بعد ما أنشبت المنية أظفارها في شخص المغفور له موسى قطاوي باشا

أما ابرامينو منشي فهو تاجر من أشرف تجار مصر وأنشطهم . خرج بمهارته . وقوة ملكاته . وجرأته في ميدان العمل من طريق المزاولة بالشؤون التجارية وأضحى من أكبر الرجال فضلا واستقامة وكرما وعفافا

مشروعاتهما الاصلاحية والعمرانية

تستطيع أن تبحث لهذين المصلحين عن شعار جدير بهما. خليق باعمالهما. فلا تجد الا شعاراً واحداً مصدره النزاهة. وليس من العسير اقناعك بأنهما خلقا لعمل واحد. فكم يمتاز الجمال الخلقي في المرء وأثر الجمال الاجتماعي فيه. اليس يمتاز بما يظهره في مواقف الحياة الدقيقة من الثبات في الامور. أو ليس بما يبديه من الميل الى التهالك في خدمة الانسانية تهالكا خالصاً بعيداً عن المداجاة والمخاتلة. فأنا زعيم لكم بهذا كله اذا شاهدتم هذين الرجلين. ثم أني كفيل لكم بأنكم لو وفقتم الى الاجتماع بهما مرة واحدة لرأيتم بأعينكم مظاهر لن تنصرف عنها انفسكم. ولو نظرتم الى ما اقاماه من المعاهد والملاجيء والمدارس التي ادخلا فيها الاصلاح العلمي والتهذيبي وتشبعتم من مناظرها لتأثر عقلكم بهذه المؤثرات وشعرتم بلذة لا تحاكيها لذة. ولقد كان من ضرورات قيام الطائفة على انظمتها الحديثة ان يمتد التفكير في المؤسسات التي تمدها بالعناصر الضرورية لارتقائها فانشأت المعاهد والمستشفيات وقد بلغ هذا النظام مبلغاً يباهي به اليهود المصريون وترتفع له رؤوسهم

وشهدت الايام الاخيرة قيام سعادة يوسف قطاوي باشا فاكتمل للاسعاف سياجه . وارتفعت عمدانه واذا كان المغمور له موسى قطاوي باشا اسس هذا النظام فان يوسف قطاوي باشا شيد على هذا الاساس البروج التى تنتقل الطائفة فيها الى ذرى العلى لتستعيد مجدها الدارس

لا يفكر هذا الرجل العظيم في ايثار الانصار على حساب الكفايات المهضومة تلك الكفايات التي تحتقر الترامي على الاقدام والجري وراء الاساليب الملتوية . لم يطلب الرجل الاشراف على الطائفة ولكن الاشراف طلبه . ولم يلتمس الرجل الجاه لنفسه لان نفسه تمرح في رحاب جاه عظيم . لسنا في حاجة لاجهاد الفكر واعنات الذهن للتنقيب في ثنايا كلامه والتفتيش في أطواء أقواله لنستشف ما في طياته من أمور . فأقواله كلها طلية وأموره كلها جلية يعمل في ضوء الشمس وفي وضح النهار . ويكره العمل في الظلام ومن خلف الاستار . رجل العدل تظلل عدالته خصومه ويطرب لفوزه انصاره . انظروا الى مدرسة العباسية ورواء منظرها . وحسن طرازها وفخامة بنائها . و بديع نظامها . وآداب أساتذتها . انظروا الى المستشفى الذى أقيم حديثا تروا ما يدهشكم من بهاء الترتيب . وحسن الذوق وتقسيم الاختصاصات . ويمكنكم ان تعدوه في مصاف أحسن

المستشفيات اتقاناً . وأسرعها اسعافا . وهو قائم في بقعة من أصح البقاع جواً وهواء تكتنفه رياض غناء شاسعة . ومروج فيحاء واسعة . يتضوع منها العبير الذي يحي النفوس السقيمة . ويشفي القلوب العليلة

كنا قبل هذه الاعمال الجليلة نرى مشاهد فاجعة تتصدع لمنظرها القلوب فتثير في النفس الما . ونسمع زفرات تتفتت لها الاكباد فتبعث للنفس حسرة . ولكنها حسرة مفعمة بالمرارة وللقلب شيء غير قليل من الاسى . كنا نسمع انين ذوي العاهات وتأوهات المصابين . ثم كنا نسمع وننظر هذا كله ولكن أبت عواطف هذين الكريمين ان يقفا مكتوفي اليد . فقد امتلأت انفسهما ايمانا بأن اولاد الفقراء . هؤلاء البؤساء الذين نبذتهم الطبيعة كانوا في دياجي الجهل وظلماته . ومرضاهم كانوا في محن . وقد دهتهم الدواهي . ودهمتهم غوائل الحدثان فلم تتقاعس نفسهما الابية عن المبادرة الى اغاثتهم واعانتهم

ثم ان لهذين الرجلين على الطائفة لفضلا عقلياً وعلمياً ومادياً لهما الفضل لانهما انقذا هذه الطائفة وثقفا عقول أبنائها وازالا عنها هذه الغمة التي حجبت عنهم ضوء العلم زمنا طويلا فهذا العمل الجليل سيبقى لهما ذخرا عند الله والله لا يضيع أجر المحسنين

فلنرجع الى مناقب موسى قطاوي باشا وتفانيه في سبيل رقي الطائفة

موسى قطاوي باشا

وسعد سوارس ويوسف بك موصيري

فقدت الطائفة ثلاثة من انجب أولادها ذكاء وأكرمهم خلقاً وأنشطهم عملا هم موسى قطاوي باشا. وسعد سوارس. ويوسف بك موصيري

كان المغفور له موسى قطاوي باشا مفتونا بالانصاف مفطوراً حقاً على العدل جاداً في توطيد دعائم الطائفة تذكرني سجاياه النبيلة ببحث جرى في صدد مدارس الطائفة فقد نشرت في جريدة « لا بورص اجبسيان » بعددها الصادر في ٢١ فبراير سنة ١٩٢٢. مقالا ضافي الذيول أبنت فيه اللزوميات الجوهرية التي تستلزمها مدارسنا من وجهتي الادراك العقلي والفوائد المادية وكنت قد أتيت في جريدة المقطم وغيرها ببعض مباحث أخرى دارت في شأنها تناولت جوهر الموضوع فيما يختص بالاصلاح العلمي والمواد التي يقتضي ادخالها لتقوية ملكة الابتكار والابتداع وتعزيز قوة الاستدلال للوصول الى الحقائق وأدليت بالحجج والبراهين التي



حضرة صاحب السعادة

المرحوم موسى قطاوي باشا



ندعم ما رتأيته من الوجهتين الادبية والاجتماعية ـ اذ لاشيء أدعى الى تحقيق تلك الغاية من المحافظة على حرية الآراء ـ وقد ضمنت ذلك المثال اقتراحاً شفعته بتطبيقه العملي بيد أنه ما لبث ان نشأ اثر ذلك شيء من سوء التفاهم أثار بعض عبارات حملتني على وجوب إيضاحها تهدئة للخواطر واعطاء كل ذي حق حقه

طلب الي موسى باشا قطاوي مقابلته للتفاهم معه في هذا الصدد فارضاء لعواطفه الرقيقة . ونظراً لما كان له عندنا من المنزلة الرفيعة لبيت الدعوة وحظيت منه بشرف المثول حيث أبدى لي بعض ملاحظات دار محورها حول المدارس التي طالما نشب النضال بأزائها . ولما كان الواجب يحتم علي اظهار غثها من ثمينها آثرت ان أعبر عما يخالج ضميري في صدر مقال آخر صرحت فيه بما عن لي من الفكر نظراً لعدم استيفاء الغرض المطلوب من تلك المدارس وانها ليست الضالة التي ننشدها لكونها من المدارس الابتدائية مجردة من القسم التجهيزي الذي يؤهل التلامذة لولوج المعاهد العليا وانها تتعارض مع النهضة العصرية لعدم تنقيح انظمتها لا سيما وان العلوم محصورة فيها ضمن دائرة محدودة لا تتخطى المبادىء السطحية

نعم بلغت تلك المعاهد الآن الغاية التي كنا نتوخاها من حيث التربية المدرسية والاصلاح العلمي وانتقاء المدرسين تحت اشراف

هذا الرجل العظيم ازالـڪنكامولى. فقد برهنت الحوادث على أن لاشيء أدعى الى نجاح المبادىء وتوطيدها من القيام بايضاحها واذاعتها على الوجه الصالح ولا يعزب عن الاذهان اني توخيت في تقرير احكامها كل ما عن لي ذكره من جهة تقاليدنا القومية. ومختلف الاعتبارات الاجتماعية إذ انه من الحقائق البارزة التي لا جدال فيها ان اتحادنا البديع وتقاليدنا القومية غالبت الاجيال زماناً طويلا. وخلدت لنا ذكرا جميداً في بطون التاريخ. واذا كان من المسلم به أن العلوم والمعارف هي من دلائل المدنية ومميزاتها عند الامم القديمة والحديثة وعلى قدر القسط الذي يكون لكل أمة من تلك العلوم والمعارف يكون الحكم على مقدار حضارتها. صح لنا أن نقول ان مدنيتنا من امهات المدنيات التي ظهرت منذ العصور الخوالي بأبهى جمالها الرائع وأبهر ضيائها الساطع

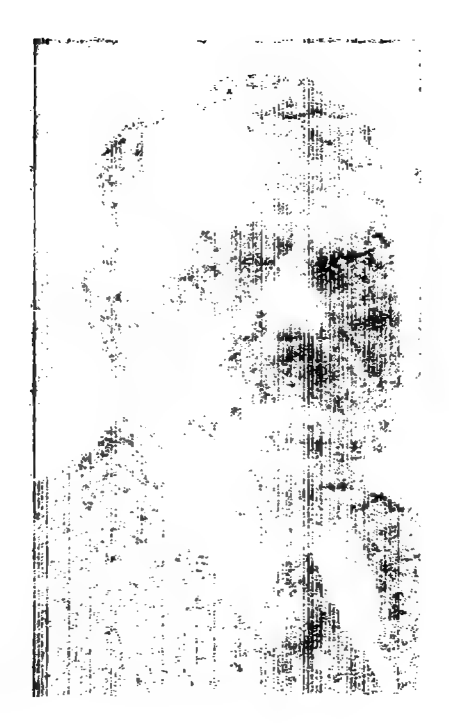
أما المغفور له سعد سوارس فلم نر بداً من التنويه بالموقف المشرب بالعطف الذي وقفه إزاء الطائفة. فقد ساد هذه الطائفة بهذه المزايا الثلاث: العدل. والكرم. والتواضع

كان هذا الرجل يحب المباسطة. ويواسي الفقراء ويمازحهم ويحادثهم أحاديث طلية لا أثر فيها للكلفة. ويعاملهم معاملة الصديق للصديق والند للند وكان هؤلاء الفقراء يحبونه حباً جماً ويتفانون



حضرة صاحب العزة

المرحوم يوسف بك موصيري



في سبيل خدمته

كان سخياً مسرفاً في السخاء وكريماً ممعناً في الكرم. كان كيسه مفتوحاً للمعوذين الذين كانوا يقصدون رحابه على اختلاف عقيدتهم وجنسيتهم يكره المظاهر الكاذبة والابهة الغرارة هذا فضلا عما جادت به عبقريته العظيمة من المشروعات الجليلة الكبرى كانشاء البنك العقاري المصري والشركة العمارية وإصلاح سكة حديد حلوان

وكان صاحب العزة يوسف بك موصيري الذي اغدقت السعادة عليه ألاءها ناسجاً على منوال هذين المصلحين ومثابراً على تأييدهما أينما وجد الى ذلك سبيلا لما كان له من المواهب السامية والفضائل العظيمة

وكان هـذا المصلح ورعاً تقياً متمسكاً بالدين متمكناً محباً لرؤساء الدين والتابعين لهم متقربا لهم وقد نالوا في عهده من التكريم والعناية وحريصاً على الاعتصام بأهداب التقاليد اليهودية فلا يحيد عنها قيد شعره. وكان معظم اصدقائه من الامراء والوزراء وكبار رجال الدولة وتمتاز المآدب التى كانت تؤدب في منزله بالفخامة والرونق والاتقان. ولكن يا لسخرية القدر وغدرات الزمان فقد قلب الدهر له ظهر المجن وأبى إلا ان يعكر صفاء حياته. ويبدل افراحه باتراح ويقضي على حياة ابنه العزيز نسيم الذي تغذى بلبان

العلم وارتضع أفاويق المعارف وتربى في أحضان العز والدلال .
نسيم الذي كان عاقداً على عبقريته كل الامال .. قصف الموت غصنه
الزاهي وهو في ريعان العمر ومقتبل الشباب الأمر الذي ساعد على
هدم صرح آماله وقرب أجل مماته

ليس من شك في أن هؤلاء الرجال كانوا عضداً عظيماً للطائفة
والتلامذة. يقوم كل منهم بعمل خاص من الاعمال الخيرية التي دفعهم
الميل الانساني الى أجرائها لتخفيف ضائقة المحتاجين منهم وتلطيف
وطأة الفاقة عنهم والاشراف على المعاهد وصونها . ثم ضحى هؤلاء
الرجال بقسم كبير من حياتهم بدأبهم في الحرص على سلامة الطائفة
سنوات عديدة حرصاً مقروناً بالنزاهة والحكم الصائب وبمثابرتهم
علي السعي في ترقية انظمتها اينما وجدوا الى ذلك سبيلا

صعدت روحهم الطاهرة الى جوار ربهم ولكن مناقبهم ستبقى
خالدة ما حيينا . رزء شديد وجمنا له وجوماً ومصاب كبير ارتمضنا
له ارتماضاً . أسفنا والاسف ملء قلوبنا لحرمان الطائفة من عطفهم
وحنانهم راجين الله أن ينزلهم منازل الابرار المتقين وأن يحسن الى
روحهم التقية بقدر ما أحسنوا الى الفقراء والمعوزين . ويتولاهم
بمغفرته وواسع رحمته واحسانه ويسكب على جدثهم شآبيب رضوانه
ويسكنهم فسيح جنانه

يهود الاسكندرية

وحاخامهم الاكبر

صاحب الفضيلة دفيد براتو

نشرت طائفة الاسكندرية كنانتها للعثور على رجال يذودون عن حماها ويحمون ذمارها ففازت ببغيتها وانتخبت من رجالها أعرقهم نسبا وأشرفهم حسبا انتخبت هؤلاء الرجال الجاري في عروقهم الدم اليهودي البحت الدم المنحدر من أصلاب أجدادهم الاشراف . انتخبت منهم فرع روضة الفخر النبيل البارون فيلكس دى منشى . انتخبت الرجل العظيم الذائع الصيت ادون جوهر . انتخبت المصلح الكبير جاك اجيون الذي قام بتأسيس مدرسته الفخمة التى ضارعت أشهر مدارس الاسكندرية وأرقاها انتخبت المكافح الشديد يوسف بتشوتو بك الذي تعلم الطائفة مواقفه الجريئة وكفاحه العظيم في سبيل رفع مستواها ورقيها وغيرهم من علية القوم وزهرتهم وقد ألقت مقاليد أمورها الدينيه وأزمة

شؤونها الطائفية في يدمن هو أوسعهم علماً وأغزرهم مادة وأقواهم ايمانا . وأرسخهم عقيدةًوهو صاحب الفضيلةالحاخام الاكبر دافيد براتو المعدود في مصاف العلماء الاعلام لما له من المواهب العقلية العاليةوالسجايا الحكيمة الغالية فضلا عن مقدرته الخطابية السامية وقوة بلاغته في القاء زواجره الادبية والدينية التي أقل ما يوصف بهاأنها آيات خالدة لن يستطيع مر الزمان أن يفنيها

ما من أحد ينكر ما لهذا الخطيب من المواقف الشريفة في النضال . الديني. والادبي. والعلمي وكل أحد يعلم أنه نابغةمن النوابغ الأفذاذ الذين طبق صيتهم الآفاق فقد أدهش الاجتماعات بطلاقة لسانه . وطول باعه ورشاقة الفاظه . فلا يستطيع جهبذ من جهابذة اليهود في الاسكندرية أن يدرك شأوه ولا يبلغ مده فلا غرو اذا استطاع حتما أن يرقي شأن الطائفة الاسرائيلية في هذا الثغر إلى ذروة النجاح والفلاح

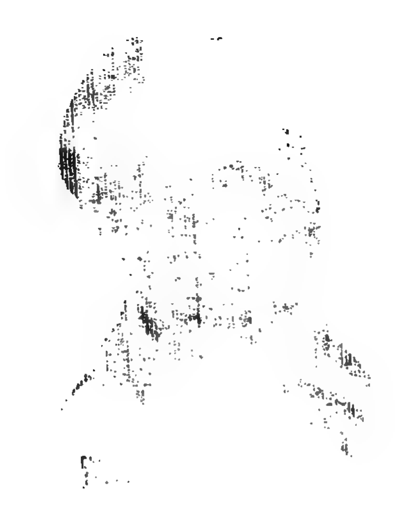
كان هذا الرجل مندفعا الي العلم اندفاعا فطريا فأكب عليه ارضاء لنزعاته الغريزية ولايجاد صلة بين العلم والدين

فليس من الحق في شيء أن يقال ان العلم والدين متفقان . بيد أن هذا الحبر الذي هو أشد إيماناً باليهودية واكثر ولوعا بالعلم يريد التوفيق بين العلم والدين وقد نهج منهجا رشيداً . ووقف موقفا



صاحب الفضيلة حاخام الاسكندرية

الاكبر دافيد براتو



حكيما من هذه الخصومة بين العلم الذي لا يلين قناته لغامز وبين الدين ونصوص التوراة والكتب السماوية فهو محتاج الى الاثنين معاً جامح اليهما متأثر بهما ومتهالك عليهما

كان هؤلاء الاعاظم ولا يزالون يواصلون جهودهم نحو معقل الغاية العليا ويسرفون في الحرص على سلامة مدارسهم ومعاهدهم اسرافا شديداً مقروناً بالنزاهة والحكم الصائب وسرعان ما برزت اعمالهم بروزاً يشف عن عصمتهم من الدنايا ومن أنهم وحدهم يمثلون القوة الادبية التي تحملنا على الاعتقاد بأن مجتمع الاسكندرية سيذلل بواسطتهم ما بقي في هذ الطريق من العقبات بدأبهم في القضاء على العوامل النفسانية اذ ليس أضر من خلاف أساسه الاثرة والانانية وليس ادعى الى تحقيق الاماني من الحرص على حسن السرائر . وصفاء الضمائر اكثر الله من أمثالهم فيما سيأتون به بعد على هداية وسداد والله المسئول أن يسدد خطاهم ويهديهم الى سواء السبيل

****

السعى فى سبيل التصافح بين العرب واليهود

عاش اليهود مع اخوانهم المسلمين في الاندلس قرونا مديدة متآخين متساندين . متعاطفين يشد بعضهم ازر بعض . تسودهم روح السلام والتصافي . وحسن الوئام

وعاش اليهود في مصر ولواء العدل والسلام يخفق فوق رؤوسهم في كنف الاسرة العلوية الشريفة من عهد محمد على الكبير الى عهد مليكنا المعظم الذي جعله الله ملاذاً للانسانية . وذخراً للعرفان هو الملك الجليل الذى رفع هامة مصر . وأعلى شأنها . ورقى بها الى اوج السعادة وذروة المجد صاحب الجلالة احمد فؤاد الاول أمد الله ملكه . وأطال عمره سعيداً . قرير العين بنجله صاحب السمو الملكي الامير فاروق ولى العهد أمير الصعيد .

وعاش اليهود مع اخوانهم العرب في الصحاري والقفار بعيدين عن التجافي والخصام أحقاباً من الزمان

وعاش اليهود مع اخوانهم المسيحيين في فرنسا . وانكلترا .

وأمريكا . وايطاليا . عصوراً من الدهر نالوا في غضونها مكانة رفيعة بين تلك الشعوب في أمان وطمأنينة . لا يتذمر أحد منهم . ولا يتبرم بهم . ولا يعتدى عليهم . وقد آوى اليها في هذه الآونة عدد لا يستهان به من الألمان اللاجئين ويجمل بنا أن نبسط هنا العبارة موجزة تاريخ اليهود في الجزيرة العربية للوقوف على متانة الأواصر التى كانت تربط اليهود بالعرب في تلك الجزيرة عامة وفي الاقاليم العربية بنوع خاص :

****

اليهود في جزيرة العرب

أفاض الدكتور ولفنسن أبو ذئيب استاذ اللغات السامية في هذا المبحث الذي يتصل دائماً باليهود وهو التاريخ الفذ الموسوم بتاريخ اليهود في بلاد العرب قبل الاسلام وأبان ظهوره وهو موضوع في نفسه قيم جليل الخطر بعيد الأثر جداً في التاريخ الادبي والسياسي والديني للامة العربية

ليس من شك في أن المستعمرات اليهودية قد أثرت تأثيراً قويا في الحياة العقلية والادبية للجاهليين من أهل الحجاز أذ لا ينكرون ما كان لليهود من الاثر فى الجزيرة العربية لذلك العهد لاسيما وأن القسم الكبير من سكان الجزيرة كان له من الحوادث السياسية والوقائع الحربية والآثار الاجتماعية ما يستوجب افراده بطائفة من المؤلفات وما من أحد ينكر أن للبحث في تاريخ يهود الجزيرة العربية أهمية عظيمة في اماطة اللثام عن لهجات العرب ودياناتهم وعاداتهم لما بين اليهود والعرب من رابطة الدم ولما بين اللغة العبرية واللغة العربية من التشابه والاقتراب

على أن اللغة العبرية من أمهات اللغة السامية فقد كانت شائعة قبل نشوء بني اسرائيل وظهورهم في العالم اذ كانت لغة أهل فلسطين الكنعانية ولغة كثير من القبائل في طورسينا وشرق الأردن فضلا عن ان الحالة قد تغيرت تغييرا كلياً بعد أن انتهت الخصومة السياسية بين الرسول وقبائل يثرب حتى شرع اليهود ينظرون بعين الاكبار والاحترام الى جيوش المسلمين التي كانت تغمر كالسيل أقطار العالم ونواحيه وكانت هذه الجيوش قد قضت على سلطة الدولة الرومية في أقاليمها القاصية والدانيه

وقد كان اليهود فى أغلب مدن العراق يخرجون لاستقبال جيوش المسلمين بالحفاوة والاكرام لانهم كانوا يؤثرونهم على غيرهم أو يرون فيهم يوماً يؤمنون بآله موسى وابراهيم

وقد قسم تاريخ بني اسرائيل في بلاد العرب الى طورين أساسيين الطور الاول يشمل حوادث لبطون اسرائيلية بائدة في بلادالعرب والطور الثاني يتناول أخباراً لجموع من اليهود كان لها شأن عظيم في تاريخ الجزيرة العربيه ويقف الطور الاول عند نهاية القرن الخامس قبل الميلاد. أما الطور الثاني فينتهي باجلاء الطوائف اليهودية من الجزيرة العربيه . فلنكتفي الآن بذكر أهم الحوادث التي تخللت هذين الطورين فنقول

كان بنو اسرائيل في هذا الطور الاول يعبدون الله مع تقديسهم لبعض الاصنام على حين كانت طائفة منهم تعبد الله وحده مخلصين له الدين وهي طائفة الكهنة والانبياء وبعض الطبقات من الاشراف والملوك والنقباء الذين آمنوا برسالة موسى واتبعوا شريعته (١)

وكان الموحدون للاله في بدء الامر قليلين ولكنهم أخذوا يكثرون شيئاً فشيئاً على مرور الزمن وتوالي العصور حتى تأثرت العقلية اليهودية بالشريعة الموسوية وخضعت لها أفكار اليهود وامتلأت بها قلوبهم وكان ذلك في بدء الطور الثاني بعد رجوع اليهود من السبي البابلي سنة ٥٣٨ ق . م

فالمرجع الوحيد الذي يمكن ان نستقي منه أخبار بني اسرائيل الى القرن الخامس ق . م انما هو كتاب العهد القديم وهو كتاب نستطيع منه الوقوف على حوادث الطوائف الاسرائيلية التي سكنت بلاد العرب

تحدثنا صحف أخبار الايام عن أول هجرة مشهورة في تاريخ بني اسرائيل الى بلاد العرب أن بطون بني شمعون سارت الى أرض طور سيناء مع ماشيتها لتبحث لها عن مرعى الى أن وصلت

---

(١) راجع كتاب المؤرخ كلاوزنر وكتاب العالم سمحوني أخبار الايام فصل ٤

أرض قبائل معان فاشتبكت معها في قتال عنيف انتهى بفوز بطون شمعون وتمزيقهم لأقوام من البطون المعانية شذر مذر

غير ان العالم دوزي يحاول في مصنفه عن بني اسرائيل في مكة أن يثبت ان الهجرة الشمعونية حدثت قبيل عصر الملك داود حوالي عام ١٠٠٠ ق . م في حين يعارضه المستشرق مرجوليوت في كتابه عن علاقة العرب بالبطون الاسرائيلية قبل ظهور الاسلام ويقرر انها لم تحصل الا في عصر الملك حزقياه الذي حكم بلاد يهوذا من سنة ٧١٧ - ٦٩٠ ق . م

معقول أن ترعج سنو المحن والقحط الناس عن مواطنهم وتضطرهم الى أن يرحلوا عنها ليجدوا ما يقتاتون به ولكنهم لا يرحلون عن بلادهم جملة واحدة فلو صدقنا أن هذه الهجرة قد وقعت كما يصورها لنا النص المنقول فاننا نعتقد أن يكون قد حدثت في زمن قديم جدا في القرن الثاني عشر ق . م على أقل تقدير اذ لم يكن بنو اسرائيل قد عرفوا بعد تدوين الحوادث التي تقع لهم في صحف أي أنها حدثت في زمن غير بعيد من عهد الاحتلال الاسرائيلي للبلاد

ولقد وصلتنا أخبار شمعون في روايات غامضة وذلك لان بني اسرائيل بعد توغلهم في فلسطين بقوا زمنا غير قليل محتفظين بصفات

ومميزات سكان الصحارى في أخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم ونموهم من كل أنواع التغيير والتجديد

وقد مضت عليهم قرون عدة وهم في همجيتهم الاولى حتى دار الزمن دورته وأخذت الأحوال الاجتماعية والأدبية تتبدل وتتحول الى أن ظهر عند الشعراء والمفكرين ميل شديد الى تدوين أخبار العصور الماضية وذكر أيام القبائل الاسرائيلية وبيان أوطانها التي نزحت عنها والظروف التي دعت الى تركها . وكان غرضهم من ذلك ان يحافظوا على انسابهم وأن يشيدوا بما كان لهم من مجد وسؤدد

وتذكر لنا صحف العهد القديم من اخبار بني اسرائيل عدا هذه الهجرة أن بلاد طور سينا وشمال الجزيرة بوجه عام كانت ملجأ يقصد اليه كثير من بنى اسرائيل الذين كانوا يفرون من وجه الملوك والحكام الظالمين [1] ثم في عهد الملك بختنصر فانه حين غزا أورشليم قصدت جموع من اليهود أرض الجزيرة [2]

ولم تغفل المصادر العربية الاشارة الى أن قبائل اسرائيلية كانت تسكن بلاد العرب منذ زمن قديم جدا فقد قال صاحب الاغاني كان

---

(١) ملوك ج١ فصل ١٩

(٢) ارميا فصل ٤٠ آية ١١

ساكنو المدينة في أول الدهر قبل بني اسرائيل قوما من الامم الماضية يقال لهم العماليق وكانوا قد تفرقوا في البلاد وكانوا اهل غزو وبغي شديد وكان ملك الحجاز منهم يقال له الارقم ينزل ما بين تيماء الى فدك وكانوا قد ملأوا المدينة ولهم بها نخل كثير وزرع وكان موسى بن عمران قد بعث الجنود الى الجبابرة من أهل القرى يغزونهم فبعث موسى الى العماليق جيشا من بني اسرائيل وأمرهم ان يقتلوهم جميعا اذا ظهروا عليهم ولا يستبقوا منهم أحدا فقدم الجيش الحجاز فأظهرهم الله على العماليق فقتلوهم اجمعين الا ابناً للارقم كان وضيئاً جميلا فضنوا به على القتل وقالوا نذهب به الى موسى فيرى فيه رأيه

فرجعوا الى الشام فوجدوا موسى قد توفي فقال لهم بنو اسرائيل ما صنعتم فقالوا اظهرنا الله عليهم فقتلناهم ولم يبق منهم أحد غير غلام كان شابا جميلا فنفسنا به عن القتل وقلنا نأتي به موسى فيرى فيه رأيه فقالوا لهم هذه معصية قد أمرتم الا تستبقوا منهم وأن لا تدخلوا علينا الشام أبداً فلما صنعوا ذلك قالوا ما كان خيرا لنا من منازل القوم الذين قتلناهم بالحجاز نرجع اليها فنقيم بها فرجعوا على حاميتهم حتى قدموا المدينة فنزلوها وكان ذلك الجيش أول سكنى اليهود بالمدينة

ثم يحدثنا ابن خلدون أن داود لما خلع بنو اسرائيل طاعته وخرجوا عليه فر مع سبط يهوذا الى خيبر وملك ابنه الشام وأقام بخيبر الي أن قتل ابنه وعاد الى وطنه فيظهر من هذا أن عمرانه كان متصلا بيثرب وتجاوزها الى خيبر

غير أننا نرى أنه لا يمكن التعويل على أقاصيص من هذا النوع سردتها المراجع العربية على أنها أساطير شائعة وروايات غير جديرة بالاعتماد

وانما الذي يمكننا أن تقوله على سبيل الظن اعتمادا على هذه الاخبار هو أن القدماء قد اعتقدوا أنه قد وجدت في جهات يثرب وخيبر بطون اسرائيلية قبل وصول جموع اليهود الى الاصقاع العربية في الدور الثاني

ويؤيد هذه النظرية ما نجده في كتاب العهد القديم من النص على وجود علاقة متينة بين بلاد فلسطين وبلاد الجزيرة العربية

كانت فلسطين بمثابة القنطرة التي تربط بلاد العرب وسوريه من جهة ومصر والعراق من جهة أخرى . وكانت القوافل العربية

الاغاني جزء ١١ ص ٩٤

حزقيا ٥ فصل ٢٧

ملوك جزء ١

تأتى من بلادها الى أسواق مدن بني اسرائيل وكنعان وكان تجار اليهود يرحلون الي سبأ في عهد سليمان وبعده

كذلك نعلم ان بعض ملوك بنى اسرائيل انتصروا انتصارات باهرة على قبائل عربية وعمالقه غزوها وأنهم واصلوا غزواتهم حتى وصلوا الى ارض الجزيرة

ونعلم ايضا ان مدينة العقبة (ايلة) كانت في عصر من العصور مستعمرة يهوديه والخلاصة ان عناصر اسرائيلية نظن انها قدهاجرت من ديارها الى الاقاليم العربية في عصور مختلفة ولاسباب شتي غير انها بادت كما بادت قبائل عربية كثيرة ولم يبق من آثارها سوى اسمها

اخذت جموع كثيرة من اليهود في القرن الاول والثاني بعد الميلاد تهاجر الى الارجاء العربية عموما والى الربوع الحجازية بنوع خاص ولا شك أنه كانت هناك أسباب دعت هذه الجموع الى ترك أوطانها والنزوح منها الى البلاد العربية ويمكننا أن نلخص هذه الاسباب فيما يأتي

أولا — زيادة عدد اليهود فى فلسطين زيادة مطردة جعلت البلاد تضيق عن أن تسعهم وتنفسح لعملهم في سبيل الحياة وقد بلغ عددهم في ذلك الحين أكثر من أربعة ملايين نسمة وهو

عدد كبير لا تتسع له بلاد ضيقة كفلسطين فاضطروا بحكم هذه الزياده المستمرة والنمو المطرد ان يهاجروا الى ما حولهم من البلاد المجاورة لهم كمصر والعراق والجزيرة العربية

ثانيا ـ حدث حوالي القرن الاول ق . م أن هاجمت الدولة الرومانية بلاد فلسطين وقوضت أركان الدولة اليهودية المستقلة فيها وأخضعتها للسلطان النسر الروماني الذي قبض على زمام الحكم بيد من حديد ولكن النفور والاستياء في نفوس اليهود كان شديدا الى حد أن الفتن والثورات العنيفة كانت تشتعل نيرانها من حين الى آخر وكان الرومان يقمعون تلك الثورات بشدة وقسوة تزيد النفور وتضاعف الاستياء فاضطر من لم يكن يستطيع البقاء في البلاد مع هذه الاحوال القاسية أن يلجأ الى أرض الجزيرة العربية التي كانت أحب اليهم من غيرها نظرا لانظمتها البدوية الحرة ونظرا لوجودها في أقاليم رملية بعيده تعوق سير القوات الرومانية المنظمة وتمنع توغلها

ثالثا ـ بعد حرب اليهود والرومان (٧٠ ب . م) التي انتهت بخراب بلاد فلسطين ودمار هيكل بيت المقدس وتشتت اليهود في أصقاع العالم قصدت جموع كثيرة أخرى من اليهود لبلاد العرب

للمزايا التى ذكرناها كما يحدثنا بذلك المؤرخ اليهودي يوسف الذي شهد تلك الحروب وكان قائدا لبعض وحداتها وتؤيد المصادر العربية كل هذا فقد ذكر صاحب الأغاني أنه لما ظهرت الروم على بني اسرائيل جميعا بالشام خرج بنو النضير وبنو قريظة وبنو بهدل هاربين منهم الى من بالحجاز من بنى اسرائيل لما غلبتهم الروم على الشام فلما فصلوا عنهم باهليهم بعث ملك الروم ليردهم فاعجزوه وكان ما بين الشام والحجاز مفاوز وصحاري لا نبات فيها ولا ماء فلما طلب الروم الثمر انقطعت أعناقهم عطشا فماتوا وسمي الموضع ثمر الروم فهو اسمه الى اليوم

وتتلخص آراء بقيـة مؤرخي العرب في أن جموع اليهود في الجزيرة العربية قد زادت وكثرت بعد اضطهادات الرومان لليهود وقد يجوز أن تكون هذه الروايات اتصلت بالعرب من يهود يثرب وخيبر

وإذا صح مارويناه سابقاً من تاريخ اليهود في الجزيرة العربية في الدور الاول كان مؤيدا للرأي الذي يقول ان المهاجرين في الدور الثاني قد توجهوا في باديء أمرهم الى الجهات التي كانت مسكونة بطوائف اسرائيلية من زمن قديم

ولقد كان لليهود الى عصور الدور الثاني بضع مستعمرات

صغيرة فصارت بعد ذلك الحين كبيرة وكثيرة . وظهرت مدن وقرى جديدة وآطام وحصون على رؤوس الجبال وانتشرت الحركة الزراعية في الاراضي التي كانت منذ ألوف من السنين قاحلة ماحلة لان اليهود كانوا يشتغلون في موطنهم الاصلي بالزراعة قبل كل شيء وكانت فلسطين غنية بحاصلات القمح والشعير والزيتون والتمر والعنب وكانت تصدر كثيراً من تلك الحاصلات الى جهات مختلفة منذ عصور قديمة

كذلك انتشرت الحركة الصناعية والتجارية وأنشئت أسواق عديدة يهودية . ومن هنا يمكننا أن نستنتج ان الاستعمار الجديد لم يقم على حد الظبا ولم يؤد الى طرد قبائل عربية أصلية من مواطنها كما حدث في الدور الاول الذي استأصل فيه الفاتحون من بني اسرائيل شأفة قبائل كنعانية وغيرها وإنما الذي حدث في الطور الثاني ان ضيوفاً مضطرين نزلوا على أبناء جلدتهم فاستقبلهم هؤلاء بالحفاوة والترحيب اذ كانوا يعلمون أنهم فارون من مخالب النسر الروماني وسهل الامتزاج بين هؤلاء وهؤلاء بحكم الغريزة الجنسية والعاطفة الدينية وتعاون الجميع على العمل في سبيل الحياة فنجحوا وأثروا وكان لهم في بلاد العرب شأن عظيم [١]

(١) الاغاني جزء ١٩ ص ٩٥

لا يغربن عن الذهن أن جهات يثرب ووادي القرى كانت غير آهلة بكثير من العرب بل كانت جموع منهم تأتي الى وديانها في أوقات معينة من السنة كقوافل راحلة مع إبلها لتأكل من أعشابها ثم تنزح عنها الى جهات أخرى. وبطبيعة الحال كان لليهود في دورهم الثاني بالجزيرة حوادث تاريخية ذات شأن بحكم عوامل التغيير والانقلاب وبحكم اختلاف الامزجة وتعارض الاهواء وتضارب المصالح فقد كان عددهم كبيراً بحيث يمكن اعتبارهم أمة قائمة بذاتها يصيبها من ضرورات الاجتماع مايصيب غيرها ويحدث بينها وبين جيرانها العرب مايحدث بين أية أمة أخرى وبين ما يجاورها من الامم

وأمامنا مراجع عبرية غير قليلة عن حياة اليهود في بلاد العراق والقدس ومصر واليونان والرومان نجد فيها كل ما نتطلع اليه من أخبار اليهود في تلك البلاد في حين لا نكاد نجد مؤلفات عبرية عن يهود العرب الا شيئا ضئيلا جداً

بيد أننا نستطيع ان نستخلص من هذه الناحية نفسها نتيجة ذات شأن وهي أن سكوت المراجع الاسرائيلية عن سرد حوادث اليهود في الجزيرة العربيه يدل دلالة قاطعة على أن اليهود في بلاد العرب كانوا منقطعين تمام الانقطاع عن بقية أبناء جنسهم في جهات

العالم ولم تكن لهم بهم أية صلة وكأن الجزيرة التي انفردت بقبائلها وانقطعت عن العالم المتمدن انقطاعاً كلياً قضت على كل من يسكنها من اليهود أن يكون مثل ابنائها وان يقطع كل علاقة بينه وبين يهود البلدان الاخرى».

وكان العالم « شير » يعتقد ان اليهودية في بلاد العرب كانت لها صبغة خاصة . كانت يهودية في أساسها ولكنها غير خاضعة لكل مايعرف بالقانون التلمودي

وكانت هنالك قرى كثيرة في أرض خيبر الواقعة شمال يثرب آهلة بأ كثرية مطلقة من اليهود ثم هنالك وادي القرى المشهور بأرضه الخصبة وحدائقه الزاهرة كان أيضا من المستعمرات اليهودية ووجد اليهود أيضا بكثرة في ارض تيماء

ويظهر جلياً من أقوال بعض مؤرخي العرب [1] ان بطونا عربية كثيرة قد اختلطت بالعنصر اليهودي في بلاد الحجاز وأثرت في اخلاقه وعاداته تأثيراً ظاهرا ولكنها لم تستطع ان تتغلب على عقليته الاصلية بل بقي هذا العنصر ممتازاً بعقليته امتيازا ظاهرا والآن تجتهد طائفة من المؤرخين الافرنج في ان تجد لبعض

---

(١) كتاب الاغاني

اسماء القبائل اليهودية اشتقاقا عبرياً [١]

على ان الاستدلال ببحث لغوي كهذا على جنسية اليهود في بلاد العرب لا يمكن ان يعتد به او يعول عليه فمن الحق ان اسماء اكثر القبائل اليهودية عربية محضة كما يقول اليعقوبي ولكنها لا تدل على انها عربية الجنس اذ يمكن ان تكون جموع اليهود التي هاجرت الى بلاد العرب قد اتخذت اسماء الامكنة التي نزلت بها اسماء لها بل الواقع ان اليهود في دورهم الثاني لم يكونوا يعرفون بأنسابهم بل عرفوا كلهم بأسماء المدن والقرى والاقاليم التي جاؤا فيها فكان يقال مثلا فلان الاورشليمي والآخر الحبروني وهكذا . نعم كان بنو اسرائيل في دورهم الاول ينتمون الى قبائلهم فكان يقال مثلا فلان من سبط يهوذا والآخر من قبيلة افرايم . وكان اليهود في وطنهم الاصلي قبل ان تحل بهم تلك الرزايا التي شتتت شملهم وفرقتهم أيادي سبا قد وصلوا الى درجة عظيمة من المدنية والحضارة وبلغوا مكانا علياً في الرقي الروحاني والاجتماعي حتى انمحى من بينهم نظام القبائل وصاروا امة واحدة مندمجة اندماجاً كلياً حتى نسي الافراد فكرة التفاخر بالانتساب الى قبائلهم ونسيت القبائل عادة الانقباض والاحتراس من ان تختلط دماؤها بدماء

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥١ طبع لندن

القبائل الأخرى بل اصبح المجموع للافراد والافراد للمجموع كما هو شأن جميع الامم التي تنتقل من طور البداوة الى طور الحضارة

اقام اليهود الحصون والآطام على قمم الجبال ليتحصنوا بها في اوقات الحروب حين يغزوهم الاعراب الطامعون في اموالهم وحاصلاتهم الزراعية او حين تغزوهم قبائل يهوديه اخرى لسبب من الاسباب

على ان فكرة إقامة الحصون والآطام على قمم الجبال في شمال الجزيرة العربية إنما أتى بها اليهود من وطنهم الاصلي الذي كثرت في جباله الحصون المنيفه

ومن هذه الحصون التى اقامها اليهود في بلاد العرب حصن الابلق للسموءل وحصن القموصي لبني ابي الحقيق وحصون السلالم والوطيح وناعم وسعد بن المعاذ الخ

وقد روى السمهودي أن قبائل اليهود تنيف عن العشرين عدة آطامهم وآطام من نزل معهم من العرب تزيد على السبعين (١) ومع ان اغلب اسماء البلدان التي سكنها اليهود في الحجاز كانت عربية فقد وجد لبعضها اتصال باللغة العبرية مثل وادى بطحان فان معناه بالعربية الاعتماد ووادي مهزور او محزور معناه مجرى

---

(١) خلاصة دار الوفاء باخبار دار المصطفى ص ٨٠

الماء وقال السمهودي سمران جبل بخيبر صلى النبي على رأسه والعامة تسميه مسمران وضبطه بعضهم بالشين المعجمة . فاذا علمنا ان في فلسطين جبل يسمي شمران امكننا ان نستنتج ان سمران هذا انما هو لفظ عبري اطلقه اليهود على ذلك الجبل بعد ان نزلوا بجانبه

على ان العلماء يهتمون بمثل هـذه المسائل ليستدلوا بها علي مبلغ تأثير اللغة العبرية في اليهود وليتوصلوا الى معرفة موضوعات مختلفة في تاريخ العرب في الجاهلية وفي عصر ظهور الاسلام

ادخل اليهود الى بلاد العرب انواعا جـديدة من الاشجار وطرقا جديدة للحراثة والزراعة بالآلات حتى عدوا من اجل هذا اساتذة لعرب الحجاز

وفوق ذلك فقد كان لليهود شغف بفنون القتال والنضال وقد اشتركوا مع العرب في بعض حروبهم المشهورة

اما لغة اليهود في بلاد العرب فكانت بطبيعة الحال اللغة العربية ولكنها لم تكن عربية خالصة بل كانت مشوبه بالرطانة العبرية لانهم لم يتركوا استعمال اللغة العبرية تركا تاما بل كانوا يستعملونها في صلواتهم ودراستهم فكان من الضروري ان يدخل في عربيتهم بعض الكلمات العبرية

وقد ذكر صاحب فتوح البلدان ان يهود يثرب كانوا اساتذة

العرب في تعلم الكتابه العربية . ويقسم القرآن يهود الحجاز الى قسمين حبار وجهلة أميين . وكلمة حبر هذه عبرية الاصل اذ معناها الرفيق وقد كانت تطلق في العصور الاولى ق . م على كل عضو من اعضاء الشيعه اليهوديه الدينيه ثم لما تغلبت تعاليم هذه الفئه اصبح كل متعلم من اليهود يلقب بلقب حبر ولذلك كان الاحبار موضع الاحترام العظيم كما يتضح لنا من قصة لابن هشام (قال عبد الله ابن سلام فأدخلني رسول الله في بعض بيوته ودخل عليه بعض اليهود وكلموه ثم قال لهم : اي رجل الحصين ابن سلام فيكم قالوا سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا (١)

وقد يؤكد حديث البخاري هذا القول او يقول ان رسول الله كان اول ما قدم المدينه يصلى قبل بيت المقدس ستة عشر او سبعة عشر شهراً وكان اليهود قد اعجبهم اذا كان يصلى قبل بيت المقدس (٢)

وكان اليهود يستشفون الصلاة ثلاث مرات في كل يوم وكانت قبلة اليهود اثناء الصلاة متجهة الى بيت المقدس كما كانت قبلة رسول الاسلام الى زمن هجرته للمدينة اذ يحدثنا ابن هشام أن الرسول كان إذا صلى صلى بين الركنين اليماني والاسود وجعل

---

(١) ابن هشام جزء ٢ ص ١٠٩

(٢) البخاري جزء ١ ص ١٨

الـكعبة بينه وبين الشام[١]

وكان اليهود يصومون في العاشوراء فلما قدم النبي محمد المدينة ورآهم يصومونه قال ماهذا؟ قالوا هذا يوم صالح هذا اليوم نجى الله بني اسرائيل من عدوهم فصامه موسي قال فأنا أحق بموسى منكم فصامه فأمر بصيامه وكان اليهود يعدونه عيداً[٢]

واذا وفقنا الى ان نميز بين يهود الحجاز والعرب من وجهة الدين والعقلية فانه من المتعذر ان نوفق الى التميز بين العنصرين من وجهة الاخلاق والعادات والنظم والتقاليد الاجتماعيه لأن اليهود الذين سكنوا في بلاد العرب لم يلبثوا أن تخلقوا بأخلاق العرب وتمسكوا بعاداتهم واتبعوا سبيلهم في النظم والتقاليد الاجتماعية حتى أصبحوا كأن لم يكونوا من جنس آخر غير الجنس العربي اذ لايعلم أحد في تاريخ اليهود اقليما تأثر فيه اليهود باخلاق وعادات وتقاليد ابنائه الي هذا الحد سوى اقليم الجزيرة العربية

كان اليهود في تفاخرهم وتشاجرهم على حد ماكان العرب تماماً في جميع ذلك وكذلك كانوا مثلهم في التمدح بالشجاعة وعلو الهمة واكرام الضيف والنفور من الجبن والبخل وكانوا يوقدون

---

(١) ابن هشام جزء ١ ص ٢٧١ وص ٣١٤

(٢) البخاري جزء ١ ص ٤٩٨

النيران فى الليل ليرشدوا السائرين وليدعوهم الى الضيافة والاكرام(١) كما كان يفعل العرب اعلاء لشرفهم وصيانة لمجدهم .

وكما كان قرض الشعر كان طبيعة من طبائع العرب وسجية من سجاياهم وطريقة من أجل طرق التعبير والتفكير لديهم حتى كان المفكر العربي يسترسل في القول الموزون استرسالا يسحر العقول ويأخذ بالالباب كذلك اندفع اليهود في قرض الشعر باللغة العربية اندفاعا قويا فجعلوا ينظمون الابيات البديعة والقصائد المتينة في الكرم والوفاء والشجاعه وفي وصف البلدان والحيوان وفي وصف جمال المرأة والتشبب بها وبالاجمال كل ما كان يحرك نفس العربي ويدعوه الى قرض الشعر من تهديد ووعيد ومدح وثناء وذم وهجاء ووصف وفخر كان يحرك نفوس الشعراء من اليهود في الجاهلية ويدعوهم الى أن يخوضوا فيه بالقول الفصل والشعر المبين

ليس من شك في ان لليهود في الادب أثرا كبيرا ولا ريب في ان اللغة العبرية تركت في اشعارهم اثارا ظاهرة خصوصا فيما يتعلق بالشعر الدينى فقد كانت النزعة الدينية قوية في نفوس يهود الحجاز فليس ممكنا ان لا يوجد هناك شعر ديني يمجد التوحيد وآل موسى وأنبياء بنى اسرائيل ويحط من قيمة الاصنام وعبادتها

(٣) الواقدي ص ١٧٠

لان مثل هذا النوع قد ظهر في الادب اليهودي في كل عصوره القديمة.

فاذا أمعن الانسان نظره في قصائد السموءل يتضح له جليا انها قد طرأ عليها كثير من التقلبات والتغييرات حتي ليتعذر على الباحث ان يميز القديم منها والحديث أو يفرق بين الصحيح والمنتحل .

هذا الى ان الابيات القليلة التي وصلت الينا من شعر اليهود لايكفي لتخليد أسماء شعرائها مما يجعلنا نجزم بأنه قد كان هناك شعراء مجيدون ولكن ضاع شعرهم ولم يبق لهم منه الا أسماؤهم كانها صدى ما كان لهم من شهرة وبعد صوت

من العسير انكار وجود شعراء من اليهود في الجاهلية فقد اشترك اليهود مع العرب في جميع المرافق الحيوية في الجزيرة العربية من اقتصادية وسياسية فبعيد كل البعد الا يشتركوا معهم في النهضه الفكرية والشعريه ووجود علاقة متينة بين اليهود والعرب يثبت اشتراك العنصرين فى النزعة الشعريه وانها كانت مطبوعة في النفس اليهوديه وكامنة فيها قبل أن يسكن اليهود في الجزيرة العربية فلما انتقلوا اليها واختلطوا بالعرب وتخلقوا بأخلاقهم نمت هذه النزعة الفطرية وأزهرت ثم أثمرت ثمرها الشعي فقرض اليهود الشعر العربي ارتجالا

ولم نعرف منهم من هو أعظم شهرة وأبعد صيتا من السموءل ابن عاديا الذي يشعر اسمه بأن أصله عبري .

وقال صاحب الاغاني انه من يثرب وكان صاحب تيماء التي عرفت بتيماء اليهودية وعليها حصنه الابلق الفرد يشرف على تيماء بين الحجاز والشام على رابية من تراب فيه آثار ابنية لا تدل على ما يحكي عنها من عظمة وحصانة وهي خراب

أما قصيدته اللامية التي أولها :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها
فليس الى حسن الثناء سبيل

تعيرنا أنا قليل عديدنا
فقلت لها إن الكرام قليل

وما قل من كانت بقاياه مثلنا
شباب تسامى للعلا وكهول

وما ضرنا أنا قليل وجارنا
عزيز وجار الاكثرين ذليل

لنا جبل يحتله من نجيره
منيع يرد الطرف وهو كليل

رسا أصله تحت الثرى وسما به
الى النجم فرع لا ينال طويل

هو الابلق الفرد الذي شاع ذكره
يعز على من رامه ويطول
وإنا لقوم لا نرى القتل سبة
إذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا
وتكرهه آجالهم فتطول
وما مات منا سيد حتف أنفه
ولا طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظبات نفوسنا
وليست على غير الظبات تسيل
صفونا ولم نكدر وأخلص سرنا
إناث أطابت حملنا وفحول
فنحن كماء المزن ما في نصابنا
كهام ولا فينا يعد بخيل
وننكر إن شئنا على الناس قولهم
ولا ينكرون القول حين نقول
إذا سيد منا خلا قام سيد
قؤول لما قال الكرام فعول
وما أخمدت نار لنا دون طارق
ولا ذمنا في النازلين نزيل
وأيامنا مشهورة في عدونا
لها غرر معلومة وحجول
وأسيافنا في كل شرق ومغرب
بها من قراع الدارعين فلول

مــــودة ألا تسل لصالمـــا

فتغمد حتى يستباح قتيل

سلي إن جهلت الناس عنا وعنهم

فليس ســواء عــالم وجهــول

فهي قصيدة من أبدع القصائد تشتمل على مكارم الاخلاق من سماحة وشجاعة وتواضع وحلم وصبر وتكلف واحتمال للمكاره

والشخصية البارزة بعد السموءل هي شخصية كعب بن الاشرف وكان من أصحاب النفوذ والبطش بالسيف واللسان لا على اليهود فحسب بل على قريش أيضا وقد كان عربيا أكثر منه يهودياً وكان شاعرا فارساً وخطيبــاً فصيحا ثم أن هنالك اسماً آخر يلفت عنايتنا وهو سارة القريظية التي ينسب اليها شعر في رثاء قومها بعد أن قتل ابو جبيلة اشراف اليهود وهذا مطلعه

بنفسي أمة لم تغن شيئا — بذي خرص تعفيها الرياح

كهول من قريظة أتلفتها — سيوف الخزرجية والرماح

وليس ذلك بعجيب على الفتاة الاسرائيلية بوجه عام في جميع أدوار تاريخ أمتها إذ قد ظهر من الجنس اليهودي النابغات والشاعرات والبطلات والملكات

ونحن لم نر بداً من أن ترتبط هاتان الامتــان ارتباطاً خالصا قيماً ويشتركا في المنافع المادية والمعنوية وإقناعهما بأنهما ستكونان

شريكتين في السراء والضراء وانهما لا يمكنهما أن تعيشا على انفراد لأنهما تشعران بانه لا يصيب احدهما سوء أو اذى إلا وتتألم منه الأخرى . ولا بد من تآخيهما لكي تنقلا ما بينهما من الاتحاد المعنوي . والاتفاق الطبيعي المستمد من غابر الازمان الى الميدان السياسي وأن تفرغاه في قالب مادي رسمي لا مرد له ولا حيدة عنه

فكل المظاهرات التي يقوم بتنظيمها دعاة الاضطراب وزعماؤه لا يجني العرب منه أية ثمرة فاخراج اليهود من فلسطين لا تؤيده البشرية ولا تسيغه مباديء العدالة . وهل من العدل والحكمة اخراج هؤلاء من تلك الانحاء بعد ما عمروها واحيوها . وهل من الصواب حرمانهم من مصانعهم ومزارعهم وتجارتهم ومعاهدهم ودورهم ومدارسهم بعد ما بذلوا أرواحهم في سبيل رقيها وتقدمها وأنفقوا عليها أموالهم توصلا لانهاضها وانجاحها . فاليهود محتاجون الى العرب . والعرب محتاجون الى اليهود فهما أمتان مترابطتان . هما من الجنس السامي لا تقبلان انفكاكا ولا انحلالا . هما متحدرتان من أرومة واحدة هي أرومة ابراهيم الخليل عليه السلام . فليس إذن الى تفريق هاتين الأمتين ولا الفصل بينهما من سبيل ولا ريب في ان الامر سيؤول في النهاية الى حسن تصافيهما . وإصلاح ذات البين وزوال دواعي تجافيهما . وفي ذلك كل الخير لهما في بلاد يتحابانها

ويريدان أن تكون مناهل يرشفان فيها رضاب الخير والهناء والسعادة

نعم لا سبيل الى الشك في ان العالم بجميع أنحاجه وأقطاره وشعوبه وممالكه يجتاز الآن مرحلة من أصعب مراحل التاريخ صلابة وأشدها وعورة . وهو اليوم في مفترق الطرق . فالعالم القديم والعالم الجديد ثائران مضطرمان تغلو فيهما مراجل الافكار . مرتبكان يبحثان عن المناهج الفضلى التي تمضي بهما الى انقاذ البشرية فكأن الدنيا بركان فائر يتمخض عن بوادر عنيفة وحوادث عظيمة. والانسانية بأسرها تنتظر بفارغ الصبر هذا المخاض لاحتضان المولود الجديد . ولكنها لا تستطيع الرجم بالغيب لا سيما وأن استنتاج المجهول من المعلوم خرقا في الرأي ومغامرة في التعليل والتدليل . فالانسانية حيرى . اذ لم يكد هذا القرن العشرون ينبلج فجره حتى عقد العالم عليه اعظم الآمال واسمي الاماني . ولم يكد ينصرم القرن التاسع عشر حتى اخذ اقطاب المفكرين وعلماء الاجتماع يشيدون من تلك الامال اللذيذة قصوراً وعلاليا على اسس التفكير الحديث وان الحضارة القشيبة قد قلبت صفحة جديدة في سجل الوجود الانساني بيد ان هذه السعادة لم تكن واسفاه الا برقا خلبا او شبها بامارا وان ذلك الحلم مالبث ان انهار وأعقبته يقظة فاجعة مروعة أزالت بهجة هذه الرؤيا الجميلة الساحرة وطمست اثارها

والايام تظهر العجائب ولابد من مرور بعض الزمن لكي تتاهب الاذهان وتستعد النفوس لقبول التطورات التي لامندوحة من أن تتأثر بها وتجري على سننها مع مرور الايام وكرور الاعوام ونحن نضرع الى المولى عز وجل أن يلهم هاتين الأمتين السداد ويصرف جهودهما الى مافيه الهداية والاسعاد ويوفقهما الى طريق الاصلاح والارشاد انه على كل شيء قدير .

فهرست

صفحة

اصلاح خطأ

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٧	١٠	السيل	السبل
١٢	١٣	جيل	جبل
١٤	٢	مرابطهم	مرابضهم
١٩	٨	صعدت	تصعد
٣١	١٣	ذوائع	فوائع
٣٣	١	المرحوم	الزعيم
٤٥	١٥	المطاردة	المصادرة
٤٦	١٠	الشايق	السابق
٥٤	١٣	احشاؤهم	احشاءهم
٥٧	٥	هم	هي
٧٩	٤	السخط	لسخط
٦٨	١	ابتولوجي	انتولوجي
٧٩	٧	كيف	يد
١٥١	١٦	سوريه	سوريا
١٥٣	١٦	كبائر	كبائره
١٥٨	٤	تلاشي	تلاش
١٥٨	١٧	شجي	شجا
١٦٠	٢	بصبغة	صبغة
١٧٧	٦	محتدة	محتدمة

صفحة	سطر	خطاء	صواب
١٧٩	٩	بجير	بخير
١٨١	١١	هادیء	هادئ
١٨١	١٢	الطواریء	لطواريء
١٨٢	٥	یجده	تجده
١٨٥	١	التزاعة	النزاعة
٢٤٩	١١	دماؤهم	دماءهم
١٨٥	٣	جامح	جانح
٢٨٧	٥	العبارة	بعبارة

***